ملف المستقبل
سري جداً!!

روايات مصرية للجيب

127

طريق النجوم

د. نبيل فاروق

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرّية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدّم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدّى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

١ ـ الزمن ..

دوى الانفجار قويًا عنيفًا ، فى قمة مبنى الأبحاث ، التابع للمخابرات العلمية المصرية ، وتطايرت الشظايا فى دائرة واسعة للغاية ، فى نفس اللحظة التى عبرت فيها مقاتلة فضائية سريعة السماء ، فوق المبنى مباشرة ، وهى تحمل شعارًا عجيبًا ، لاينتمى إلى أى تنظيم أو دولة أو كيان معروف ، على كوكب الأرض كله ..

ومن بعيد ، ظهرت أجسام مخيفة ، أشبه بعناكب معدنية عملاقة ، تشقّ طريقها إلى المكان نفسه ، بلا رحمة أو هوادة ، وهى تطأ كل ما يعترض طريقها ، من بشر أو مركبات ..

ووسط النيران المستعرة ، انطلق المقدّم (نور) يعدو بكل قوته ، حاملاً مدفعه الليزرى ، وإلى جواره زوجته (سلوى) ، التى تهتف فى ارتياع :

ـ لا فائدة يا (نور) .. لقد كشفوا أمرنا ، ونجحوا فى حصارنا هذه المرة .. لقد انتهى أمرنا .

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يقول فى صرامة :

ـ لا .. لن نستسلم بهذه البساطة .. سنقاتل حتى آخر قطرة دم .

انهارت ابنته (نشوى) ، وسقطت أرضًا ، هاتفة :

ـ لم يعد بإمكانى الاستمرار يا أبى .. سامحنى .

توقّف (نور) ، وعاد إليها مسرعًا ، وهو يهتف :

ـ تحاملى على نفسك يا (نشوى) .. الأمل الوحيد فى نجاتنا ، ونجاة الأرض كلها ، هو أن نصل إلى الداخل .. لا تستسلمى الآن .

تفجّرت الدموع من عينيها كالسيل ، وهى تقول :

ـ لم يعد هذا بإمكانى .. لقد عدونا لعشرات الأميال ..

وانطلقت منها شهقة تبتر عبارتها ، قبل أن تتابع ، والدموع تنساب من عينيها بغزارة أكثر :

ـ ثم إننى لا أستطيع نسيان مشهد مصرع (رمزى) ، أمام أعيننا جميعًا .

عضّت (سلوى) شفتيها فى مرارة ، وانعقد حاجبا (نور) فى ألم ، وهو يعاون ابنته على النهوض ، قائلاً :

ـ إنها الحرب وويلاتها يا بنيتى .. وهؤلاء الغزاة

الفضائيون لن يتوقّفوا ، قبل أن يفنوا جنسنا كله ، ولا ينبغى لنا أن نسمح لهم بهذا قط ، أو ..

دوى انفجار آخر ، ليبتر عبارته ، ويُسقط (سلوى) أرضًا ، وهى تطلق صرخة رعب عالية ، فتشبثت (نشوى) بأبيها ، صارخة :

ـ لا فائدة .

انحنى يحملها على كتفه فى حزم ، هاتفًا :

ـ ما زال هناك أمل واحد .

صاحت (سلوى) ، وهى تعدو إلى جواره :

ـ أى أمل يا (نور) ؟! لقد حطموا كل شىء ، وقتلوا أكثر من ستة ملايين من البشر ، طبقًا لآخر الإحصائيات .. كيف يمكننا أن نتصدّى لهم ، بعد أن فشلت القوات الدولية كلها فى هذا ؟!

أجاب فى صرامة حازمة :

ـ بأن نبلغ آلة الزمن .

اتسعت عيناها فى ارتياع ، هاتفة :

ـ آلة الزمن ؟! ألم يتمّ تحطيمها تمامًا ؟!

هزّ رأسه نفيًا ، وهو يعدو حاملاً ابنته ، عبر ممر طويل ، وقال :

- ليس تمامًا .. لقد تم الاحتفاظ بها فى مخبأ سرى خاص ، حتى يتم إجراء ما تبقى من أبحاث عليها ، فى حين حطم القائد الراحل نسخة غير فعّالة منها ، أمام عدسات الهولوفيزيون .

هتفت (سلوى) :

- رباه ! ولكن ما الذى يمكن أن يحدث لو بلغناها ؟!

أجاب حازمًا :

- مادامت لا توجد وسيلة معروفة ، لهزيمة أولئك الغزاة الفضائيين ، فالحل الوحيد هو أن نمنع وصولهم إلى أرضنا بأى ثمن .

سألته مبهورة :

- هل تعنى أن ؟!

أجاب بكل حزم الدنيا :

- نعم .. أعنى أن نعود إلى ماضينا ، بكل ما نعلمه عنهم حاليًا ، ونوقفهم بأى ثمن .. أى ثمن .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى دوى انفجار آخر ..

انفجار قريب ، حتى إنه دفع ثلاثتهم أمامه فى عنف ، ليسقطوا على وجوههم أرضًا ، فهتفت (نشوى) فى ألم :

- أتعشم أن تفلح خطتك يا أبى .. هؤلاء الأوغاد يستحقون كل ما يمكن أن تفعله بهم .

نهض يحاول حملها ثانية ، على الرغم من الآلام الشديدة ، التى تنتشر فى جسده كله ، فلوّحت بيدها ، هاتفة :

- لا .. سألحق بك .. انطلق أنت إلى آلة الزمن .. إنه الأمل الوحيد كما تقول .

هتف فى صرامة :

- لن أذهب وحدى .

صاحت به :

- بل افعل لو استطعت ، فلو نجحت فى منعهم ، سيتخذ التاريخ منحنى آخر ، نظلّ فيه على قيد الحياة ، أما لو فشلت ..

وازدردت لعابها ، قبل أن تضيف فى توتر :

- فما الفارق ؟!

كان منطقها سليمًا تمامًا ، إلا أن طبيعته كأب رفضت تركها خلفه ، فهتف :

- لا .. لن أذهب وحدى .

نهضت من مكانها فى صعوبة ، وتبعته ، قائلة :

- أين الآلة إذن ؟!

انحرف إلى ممر أصفر ، ثم توقف أمام جدار مصقول ، وهو يجيب :

- هنا .

قالها ، وألصق راحته بجزء من الجدار المصقول ، وهو يقول :

- الزمن الآخر .

ولم تكد أجهزة الأمن تلتقط بصمة صوته المسجلة ، وكلمة السر ، وبصمات راحته ، وتوزيع مسامه العرقية ، وتقارن كل هذا بما لديها ، حتى انزاح الجدار فجأة فى بطء ، كاشفاً آلة الزمن خلفه ..

وفى نفس اللحظة ، التى بدت فيها الآلة كاملة ، دوى انفجار رابع ..

ومع الارتجاج العنيف ، وتطاير الشظايا ، تهاوت زاوية السقف ، وبدت معها السماء المظلمة فى وضوح ، ومقاتلة فضائية من مقاتلات الغزاة تعبرها فى زهو ظافر ..

وهتفت (نشوى) :

- رباه ! الآلة تحتاج إلى توجيه خارجى ، وهؤلاء الأوغاد لا يمهلوننا لحظة واحدة .

ولم يجب (نور) ، أو تعلق (سلوى) ..

لقد تعلقت عيونهم بالمقاتلة الفضائية المعادية ، وهى تدور دورة كاملة فى السماء ، ثم تنقض عليهما مرة أخرى ..

وفى هذه المرة ، كان من الواضح أنها ستصيب هدفها بمنتهى الدقة ..

الهدف الذى صار عارياً مكشوفاً ، بعد انهيار زاوية السقف ..

وبكل سرعتها وقوتها ، انطلقت المقاتلة نحو هدفها ، واستعد قائدها شبه البشرى لإطلاق أشعته ، و ...

ودوى انفجار خامس ..

انفجار نسف المقاتلة الفضائية المعادية فى عنف ، وأطاح بشظاياها لمسافة هائلة ..

وقبل أن يسأل (نور) و (سلوى) و (نشوى) أنفسهم عما حدث ، ارتفع من جهاز اتصال (نور) صوت مألوف ، يهتف :

- لا تتساءلوا طويلاً يا رفاق .. إنه أنا ..

هتفت (نشوى) :

– يا إلهى ! (أكرم) .

برزت مقاتلة فضائية معادية أخرى فى السماء ، وصوته يهتف ، عبر جهاز اتصال (نور) :

– لقد نجحت فى الاستيلاء على واحدة من مقاتلات هؤلاء الأوغاد ، وأنا أقودها الآن .. هيا يا (نور) .. نفذ خطتك المجنونة ، التى أخبرتنى بها هذا الصباح ، وسأحمى أنا ظهرك .. هيا يا رجل .

اندفع (نور) نحو آلة الزمن ، بكل انفعاله وحماسه ، فى نفس اللحظة التى ظهرت فيها مقاتلتان أخريان ، هاجمتا مقاتلة (أكرم) فى عنف شرس ..

أما (نشوى) ، فقد قفزت إلى آلات التوجيه الخارجية ، على الرغم من ألمها وإرهاقها ، وصاحت بأمها :

– أسرعى يا أمى .. الحقى بأبى .. ابذلا قصارى جهدكما ، من أجلنا جميعًا .

صاحت بها (سلوى) :

– لن أتركك وحدك .. الحقى بنا .. سنرحل معًا .

صاحت (نشوى) :

– هذا مستحيل ! لابد من بقاء أحدنا هنا ؛ لقيادة

آلات التوجيه ، وأنا خبيرة الكمبيوتر الوحيدة .. هيا .. أسرعى .. لا تمنحى غزاتنا الأوغاد فرصة إفساد كل ما فعلناه .. هيا .

صرخت (سلوى) :

– مستحيل !

ولكن (نور) جذبها داخل آلة الزمن ، وهو يهتف فى حزم :

– إنها على حق للأسف .. ما من سبيل آخر ؟!

صرخت ، وهى تقاومه فى شراسة :

– ماذا دهاك يا (نور) ؟! كيف نترك ابنتنا خلفنا ؟!

أجابها بكل مرارة الدنيا ، وهو يضغط أزرار جهاز التوجيه داخل آلة الزمن :

– إنها على حق للأسف يا (سلوى) .. هى وحدها يمكنها إطلاق آلة الزمن .. ثم إنه لا فارق .. إما أن تنجح وتنقذ الجميع ، أو ...

قبل أن يتمّ عبارته ، ارتفع من جهاز اتصاله صوت (أكرم) ، وهو يصرخ :

– لقد حاصرونى يا (نور) .. الأوغاد الذين قتلوا (مشيرة) و (رمزى) و (محمود) سيظفرون بى أيضًا .

عضَّ (نور) شفتيه فى ألم مرير ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فى حين دفنت (سلوى) وجهها فى كفيها ، صارخة :

- لا .. مستحيل أن يكون هذا حقيقى .. إنه كابوس .. أبشع كابوس رأيناه ، فى حياتنا كلها .

انبعث صوت (أكرم) ، فى هذه اللحظة ، وهو يصرخ :

- إلى الجحيم جميعًا .

وعبر الزاوية المنهارة من السقف ، شاهد ثلاثتهم مقاتلة (أكرم) تندفع نحو مقاتلات الغزاة ، وهو يصرخ :

- افعلها يا (نور) .. افعلها .

ثم دوى انفجار جديد ..

انفجر ونسف مقاتلة (أكرم) ، مع ثلاث من مقاتلات الغزاة ..

ومع دوى الانفجار ، اشتعلت محركات آلة الزمن ..

وانطلقت أصابع (نشوى) بسرعة البرق ، على أزرار جهاز التوجيه الخارجى ...

وهوت شظايا الانفجار ..

وتحطمت أبواب مركز الأبحاث ، أمام تلك المركبات المخيفة ، الشبيهة بالعناكب العملاقة ..

وضغطت (نشوى) الأزرار الأخيرة ، وهى تهتف :

- ساعدهما يا إلهى ! ساعدهما من أجلنا جميعًا .

وارتفعت آلة الزمن عن الأرض ، و (سلوى) تصرخ :

- لا يا (نشوى) .. لا .

ولكن (نور) ضغط زر الانطلاق ، فى نفس اللحظة التى اقتحمت فيها العناكب المعدنية المخيفة المكان ..

وانطلقت آلة الزمن ..

وصرخت (سلوى) :

- لا .. لا ..

ثم دوت فرقعة مكتومة ..

وتلاشت آلة الزمن ..

وواصلت العناكب الآلية المخيفة طريقها ؛ لتحصد أمامها كل شىء ..

بلا استثناء ..

وبلا رحمة ..

* * *

كل شىء ارتجّ فى عنف شديد ، مع انطلاق مركبة الزمن ..

كل شىء ..

وكل شخص ..

وبدوار عنيف ، لوّحت (سلوى) بيدها ، هاتفة :

- رباه ! (نور) ! هناك شىء ما .. تلك الانطلاقة .. إنها .. إنها ..

انقضّ عليها الدوار فى عنف ، قبل أن تكمل عبارتها ، فتشبّثت به ، هاتفة :

- (نور) .

أسرع يتلقّاها بين ذراعيه ، وهى تهوى فاقدة الوعى ، وضمّها إلى صدره فى حنان ملهوف جزع ، وهو يردّد :

- رباه ! كنت على حق يا (سلوى) .. إنه كابوس .. كابوس بشع .

وفى رفق شديد ، انحنى يُرقد جسدها على المقعد الوثير الواسع لآلة الزمن ، قبل أن يلتفت ليلقى نظرة على ما يحدث أمامه ..

شلال منهمر من مختلف ألوان الضوء ، ينساب نحو المركبة من كل صوب ..

نهر من الزمن ، يتدفّق بلا بداية أو نهاية ..

البداية ..

أوّل كلمة قفزت إلى ذهنه ، وهو يلقى جسده المكدود المجهد ، فوق المقعد الثانى ..

ويا لها من بداية ، تلك التى انتهت بهم إلى هذه المأساة الرهيبة ..

والعجيب أن تلك البداية كانت قريبة ..

قريبة للغاية ..

قبل أسبوع واحد فحسب ، كان كل شىء يسير على ما يرام ..

ولم يكن فى الأفق ما يوحى بأية مشكلات أو توترات ..

فيما عدا ذلك الضجيج ..

ألقى نظرة مشفقة حزينة ، على زوجته الفاقدة الوعى ، وخُيّل إليه أنه يشعر بذلك الضجيج العجيب ويسمعه فى وضوح ، وذاكرته تعود به إلى الوراء ..

إلى البداية ..

الرهيبة .

* * *

٢ ـ ضجيج ..

السبت .. أول مايو ـ القرن الحادى والعشرون ..

لم يدر (نور) لماذا استيقظ بهذا الصداع ، فى السادسة صباحًا ، فقد استغرق فى نوم عميق لخمس ساعات كاملة ، ولم يكن يومه السابق عنيفًا أو مجهدًا ، بل على العكس تمامًا ، مضى تقليديًا هادئًا ، على نحو لم يسبق له مثيل ، منذ عام كامل على الأقل ..

كانت زوجته (سلوى) مستغرقة فى نومها ، لذا فقد نهض من الفراش فى حرص ، وراح يعدّ لنفسه قدحًا من الشاى ، وجلس يرتشفه فى بطء وهدوء ، فى شرفة منزله المطلّة على الحديقة ، و ...

وفجأة شعر بذلك الضجيج ..

صوت أشبه بمعركة حامية الوطيس ، تدور على مسافة عدة كيلومترات من مكانه ، ويرتفع صوتها إلى عنان السماء ..

والتقى حاجباه فى شدة ، وهو يدير عينيه فيما

حوله ، بحثًا عن مصدر ذلك الضجيج ، الذى بدا وكأنه ينبعث من كل مكان ..

ومن لا مكان ..

« ماذا يحدث هنا ؟! »

بدا صوت (سلوى) منزعجًا مذعورًا ، وهى تلقى سؤالها هذا ، فالتفت إليها ، ورآها تقف شاحبة ، عند مدخل الشرفة ، فأسرع يحتويها بين ذراعيه ، وهو يقول فى حنان متوتر :

ـ لست أدرى يا عزيزتى .. صدقينى .. لست أدرى .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ارتفع رنين الهاتف ، فامتدّت يده تضغط زره بحركة تلقائية ، وظهرت على الشاشة صورة (نشوى) ، وهى تهتف فى توتر بالغ :

ـ أبى .. هل شعرت بما حدث ؟!

انتبه فى تلك اللحظة فقط ، إلى أن ذلك الضجيج قد توقّف بغتة كما بدأ ، فغمغم :

ـ نعم .. لقد شعرنا به .

برز (رمزى) من خلفها ، وهو يهتف :

ـ ما هذا أيها القائد ؟!

وقبل أن يبحث (نور) فى عقله عن جواب ، اندفعت (سلوى) تقول :

- ذبذبة عالية أكثر من اللازم .

كان هذا يدخل ضمن تخصصها مباشرة ، مما جذب انتباه الجميع ، وجعل (رمزى) يسألها فى قلق :

- وما مصدرها ؟

هزت رأسها فى حيرة عصبية ، مجيبة :

- لست أدرى .

ارتجف صوت (نشوى) ، وهى تسأل :

- أهو مصدر أرضى ؟!

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، من سؤال ابنته ، وسرت فى جسده قشعريرة باردة كالثلج ، وهو يلتفت فى تساؤل قلق إلى زوجته ، وذهنه يستعيد ذكرى قديمة بغيضة ، لايرغب أى مخلوق أرضى فى استعادتها أبدًا .

ذكرى الاحتلال(*) ..

وعبر شاشة هاتف الفيديو ، تعلقت عيون (رمزى) و (نشوى) بشفتى (سلوى) ، التى ضمت جانبى معطفها المنزلى ، وهى تغمغم فى توتر لامحدود :

(*) راجع قصة (الاحتلال) ... المغامرة رقم (٧٦) .



انعقد حاجبا (نور) فى شدة من سؤال ابنته ، وسرت فى جسده قشعريرة باردة كالثلج ، وهو يلتفت فى تساؤل قلق إلى زوجته ..

- أخشى أن ...

قبل أن تتمَّ عبارتها ، تناهى إلى مسامع الجميع صرير إطارات سيارة قديمة ، توقفت بحدة أمام منزل (نور) ، قبل أن يقفز منها (أكرم) ، هاتفًا :

- (نور) .. هل سمعت هذا ؟!

أجابه (نور) فى اقتضاب :

- بالتأكيد .

ثم التفت إلى (سلوى) ، يسألها :

- ما الذى تخشينه بالضبط ؟!

ازدردت (سلوى) لعابها فى صعوبة ، وهى تقول فى خفوت :

- لا يمكننى الجزم بأنه مصدر أرضى .

اتسعت عينا (رمزى) ، وتراجعت (نشوى) ، وهى تطلق شهقة ، هاتفة :

- رباه !

أما (أكرم) ، فقال فى عصبية :

- ما هذا الذى لا يمكنك الجزم بأنه مصدر أرضى ؟! هل تتحدثين عن ذلك الضجيج العجيب ؟!

أومأت برأسها إيجابًا ، فهتف ، وهو يلوّح بذراعيه فى حدة :

- من أين أتى إذن ؟!

انفرجت شفتاها ، لتقول شيئًا ما ، إلا أن ساعة يد (نور) أطلقت فجأة أزيزًا قصيرًا ، توقّف على نحو حرج ، لتضىء الساعة نفسها مرتين ، فقال (نور) فى حزم :

- أعتقد أن هذا يحمل شيئًا من الجواب .

قالها ، واندفع إلى الداخل ؛ ليبدل ملابسه ، فهتف (أكرم) :

- أى جواب ؟!

هتف به (نور) من الداخل :

- احسبها أنت .. أمر غامض يحدث ، ثم يتمّ استدعائى إلى الإدارة بصورة عاجلة !! تُرى ما الذى يعنيه هذا فى رأيك ؟!

انعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يغمغم فى عصبية شديدة :

- آه .. فهمت .

كان رأسه يحمل ألف سؤال وسؤال ، يرغب فى إلقائها على (نور) ، إلا أنه - وعلى الرغم من هذا - لم ينبس ببنت شفة ، وهو يقلّ هذا الأخير ، فى سيارته القديمة ، إلى مبنى إدارة المخابرات العلمية ..

وما إن بلغا المكان ، حتى وثب (نور) من السيارة ، هاتفًا :

- هل ستنتظرنى ؟!

هزّ (أكرم) كتفيه ، قائلاً فى سخرية متوترة :

- ماذا تقترح ؟!

لوّح (نور) بيده ، وهو يعبر بوّابة الإدارة ، فتابع (أكرم) فى عصبية :

- لست أحد السادة ، المسموح لهم بدخول هذه الأماكن العظيمة .

لم يسمع (نور) العبارة ، وهو يجتاز إجراءات الأمن المعتادة ، قبل أن يستقلّ ذلك المصعد الزجاجى الأسطوانى ، الذى انبعث داخله ضوء بنفسجى هادئ ، مع صوت أنثوى آلىّ ناعم ، يقول :

- المقدّم (نور الدين محمود) .. القائد الأعلى والدكتور (جلال) فى انتظارك .. مرحبًا .

لم تمض دقيقة واحدة على هذا ، حتى كان (نور) يؤدى التحية العسكرية أمام القائد الأعلى ، الذى أشار إليه بالجلوس ، قائلاً :

- تفضّل يا (نور) .. أشكرك لحضورك بهذه السرعة .

مطّ الدكتور (جلال) شفتيه ، وقال :

- هذا ما ينبغى أن يفعله أى رجل مخابرات علمى منضبط .

رمقه القائد الأعلى بنظرة صارمة ، قبل أن يعاود الالتفات إلى (نور) ، قائلاً :

- من المؤكّد أنك قد سمعت وشعرت بذلك الضجيج ، كما حدث لنا جميعًا .

أجابه (نور) بإيماءة رأس ، وقال :

- لم يمكننا تفسيره جيّدًا ، ولكن (سلوى) ، باعتبارها خبيرة فى الصوتيات والترددات ، اقترحت أنه ذبذبة صوتية عالية للغاية ..

غمغم الدكتور (جلال) ، فى لهجة بدت أشبه بالسخط :

- إنه كذلك .

ثم تحرك فى عصبية واضحة ، وهو يشير بكفيه ، متابعًا :

- أجهزتنا التقطت تلك الذبذبة ، قبل دقيقة وتسع ثوان ، من بلوغها مرحلة السمع ، التى صنعت ذلك الضجيج ، الذى استغرق بدوره ثلاثين ثانية أخرى ، ثم تلاشى دفعة واحدة ، وكأنما لم يكن له وجود .

سأله (نور) فى اهتمام :

ـ وهل توصلت أجهزتكم إلى تفسير منطقى ، لحدوث تلك الذبذبة ؟!

هزّ الدكتور (جلال) رأسه ، ولوّح بسبّابته ، مجيبًا :

ـ نظريات وافتراضات فحسب .

سأله (نور) باهتمام أكبر :

ـ مثل ماذا ؟!

تبادل الدكتور (جلال) نظرة عصبية مع القائد الأعلى ، قبل أن يجيب هذا الأخير :

ـ محاولة اختراق فضائية .

تساءل (نور) فى دهشة متوترة :

ـ محاولة ماذا ؟!

أجابه الدكتور (جلال) هذه المرة :

ـ محاولة اختراق فضائية يا فتى .. شىء ما يحاول اختراق وتجاوز الحاجز الفضائى ، والمرور عبر مسار كونى خاص ، يختصر الزمن والمسافة ..

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يعقد كفيه خلف ظهره ، ويضيف فى حزم صارم :

ـ مسار نطلق عليه فى معاملنا اسم : (طريق النجوم) .

حدّق (نور) فى وجهه لحظة بدهشة بالغة حائرة ، قبل أن يعتدل فى وقفته ، قائلاً :

ـ سيّدى .. أعتقد أن الأمر بحاجة إلى توضيح أكثر .

زفر الدكتور (جلال) زفرة متوترة ، وتبادل نظرة شديدة العصبية ، مع القائد الأعلى ، قبل أن يشير بيده إلى (نور) ، قائلاً :

ـ اجلس أيها المقدّم ، فالحديث يحتاج إلى كل تركيزك .

جلس (نور) على مقعد وثير ، مواجه لمكتب القائد الأعلى ، فى حين ضغط الدكتور (جلال) زرًا صغيرًا ، فانطفأت أنوار الحجرة ، ثم تكوّنت فى بطء صورة هولوجرافية مجسّمة للمجموعة الشمسية ، وكواكبها وأقمارها تسبح حول الشمس فى هدوء ، والدكتور (جلال) يقول :

ـ منذ بدأ عصر الفضاء ، فى أوائل النصف الثانى من القرن العشرين ، كان التعامل مع المسافات البعيدة

فى الكون هو العقبة الأولى ، فى سبيل الوصول إلى الكواكب البعيدة ، فى مجموعتنا الشمسية ، أو تجاوزها إلى مجموعات أخرى بعيدة .. ومع التطوّر الطبيعى ، أمكن التغلُّب على تلك العقبة إلى درجة محدودة ، ضاعفت من سرعة مركباتنا الفضائية ، وقدرتها على بلوغ أطراف المجموعة الشمسية ، وإن استغرق هذا زمنًا طويلاً ، يقدَّر بعدة سنوات ، انخفضت فى القرن الحادى والعشرين إلى أسابيع محدودة ، أتاحت لنا فحص ودراسة (نبتون) (*) و (بلوتو)(**) ، وإن لم تسمح ببلوغ منظومات شمسية بعيدة بعد .

(*) نبتون : ثامن كواكب المجموعة الشمسية ، يتم دورته حول الشمس فى ١٦٤٫٨ سنة أرضية ، ولقد استنتج (جون كاوتش آدم) و (أوربان جون جوزيف) موقعه ، بعد دراسة عدم انتظام حركة (أورانوس) ، ثم عثر عليه (يوهان جال) عام ١٨٤٦ م ، وهو محاط بغلاف من غازات الأيدروجين والميثان ، وبعض الغازات الأخرى النادرة .

(**) بلوتو : أبعد كواكب المجموعة الشمسية ، كشفه (كلايد ويليام تومبو) ، عام ١٩٣٠ م ، معتمدًا على أعمال (برسيفال لويل) ١٩١٤ م ، الذى كشف وجود ذبذبات غير مفهومة ، فى مسارى (نبتون) و (أورانوس) ، وهو يقطع مساره خارج مسار (نبتون) ، فى ٢٤٨ سنة أرضية .

تفرّقت الصورة الهولوجرافية ، وبدا وكأنها تبتعد وتبتعد ؛ لتشمل المجموعة الشمسية كلها ، ثم الفضاء من حولها ، والمجموعات الشمسية الأخرى ، ثم مجرتنا كلها ، والدكتور (جلال) يتابع :

ـ ثم كانت الحملة الاستكشافية الفضائية الأخيرة ، لكوكب (نبتون) ، عندما أنهى رواد الفضاء مهمتهم ، وبدأوا رحلة عودتهم إلى الأرض .. كان كل شىء يسير على ما يرام ، حتى أصيب جهاز الإرسال بخلل مفاجئ ، وانطلقت منه ذبذبات عالية للغاية ..

أشار (نور) بسبّابته ، قائلاً :

ـ دعنى أخمّن .. لقد شقّت تلك الذبذبات المرتفعة طريقًا جديدًا وسط الفضاء .

هتف الدكتور (جلال) ، فى شىء من الحماس :

ـ بالضبط .. تلك الذبذبات أدّت إلى تشوه ثغرة فضائية مباغتة ، عبرها مكوك الفضاء ، قبل أن يتمكّن روّاده من تفادى الأمر .

وعاد يزفر ، مستطردًا :

ـ وكان هذا من حسن الحظ .

ومع قوله ، اندفعت الصورة الهولوجرافية فجأة ،

فى الاتجاه العكسى ، كقذيفة تنطلق نحو المجموعة الشمسية ..

ونحو كوكب (المريخ) بالتحديد ..

وعندما توقفت الصورة ، أشار إليها الدكتور (جلال) ، قائلاً :

- وفجأة ، وكما يحدث فى أفلام السينما ، وجد رواد الفضاء أنفسهم على مسافة عدة آلاف من الكيلومترات ، من كوكب (المريخ) .. أى أنهم قد عبروا المسافة من (نبتون) إلى (المريخ)(*) ، فى لحظة واحدة ، ودون أن يفقدوا قطرة وقود إضافية .

هتف (نور) مبهورًا :

- إنه كشف علمى تاريخى رائع .

أجابه الدكتور (جلال) فى حماس :

- بالتأكيد .. وهو سر حربى بالغ الخطورة أيضًا ، فبعد أن راجعنا سجلات المكوك ، وحددنا قوة الذبذبة وترددها ، أمكننا تكرار التجربة بنجاح ، كما أمكننا وضع

(*) المجموعة الشمسية : تتكون بالترتيب (بعدًا عن الشمس) ، من : (عطارد) ، (الزهرة) ، (الأرض) ، (المريخ) ، (المشترى) ، (زحل) ، (اورانوس) ، (نبتون) ، (بلوتو) .

عشرات القواعد المتعلقة بها ، مما ساعدنا على المضى قدمًا فى مشروع (طريق النجوم) .

قال (نور) فى اهتمام :

- والمفترض أن يتيح لنا طريق النجوم هذا القفز مباشرة ، من مكان إلى آخر ، عبر الكون الفسيح ، دون قطع المسافات الزمنية التقليدية .. أليس كذلك ؟!

أشار الدكتور (جلال) بسبابته ، مجيبًا :

- بلى أيها المقدم .. حاول أن تتخيل ما يمكن أن يفعله هذا .. حاول أن تتصور الفوائد الجمة ، التى تعود إليك ، مع قطع ملايين السنوات الضوئية فى لحظة واحدة .

بدا الانبهار واضحًا فى صوت (نور) ، وهو يقول :

- رباه ! إنه كشف رهيب بحق !

تبادل القائد الأعلى نظرة عصبية متوترة أخرى ، مع الدكتور (جلال) ، قبل أن يقول فى خفوت :

- المؤسف أننا لسنا وحدنا ندركه يا (نور) .

التفت إليه (نور) بعينين متسائلتين ، فتابع فى توتر :

– ما حدث اليوم يعنى أنه هناك قوة أخرى ، تحاول اختراق طريق النجوم ، حتى تصل إلينا .

سأله (نور) فى توتر :

– قوة مثل ماذا ؟!

وقبل حتى أن يسمع الجواب ، كانت كل خلية فى جسد (نور) ترتجف هلعًا ، والقائد الأعلى يقول :

– غزو أيها المقدّم .. غزو من الفضاء الخارجى ..

* * *

اتسعت عيون أفراد الفريق فى ذهول مذعور ، وهم يحدقون فى وجه (نور) ، الذى أدار بصره فى وجوههم جميعًا ، قبل أن يقول بحزم القائد :

– لو صحّ هذا الافتراض ، فسيعنى الأمر أننا نواجه صورة أخرى ، من تلك الرعب ، الذى عشنا فيه طويلاً من قبل ، والذى أدى إلى انهيار الحضارة الأرضية على نحو مخيف .

غمغمت (نشوى) ، وهى تهز رأسها فى توتر :

– لا يمكننى أن أتخيل المرور بكل هذا مرة أخرى .

تمتم (أكرم) فى عصبية :

– الغزو ، والدمار ، والجحيم ، وأكلة لحوم البشر .. لا .. لست أظن أيًا منا مستعدًا لهذا .

قال (نور) ، فى محاولة لحسم الأمر :

– إنه مجرّد افتراض ، حتى هذه اللحظة .

أشارت إليه (سلوى) ، قائلة فى قلق شديد :

– ولكنه افتراض قوى للغاية يا (نور) ، فلقد أعددت دراسة الموقف كله ، بناء على المعلومات الجديدة ، التى حصلنا عليها من إدارة البحث العلمى ، ووجدت أن الأمر يمثّل محاولة اختراق فضائية بالفعل .

هتف (أكرم) معترضًا :

– ولكن كيف ؟! إن مشروع (طريق النجوم) هذا لايزال سرًا حربيًا محظورًا ، حتى هذه اللحظة ، و ...

« بالنسبة لمن ؟! »

قاطعه صوت (رمزى) ، فى هدوء عجيب ، جعل العيون كلها تلتفت إليه ، وهو يتابع :

– العلم هو العلم ، فى كل زمان ومكان ، والفضاء متاح للجميع ، وقوانينه سيخضع لها الكل ، طبقًا للمنطق العلم ، وهذا يعنى أننا لسنا أول من يكشف سر طريق النجوم هذا .. بل لو أردتم رأيى ، فربما كنا فى آخر القائمة ، بالنسبة لسلسلة من الحضارات

الكونية المتقدمة ، وربما يبرز هذا نجاح تلك الحضارات فى الوصول إلينا ، منذ قرون عديدة ، كما تؤكد المشاهدات ، فى الأساطير القديمة والآثار المختلفة ، وكهوف (تاسيلى) وغيرها .. كل ما حدث هو أننا قد أدركنا الأمر ، وعرفناه ؛ وصار بوسعنا أن ندرك أبعاده .. أما القول بأن طريق النجوم لم يكن معروفًا ، قبل أن نكتشفه نحن ، فهو يذكرنى بتلك المفارقة الساخرة ، عندما أخبر أحدهم ممثلة سينمائية شهيرة أن الأكسجين قد تم كشفه عام ١٦٧٤م ، فسألته فى دهشة عما كان يتنفسه الناس ، قبل ذلك التاريخ(*) ..

ثم اعتدل فى مجلسه ، وهو يستطرد :

ـ الذى أريد قوله ، هو أن الذين يحاولون اختراق فضائنا ، هم حتمًا قوم يسبقوننا بسنوات من التقدُّم والحضارة ، ولديهم علوم تفوق كل ما لدينا .

قال (أكرم) فى عصبية :

ـ أشكرك على رفع معنوياتنا .

هزّ (رمزى) كتفيه ، قائلاً :

(*) واقعة حقيقية .. للأسف .

ـ إنه الواقع ، ولابد أن نواجهه ، مهما بلغت قسوته .

أشار (نور) بيده ، قائلاً فى حزم :

ـ صدقت يا (رمزى) .. مواجهة الواقع وحدها يمكن أن تمنحنا شيئًا من الأمل .

سألته (نشوى) بصوت مرتجف :

ـ الأمل فى ماذا ؟!

أجاب بحزم أكبر :

ـ فى أن نتصدّى للغزاة الجدد .

قالت (سلوى) :

ـ إننا حتى لا ندرك ماهيتهم أو حدود قوتهم .

أجاب ، وهو يتجه نحو خريطة كبيرة :

ـ ولكننا نعلم موقع الاختراق على الأقل .

وأشار بسبابته إلى نقطة بالقرب من (أسوان) (*) ، مكملاً :

ـ هنا .

(*) أسوان : مدينة قديمة ، فرعونية الاسم ، كانت ، كما يدل اسمها وتاريخها ، سوقًا للتجارة بين (مصر) وباقى دول (إفريقيا) ، فيها أغنى محاجر الجرانيت ، التى ارتادها المصريون القدماء ، ومنها اتخذ الفراعنة محطة لحملاتهم الكشفية والحربية والاقتصادية ، تزخر بالآثار القديمة ، ومن معالمها الحديثة السد العالى ، ومحطات توليد الكهرباء العملاقة .

هتف (أكرم) ، فى دهشة بالغة :

ـ (أسوان) ؟! ولكننا سمعنا الصوت بمنتهى الوضوح يا (نور) .. أعنى ذلك الضجيج .

أجابه (نور) فى سرعة :

ـ الاختراق الفضائى يتم بزوايا حادة طويلة ، وما سمعناه وشعرنا به هو رد فعل نقطة الاختراق فحسب ، ومع المسافات الفضائية الهائلة ، والزاوية الحادة ، سيؤدى اختراق تلك النقطة إلى ظهور الغزاة هناك ، بالقرب من (أسوان) .

غمغمت (سلوى) فى توتر :

ـ من الواضح أن علماءنا قد قطعوا شوطًا طويلاً ، فى دراسة طريق النجوم هذا .

قال (نور) فى حزم :

ـ أطول مما يمكنكم تصوّره .

سأله (أكرم) ، دون أن يتخلّى عن عصبيته :

ـ وما الذى اتخذته الدولة ، لمواجهة هذا الاختراق ؟!

اعتدل (نور) ، وشدّ قامته ، وهو يجيب :

ـ الجيش كله يستعد لتلك المواجهة .. لقد تم نقل

أربعة ألوية كاملة إلى هناك ، وسرب كامل من المقاتلات الأرضية ، بالإضافة إلى سربين من المقاتلات الفضائية ، على أهبة الاستعداد ، للتصدّى لأى هجوم محتمل ، ثم إن ...

قاطعته (سلوى) :

ـ ليست لدينا ذرة شك واحدة ، فى أن الدولة قد اتخذت كل الاحتياطات العسكرية اللازمة ، ولكن السؤال هو : ما دورنا نحن ؟! لست أعنى كشعب ، ولكن كفريق .

أومأ (نور) برأسه متفهّمًا ، ثم أطلق من أعمق أعماق صدره زفرة ملتهبة ، حملت كل ما تموج به أعماقه ، من توتر لا محدود ، قبل أن يجيب :

ـ إنهم بحاجة إلى فريق استطلاع .

هتف (أكرم) فى لهجة عجيبة ، وكأنه يتساءل ، ويرفض ، ويحار ، ويستنكر ، فى آن واحد :

ـ فريق ماذا ؟!

أجاب (نور) ، فى حزم وسرعة ، وكأنما يخشى أن تستوقفه مشاعره :

ـ فريق استطلاع يا (أكرم) .. الوسيلة اللازمة

للحصول على قدر كاف من المعلومات ، حول الهجوم الوشيك ، وقوة الخصوم ، وهويتهم ..

فريق يمكنه عبور طريق النجوم ، فى الاتجاه العكسى ، لجمع بعض المعلومات العلمية والفنية عن العدو ، قبل أن يضرب ضربته .

انتهى من كلماته ، فهبط على المكان صمت رهيب ثقيل ، والجميع يتبادلون نظرة ملؤها الدهشة والحيرة ..

والذعر أيضًا ..

ثم كانت (نشوى) أوّل من حطّم حاجز الصمت هذا ، وهى تقول :

ـ رباه .. إنها مهمة ...

قاطعها (نور) ، فى حزم شديد التوتر :

ـ انتحارية .. نعم .. هذا صحيح .. لقد فكّروا فى إرسال شخص آلى ، لجمع الصور والمعلومات ، ولكن المشكلة أن الأشخاص الآلية ، والآلات كلها يمكن خداعها ، عن طريق إشارات زائفة ، أو ترددات خادعة ، أو حتى السيطرة على محركاتها الرئيسية ..

وأدار عينيه فى وجوههم مرة أخرى ، قبل أن يتابع :

ـ لذا فالبشر هم الخيار الأمثل ، لمهمة كهذه .. هم وحدهم يمتلكون قوة الملاحظة ، والعلم ، والقدرة على تقييم الأمور .. هم وحدهم يمكنهم الحصول على معلومات صحيحة ، باستخدام مواهبهم وقدراتهم وخبراتهم ، وتحكمهم فيما تحت أيديهم من تكنولوجيا متطوّرة .

غمغم (أكرم) :

ـ هذا ما أؤكده دائمًا .

أضاف (نور) فى حزم ، وكأنما لم يسمع تعليقه :

ـ والأهم أن يكون هؤلاء البشر علميين .

ثم عاد يشدّ قامته ، مضيفًا :

ـ باختصار ، إنهم يحتاجون إلى فريق علمى ، للقيام بمهمة انتحارية ، قد تنخفض احتمالات النجاة فيها إلى خمسة فى المائة فحسب ، ولكن ربما يعتمد عليها مصير الأرض كلها ، بما عليها ، ومن عليها .

عاد ذلك الصمت الثقيل الرهيب يُخيِّم على المكان مرة أخرى ، والجميع يتبادلون النظرة نفسها ، قبل أن يغمغم (أكرم) فى سخط :

ـ أخبرونى بالله عليكم .. لماذا يعتمد مصير الأرض دائمًا على فريقنا هذا .

قال (رمزى) فى حزم :

ـ إنه قدرنا .

تمتمت (نشوى) بصوت خافت مرتجف :

ـ نعم .. إنه قدرنا .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يقول :

ـ نظرًا للطبيعة الانتحارية للمهمة ، فلا أحد يمكنه إجباركم على قبولها .. كل منكم له كل الحق فى ...

قاطعه (أكرم) فى عصبية :

ـ دعك من الحقوق والواجبات .. إننى سأتبعك إلى الجحيم ، مادمت ستذهب إليه .

وارتسمت ابتسامة مضطربة على شفتى (سلوى) ، وهى تقول :

ـ والزوجة تتبع زوجها دائمًا .

وهزّ (رمزى) كتفيه ، قائلاً بنفس ذلك الهدوء العجيب :

ـ لن تذهبوا بدونى .

أمسكت (نشوى) يده فى حنان ، وهى تقول :

ـ لم يعد لى خيار إذن .. سأتبع حتمًا أبى وزوجى .

بدا التأثر على وجه (نور) ، وهو يقول :

ـ هذا ما توقعته منكم جميعًا .. وما توقعته منكم الإدارة ، حتى إنهم يعدّون مركبتنا الفضائية بالفعل ، وهى مركبة صغيرة الحجم ، مسلّحة بمدافع ليزرية قوية ، ولكنها خفيفة الوزن ، بحيث يعاونها وقودها الأمينى على الانطلاق بسرعات مدهشة ، مع قدرة فائقة على المحاورة والمناورة .

ابتسم (أكرم) ، وهو يقول :

ـ أعتقد أنه سيروق لى جدًا أن أقود شيئًا كهذا .

أما (سلوى) ، فسألت فى توتر :

ـ ومتى تبدأ مهمتنا يا (نور) ؟!

هزّ رأسه ، مجيبًا :

ـ الغزو يمكن أن يحدث فى أية لحظة ، لذا فكل شىء معد بحيث تنطلق بمركبتنا الفضائية ، المزوّدة بكل الأجهزة العلمية المطلوبة ، خلال ساعة واحدة ، و ...

وقبل أن يتم عبارته ، دوى فجأة ذلك الضجيج ..

ولكنه فى هذه المرة ، كان أكثر قوة ..

وأكثر قربًا ..

بكثير .

* * *

٣ ـ الخـوف ..

كل شىء هادئ فى (الإسكندرية) ..

كل شىء ..

الحياة تسير على الوتيرة نفسها ..

الناس منهمكون فى أشغالهم وأعمالهم ..

السيارات تقطع طريق الكورنيش بسرعة متوسطة ..

المارة يتهادون فى بساطة ، و ...

وفجأة ، انطلق ذلك الضجيج ..

انبعث بغتة ، كما لو أن معركة حامية قد نشبت فجأة خلف السحاب ..

وبدهشة تمتزج بالرعب والفزع ، وبتساؤل مذعور حائر ، ارتفعت عيون الجميع إلى السماء ..

وفى اللحظة نفسها ، انشقت السماء ..

أو هكذا خُيِّل للكل ..

لقد ظهرت فيها بغتة ثغرة سوداء واسعة ، اندفعت عبرها مقاتلتان عجيبتا الشكل ، أشبه بنخلتين عملاقتين ،

انقضتا فى عنف وشراسة ، على كل ما يسير على الأرض ..

على المركبات ..

والسيارات ..

والدراجات البخارية ..

والحيوانات ..

وحتى البشر ..

انقضاضة قوية ، عنيفة ، وحشية ، انهمرت معها حزم الليزر القاتلة كالمطر ..

وتفجّر فى أعماق الكل رعب هائل ، وانطلق الجميع يعدون فى كل الاتجاهات ، وهم يطلقون صرخات رهيبة ، وكأنها أنات من قلب الجحيم ..

وانطلقت السيارات تحاول الفرار ..

وأدارت المركبات محركاتها ، لتمخر عباب البحر ، هاربة من ذلك الرعب الفضائى ..

ولكن حزم الليزر انهمرت ..

نسفت المركبات ..

سحقت السيارات ..

أبادت البشر ..

كل هذا خلال ثوان معدودات ..



لقد ظهرت فيها بغتة ثغرة سوداء واسعة ، اندفعت عبرها مقاتلتان عجيبتا الشكل ، أشبه بنخلتين عملاقتين ، انقضتا فى عنف وشراسة ..

وكان من الطبيعى ألا تلقى تلك المقاتلات الفضائية أدنى مقاومة ..

فقبل حتى أن تتحرك المقاتلات الأرضية ، من مطاراتها فى (المنتزه) ، و (سموحة) ، و (رأس التين) ، كانت تلك الوحوش الآلية قد أتمت مهمتها الدموية ، وعادت أدراجها نحو السماء ، التى انشقَّ فيها ذلك الثقب مرة أخرى ، لتختفى فيه المقاتلات ، ثم يعود كل شىء إلى ما كان عليه ..

ويتلاشى الضجيج دفعة واحدة ..

ثم يسود هدوء عجيب ..

هدوء له رائحة الدم ..

والموت ..

* * *

« (الإسكندرية) .. (المنيا) .. (بنى غازى) .. (الرباط) .. (مارسيليا) .. (نابولى) .. (منشستر) .. (بكين) .. (لينتجراد) .. (سيدنى) .. (بيروت) .. (بوينس أيرس) .. (البرازيل) .. (واشنطن) ، (لوس أنجلوس) .. كلها تلقت الضربة نفسها ، فى نفس اللحظة .. »

نطق الدكتور (جلال) العبارة ، فى توتر لم يسبق له مثيل ، وهو يتنقّل بسبّابته على خريطة العالم ، قبل أن يتابع :

ـ وفى كل موقع ، لم تستغرق الضربة سوى ثلاثين ثانية بالضبط ، ثم انسحبت كل المقاتلات دفعة واحدة ، دون تفسير منطقى .

رفع (نور) سبّابته ، قائلاً :

ـ أعتقد إننى أخالفك الرأى هذه المرة يا دكتور (جلال) .

انعقد حاجبا الدكتور (جلال) فى عصبية ، فى حين مال القائد الأعلى إلى الأمام ، يسأل (نور) فى اهتمام :

ـ وفيم تخالفه ؟!

أجاب (نور) :

ـ فى عدم وجود تفسير منطقى ، لذلك الانسحاب السريع .

عقد الدكتور (جلال) ساعديه أمام صدره ، وهو يقول فى حدة :

ـ وهل لديك تفسير أيها العبقرى ؟!

تجاهل (نور) نبرته الحادة ، وهو يقول :

ـ من الواضح أن الهدف الرئيسى لتلك الضربات هو توجيه صفعة نفسية ، تقضى على الروح المعنوية الأرضية تمامًا .

فغر الدكتور (جلال) فاه فى استنكار ، لم يلبث أن حوله إلى هتاف غاضب :

ـ صفعة نفسية وروح معنوية ؟! أى قول هذا أيها المقدّم ؟! هل تعلم كم جشمتنا تلك الصفعة النفسية ؟! أكثر من نصف مليون قتيل ، وضعفهم من المصابين ، فى أنحاء العالم المختلفة ، ودون أن تسقط مقاتلة فضائية واحدة .. هل تدرك مدى الرعب والفزع ، اللذين يجتاحان العالم الآن ؟!

أجابه (نور) فى هدوء :

ـ بل أدركه جيدًا يا سيّدى ، وهذا ما يجعل استنتاجى منطقيًا ، على كل المستويات .. أنت قلتها بنفسك .. لقد فقدنا نصف مليون قتيل ، وضعفهم من المصابين ، فى كل أنحاء العالم ، دون أن نسقط مقاتلة فضائية واحدة .. دعنا نراجع المعطيات إذن ، وستدرك ما أعنيه بالضبط ..

ثم راح يتحرك فى الحجرة ، وهو يقول فى حزم ، وكأنما يتحدث إلى نفسه بصوت مسموع :

ـ من الواضح أن هؤلاء الغزاة لم يكملوا دراستهم عنا بعد .. وأن ذلك الهجوم كان يستهدف إثارة ذعرنا إلى أقصى حد ، ولأنهم لا يعلمون ما الذى يمكن أن تسفر عنه مواجهة مباشرة ، فقد ركزوا ضربتهم فى هجوم خاطف ، وانسحاب سريع ، بحيث يتركون خلفهم نتيجة مثالية تمامًا .. عددًا هائلاً من القتلى والمصابين ، فى دائرة تشمل العالم كله ، ودون أدنى خسائر .

هتف الدكتور (جلال) :

ـ رباه ! إنه تفسير منطقى للغاية .. أنت عبقرى أيها المقدّم .

أومأ (نور) برأسه ، قائلاً :

ـ أشكرك يا سيّدى ، ولكن الأمر لن يقتصر حتمًا على هذا الاختبار .

سأله القائد الأعلى ، فى اهتمام قلق :

ـ ما الذى تتوقعه يا (نور) ؟!

أجاب فى حزم :

ـ ضربة ثانية ، بعدد محدود من المقاتلات ، فى ثلاثة أو أربعة مواضع فحسب .. وستطول هذه المرة ، حتى يحدث اشتباك بينها وبين مقاتلاتنا .

غمغم القائد الأعلى :

ـ نوع من اختبار القوة إذن .

أجاب (نور) :

ـ بالضبط .

تراجع القائد الأعلى فى مقعده ، وشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو يفكر فى عمق ، فى حين لوّح الدكتور (جلال) بيده ، قائلاً :

ـ إنهم يفعلون نفس ما نسعى نحن لفعله .. يجمعون المعلومات عن الخصم .

قال القائد الأعلى فى حزم :

ـ لابد أن نسبقهم إلى هذا إذن .

شدّ (نور) قامته ، قائلاً :

ـ فريقى مستعد للإقلاع فورًا يا سيّدى .

أومأ القائد الأعلى برأسه ، مغمغمًا :

ـ عظيم .

ثم نهض من خلف مكتبه ، وربّت على كتف (نور) ، مستطردًا فى قلق ملحوظ :

ـ نحن نعلم أنها مهمة انتحارية يا (نور) ، ولكن عليكم أن تبذلوا قصارى جهدكم ، للعودة إلى هنا ، فنحن فى أمسّ الحاجة إلى تلك المعلومات ، التى قد يمكنكم الحصول عليها .. لقد كنا نتصورّ ، منذ نصف الساعة فقط ، أننا نستطيع تحديد موقع الاختراق ، ثم باغتنا الغزاة باختراقات متعدّدة مدروسة ، تؤكّد أن معلوماتهم عن طريق النجوم ، تفوق معلوماتنا بمئات المرات .. إننا لم نستطع اتخاذ قرار بسحب قواتنا من (أسوان) ، ولم يمكننا إعادة توزيعها فى الوقت ذاته ، وهذا يعنى أننا أصبحنا عاجزين عن اتخاذ أية خطوة دفاعية ، إذا ما حدث الغزو .

وتنهّد فى مرارة ، متابعًا :

ـ ثم إن موجة الرعب قد تفجّرت بالفعل ، والعالم كله يرتجف من مجرّد احتمال تكرار التجربة .

وأدار رأسه إلى (نور) ، وتطلّع إلى عينيه مباشرة ، قبل أن يضيف :

ـ لهذا ، فنحن فى أمس الحاجة ، لكل ما يمكنكم إحضاره .

أجابه (نور) فى حزم :

ـ اطمئن يا سيّدى .. سنبذل كل ما يمكننا بذله .

ثم انعقد حاجباه ، مضيفًا فى صرامة :

ـ حتى حياتنا نفسها ، لو اقتضى الأمر .

ربّت القائد الأعلى على كتفه مرة أخرى ، دون أن ينبس ببنت شفة ..

فلم يعد هناك ما يقال ..

على الإطلاق ..

* * *

« من المقدّم (نور الدين) ، قائد المكوك الفضائى (ابن ماجد) ، إلى القاعدة الأرضية .. كل شىء يسير على ما يرام .. المحركات تعمل بكفاءة ، ومستوى الضغط والهواء مثالى ، ونستعد للإقلاع .. »

نطق (نور) عبارته فى حزم ، وهو يجلس على مقعد قيادة المكوك الفضائى الصغير ، المعدّ خصيصًا لمهمتهم الانتحارية ، فازدرد الجميع لعابهم ، وتشبثوا فى مقاعدهم ، فيما عدا (أكرم) ، الذى قال فى سخرية عصبية :

ـ مرحى يا رفاق .. ها نحن أولاء نستعد لاقتحام الجحيم .

لم يعلّق أحدهم على عبارته ، فى حين انبعث صوت حازم صارم ، عبر أجهزة الاتصال ، يقول :

ـ تمت إجراءات الإقلاع ، وسيبدأ العد التنازلى .. عشر .. تسع .. ثمان .. سبع ..

توالى العد التنازلى ، وراحت قلوب الجميع تخفق فى قوة وعنف ، وتشبث كل منهم بمقعده أكثر وأكثر ، و ...

« صفر .. »

انطلق العد الأخير ، وضغط (نور) زرًا أصفر كبيرًا ..

وأقلع مكوك الفضاء ..

انطلقت ألسنة اللهب من أنابيب العادم ، وارتفع جسمه عن الأرض ..

ثم انطلق ..

انطلق بزاوية حادة شبه قائمة ، نحو الفضاء مباشرة ..

وعندما تجاوز السحب بثلاثة كيلومترات ، انطلقت منه تلك الذبذبة المرتفعة ..

ثم سمع الجميع نوعًا من الضجيج ..

وتألق المكوك لحظة ..

ثم اختفى ..

اختفى بكل ما عليه ، ومن عليه ، لينطلق بكل قوته عبر الطريق ..

طريق النجوم ..

* * *

عضت (مشيرة) شفتيها ، فى ألم ومرارة ، وراحت تنتحب بلا دموع ، وجسدها يرتجف فى شدة ، وهى تتطلع إلى بحر الدم ، الذى غمر منطقة الكورنيش ..

ودون أن تدرى ، وجدت نفسها تهتف :

ـ يا للبشاعة ! يا للبشاعة !

سألها مساعدها فى قلق :

ـ هل نلتقط الصور لما حدث يا سيدتى ؟!

صاحت به فى حدة :

ـ بالطبع يا رجل .. ماذا تنتظر ؟!

ارتبك ، وهو يغمغم :

ـ لقد تصورت لحظة أن ...

ثم بتر عبارته ، وهز رأسه ، مكملاً :

ـ لابأس .. سأنقل الصورة كلها .

مسحت هى دموعًا بدأت تنحدر من عينيها ، وهى تمسك الميكروفون ، قائلة :

- سيداتى سادتى .. مشاهدى (أنباء الفيديو) فى كل مكان .. إننا نتحدث إليكم من ساحة القتال .. معذرة .. من المذبحة الرهيبة ، التى صنعها غزاة الفضاء بمواطنينا الأبرياء .. غزاة الفضاء .. دعونا نتوقف طويلاً عند هذا المصطلح !! أهذا بالفعل من عمل غزاة فضائيين ؟! هل تواجه الأرض شبح احتلال جديد ؟! هل سنحيا مرة أخرى ذلك الجحيم ، الذى لم تتلاش آثاره كلها بعد .. هاهى ذى (القاهرة) القديمة على بعد أمتار قليلة منا ، شاهدة على مافعله بنا غزو سابق .. حتى بعد رحيل الغزاة .. صدقونى .. إننى أشارككم الرعب نفسه .. لايمكننى أن أتصور مايمكن أن يحدث ، لو بلينا بغزو جديد .. لايمكننى أن أتخيل ..

« لقد توقف البث .. »

ارتفع صوت مساعدها بالعبارة ، فى عصبية شديدة ، فانعقد حاجباها فى توتر شديد ، وهى تهتف :

- ماذا تعنى بأن البث قد توقف ؟! من جرؤ على إيقافه ؟!

انفرجت شفتا مساعدها ؛ ليجيب السؤال ، ولكن

صوتاً صارماً انبعث من خلفه يقول :

- أنا .

أدارت عينيها فى سرعة إلى مصدر الصوت ، ثم انعقد حاجباها فى شدة ، عندما وقع بصرها على رجل ممشوق القامة ، عريض المنكبين ، حاد القسمات ، تقدم نحوها ، وهو يقدم نفسه ، قائلاً :

- العميد (أشرف لبيب) .. من هيئة الأمن القومى .

قالت فى عصبية :

- تشرفنا .. والآن لماذا أوقفت البث ؟!

أجابها فى برود لا يخلو من الحزم :

- أمن الدولة يحتم هذا .

صاحت فى غضب :

- أمن الدولة ؟! أى أمن وأية دولة ؟! وماصلة أمن الدولة بما نقول ؟! إننا نصف حادثة يعرفها الجميع .

أجاب فى صرامة :

- بل تنقلون صورة بشعة إلى المواطنين ، على نحو يكفى لإصابتهم برعب هائل ، نحن فى غنى عنه ، فى هذه الظروف .

هتفت :

ـ تنقل ماذا ؟! لو أنك لا تعلم ، فالأمر لم يعد بحاجة إلى نقل أية صورة يا هذا .. إنه حدث عالمي .. كل قارة فى العالم أصابها ما أصابنا ، وكلها تبث ماحدث ، عبر الأقمار الصناعية ، بحيث يشاهده العالم أجمع ، فلماذا نتخلف عن الركب .

صاح بها :

ـ أى ركب يا سيدة (مشيرة) ؟! أى ركب ؟! إنها كارثة رهيبة ، نواجهها بكل قوتنا وكياننا ، وكل مايهدف إليه خصمنا ـ أيًا كان ـ هو أن يحطم مقاومتنا ، وينسف روحنا المعنوية ، حتى يمكنه سحقنا بأنامله ، دون أن تقوم لنا قائمة .. وما تفعلينه أنت ، ومن يسيرون فى ركبك هذا ، هو أفضل ما يتمناه العدو ، دون أن تدركوا هذا .. إنه يقودكم كالنعاج لتحقيق أغراضه ، وأنتم تتصورون أنكم آلهة الحرية والديموقراطية .. هيا .. عاندوا وكابروا ، وامنحوا الغزاة عالمًا التهمه الخوف والفزع ، ولم يعد باستطاعته أن يقاوم لحظة واحدة .

قالت فى حدة :

ـ ولمَ لا تقول : إننا سنمنحهم عالمًا واعيًا ، مدركًا ، يفهم عدوه ، ويقدر على مواجهته ؟!

بدا شديد الغضب والصرامة ، وهو يجيب :

ـ يفهم ماذا ، ويقدر على ماذا ؟! هل تتصوَّرين أنه عالم من أبطال الأساطير والفرسان المغاوير ؟! إنه عالم عادى يا سيدتى .. بسيط .. ينظر تسعون فى المائة من سكانه إلى الأمور نظرة سطحية ، جاهلة ، بحيث يمكن التأثير فيهم ، عبر أية وسيلة إعلامية قوية ، وأعتقد أنكم خير من يدرك هذا .

قالت غاضبة :

ـ ما أدركه هو أن ...

قبل أن تتمّ عبارتها ، انبعث ذلك الضجيج مرة أخرى فجأة ..

انبعث لحظة واحدة ، ثم خبا فى سرعة ..

وعلى الرغم من أن الانبعاث والخبو لم يستغرقا سوى تلك اللحظة ، فقد خفقت معهما قلوب الجميع فى عنف ..

وخوف ..

وارتياع ..

أما (مشيرة) بالذات ، فقد اعتصر الخوف قلبها

على نحو لم يحدث من قبل ..

فعلى الرغم من جهلها التام برحلة زوجها ، ومهمته الانتحارية ، عبر طريق النجوم ، إلا أن شيئًا ما فى أعماقها أطلق طاقة هائلة من الخوف ..

خوف بلا حدود ..

* * *

شعور عجيب ، ذلك الذى أصاب الجميع ، مع عبورهم إلى طريق النجوم ..

ارتجافة قوية سرت فى أجسادهم ..

مع قشعريرة باردة كالثلج ..

ومع لحظة العبور ، خُيّل إليهم أن رياحًا باردة قد هبّت فى وجوههم ، وانتزعت قلوبهم من صدورهم ..

ثم تلاشى كل هذا دفعة واحدة ..

وظهر أمامهم الفضاء السرمدى ، بنجومه وكواكبه ، ومجموعاته الشمسية ، المتناثرة على مسافة واسعة للغاية ..

وعلى شاشة الكمبيوتر ، ظهرت عبارة تحدّد موقعهم الحالى ..

وفى دهشة ، هتف (أكرم) :

- رباه ! إننا على مسافة ثلاث سنوات ضوئية من الأرض (*) ..

هتفت (نشوى) ذاهلة :

- كم ؟!

أما (سلوى) ، فقد شهقت مغمغمة :

- رباه ! طريق النجوم هذا كشف رهيب بحق .

وأضاف (رمزى) مبهورًا :

- ثلاث سنوات ضوئية بقفزة واحدة ؟! يا إلهى !

راجع (نور) الأرقام والبيانات ، قبل أن يقول فى حزم :

- المفترض أننا هنا فى نفس البقعة ، التى أتت منها محاولة الأختراق الأولى .

أدار (أكرم) عينيه فيما حوله فى حذر ، قبل أن يقول :

- عجبًا ! كل شىء يبدو لى هادئًا خاليًا ، والفضاء يمتدّ إلى ما لانهاية ، دون أى أثر .. لا سفن فضاء أو مركبات أو مقاتلات !!

(*) السنة الضوئية : مقياس فلكى للمسافات الفضائية البعيدة ، وهو عبارة عن المسافة التى يقطعها الضوء ، خلال سنة كاملة ، بسرعته البالغة ١٨٦٠٠٠ ميل/ث .

فحص الجميع المكان بأبصارهم ، وقالت (سلوى) :

ـ لا توجد حتى كواكب واضحة فى الجوار ..

غمغمت (نشوى) :

ـ تُرى ما الذى يعنيه هذا ؟!

قال (رمزى) فى قلق :

ـ ربما وصلنا إلى منطقة خطأ .

هزّ (نور) رأسه نفيًا ، وهو يقول فى حزم :

ـ مستحيل ! الخبراء درسوا الأمر بمنتهى الدقة ، والكمبيوتر يؤكِّد أننا فى البقعة الصحيحة تمامًا .

قال (أكرم) :

ـ ربما كانت نفس النقطة ، التى انبعث منها الضجيج الأوّل ، ولكنها ليست تلك التى بدأ منها الهجوم .

غمغم (نور) :

ـ هذا صحيح .

ثم أضاف فى حزم :

ـ ولكن الهجوم جاء من نقاط عديدة .

شحب وجه (سلوى) ، وهى تقول :

ـ (نور) .. أخشى أنهم قد خدعونا .

قال فى توتر :

ـ ماذا تعنين ؟!

أجابته بصوت مرتجف :

ـ من الواضح أن خبراتهم فى التعامل مع طريق النجوم هذا ضخمة للغاية ، وأنهم يدركون ، على نحو ما ، أننا قد توصّلنا إليه ، لذا فهم يعبثون بنا ، ويقودوننا إلى نقطةٍ ما ، فى حين يشنون هجومهم من نقطة أخرى .

قال فى حزم :

ـ ليس لديهم ما يبرِّر أن يفعلوا هذا ، مادام باستطاعتهم اختراق طريق النجوم ، فى أية بقعة يرغبون .

قالت (نشوى) فى انفعال :

ـ ولكنك قلت : إنهم مازالوا يفتقرون إلى المعلومات عنا يا أبى ، ومازالوا يجهلون ما يمكن أن تسفر عنه مواجهة مباشرة .

صمت بضع لحظات ، محاولاً استيعاب منطقهم ، ثم لم يلبث أن هزّ رأسه فى قوة ، قائلاً :

ـ كلا .. هناك تفسير آخر حتمًا .

أشار (رمزى) بيده ، وهو يقول :

ـ ماذا يقول الكمبيوتر ، عن الكواكب التى يحتمل وجود حياة على سطحها ، فى محيطنا هذا ؟!

جرت أصابع (نور) على أزرار الكمبيوتر بضع لحظات ، قبل أن يهزّ رأسه نفيًا ، ويقول :

ـ لا توجد أية كواكب صالحة للحياة ، فى دائرة نص قطرها مليون كيلومتر .

تبادل الجميع نظرة حائرة ، ثم راحت (سلوى) تضغط أزرار جهازها ، قائلة :

ـ فليكن .. وجدنا شيئًا أم لا ، فالمهم أن نؤدّى عملنا ، الذى أتينا من أجله .. سنجمع كل ما تيسّر من معلومات ، عن المكان الذى أتت منه محاولة الاختراق الأولى ، و ...

قبل أن تتمّ عبارتها ، ارتجّت المركبة الفضائية بغتة ..

وشهقت هى فى ذعر ، فى حين اتسعت عينا (رمزى) ، وانعقد حاجبا (نور) و (أكرم) ، فى حين هتف (رمزى) :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

هزّ (نور) رأسه نفيًا ، وهو يتطلّع إلى شاشة الكمبيوتر ، مجيبًا :

ـ لست أدرى .. حتى الكمبيوتر عجز عن تفسير هذا الأمر .

أجابته (سلوى) بصوت مرتجف :

ـ ولكن جهازى فعل .

التفت إليها الجميع في دهشة ، فتابعت بصوت أكثر ارتجافًا :

ـ إنه ضجيج آخر .

اتسعت عيونهم فى توتر ، وهتف (نور) :

ـ ضجيج آخر ؟!

انعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يقول فى عصبية :

ـ أى ضجيج ؟! إننى لم أسمع شيئًا .

أجابه (نور) فى حزم ، وهو يضغط أزرار الكمبيوتر فى سرعة :

ـ لن يمكنك أن تسمع الضجيج هنا ؛ لأن الصوت لا ينتقل فى الفراغ (*) ، ولكنك ستشعر بترددانه .

(*) حقيقة علمية .



أجابه (نور) فى حزم ، وهو يضغط أزرار الكمبيوتر فى سرعة :
ـ لن يمكنك أن تسمع الضجيج هنا ؟

هتف (أكرم) :
ـ تقصد أن هذه الارتجاجة كانت ..
قبل أن يتمّ سؤاله ..
وقبل أن يجيبه (نور) ..
برزت فجأة مقاتلتان فضائيتان ، من مقاتلات الغزاة ..
برزتا من قلب الفضاء السرمدى ، وكأنما أتيتا من العدم ..
ودون أدنى صوت ، انقضتا على مكوك الفضاء (ابن ماجد) ..
بمنتهى الشراسة ..
والعنف .

* * *



٤ ـ الفضائيون ..

« الكل على أهبة الاستعداد .. »

نطق القائد الأعلى العبارة ، وهو يراجع تقارير الكمبيوتر الأخيرة ، قبل أن يلوّح بيده ، مستطردًا :

ـ القوات الجوية والفضائية مستعدة للمواجهة ، فى كل المحاور والمطارات ، من شرق (مصر) إلى غربها ، ولقد تدرّبوا على التدخل خلال دقيقة واحدة من الاختراق ..

تنهّد الدكتور (جلال) ، وقال :

ـ هذا لو منحونا تلك الدقيقة .

قلب القائد الأعلى كفيه ، قائلاً :

ـ هذا كل ما بيدنا .

ثم تراجع فى مقعده ، ليسأله فى اهتمام :

ـ وماذا عن رجالك ؟!

زفر الدكتور (جلال) ، قبل أن يجيب :

ـ إنهم يبذلون قصارى جهدهم ، بحثًا عن وسيلة لمنع هؤلاء الغزاة من اختراق فضائنا ، ولكن يبدو أن

جهودهم كلها عبثية ، إذ من المستحيل إغلاق طريق النجوم ، فى كل نقطة من الأرض .. سيجدون حتمًا وسيلة لبلوغ عالمنا .

ثم مال نحوه ، مستطردًا فى حزم :

ـ ما لم نبلغ نحن عالمهم أولاً .

مطّ القائد الأعلى شفتيه ، مغمغمًا :

ـ ليس قبل أن تصلنا معلومات كافية عنهم .

عضّ الدكتور (جلال) شفته السفلى لبعض الوقت ، قبل أن يسأل فى توتر :

ـ هل تعتقد أنهم سينجحون ؟!

هزّ القائد الأعلى رأسه ، مجيبًا فى خفوت :

ـ إنهم أملنا الوحيد .

جلس الدكتور (جلال) على أقرب مقعد إليه ، وشبك أصابع كفيه أمامه ، وهو يقول :

ـ هل تعلم .. لقد أدرت الأمر فى رأسى ، فوجدت أنهم ، عندما يصلون إلى هدفهم ، عبر طريق النجوم ، لن يجدوا شيئًا على الإطلاق .

انعقد حاجبا القائد الأعلى ، وهو يعتدل فى مجلسه ، متسائلاً :

- ماذا تعنى ؟!

أشار بيده ، مجيبًا :

- لو أننى فى موضع أولئك الغزاة ، وأردت أن أعبر طريق النجوم إلى عالم آخر ، أخشى أن تكون لديه بعض المعلومات عن الطريق ، فإننى لن أعبره قط من عالمى مباشرة .

كرّر القائد الأعلى سؤاله ، فى قلق عارم :

- ما الذى يعنيه هذا ؟!

أجابه الدكتور (جلال) :

- لابد أن أحمى عالمى ، وأحافظ على سره ، وأنا أنتقل إلى عالم آخر ، لذا فمن المنطقى أن أقفز أولاً إلى نقطة محايدة ، ثم أثب منها إلى ذلك العالم الآخر ، وبهذا لايمكن أن تقود المعلومات ، مهما بلغت دقتها ، سكان ذلك العالم الآخر ، إلا إلى تلك النقطة المحايدة فحسب ، وليس إلى عالمى .

انعقد حاجبا القائد الأعلى أكثر وأكثر ، وهو يتراجع فى مقعده ببطء ، قائلاً :

- فكرة منطقية للغاية .

ثم اعتدل بحركة حادة ، مستدركًا :

- ولكنهم لن يتركوا تلك النقطة المحايدة بلا حراسة .

اتسعت عينا الدكتور (جلال) ، وهو يهتف :

- رباه ! هذا صحيح .

قال القائد الأعلى فى توتر :

- ويعنى أن (نور) وفريقه فى خطر .. خطر حقيقى .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى أضىء مصباح أحمر متذبذب فوق سطح مكتبه ، فانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يهتف :

- رباه ! الأجهزة سجلّت ضجيجًا آخر .

قالها ، فامتقع وجه الدكتور (جلال) فى شدة ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وخفق قلبه كألف ألف قنبلة ..

فذلك الضجيج الجديد كان يعنى أن المواجهة ، قد حانت ..

المواجهة بين القوات الأرضية ، والغزاة ..

غزاة الفضاء ..

* * *

جاء الاختراق هذه المرة فوق (القاهرة) الجديدة تمامًا ..

ثلاث من مقاتلات الغزاة اخترقت فضاءنا ، ووثبت إلى عالمنا فى عنف ، بشكلها الشبيه بالنحل العملاق .

ودون رحمة أو هوادة ـ كالمعتاد ـ انطلقت تحصد كل ما تجده أمامها ..

السيارات ..

المنازل ..

الحيوانات ..

والبشر ..

ومن قواعدها ، انطلقت المقاتلات الأرضية ..

سرب كامل ، انقضّ على المقاتلات الفضائية الثلاث ، بمنتهى القوة والبسالة ..

وانطلقت صواريخ مقاتلاتنا ، وحزم أشعتهم الليزرية ..

ودوى انفجار عنيف ..

صواريخنا أصابت واحدة من مقاتلات الغزاة ، ونسفتها نسفًا ..

وفى جزء من الثانية ، انطلقت المقاتلتان الأخريان ،

تبتعدان عن مرمى النيران ، ثم دارتا حول نفسيهما بمشهد عجيب ، قبل أن تنفصل عنهما مئات من الكرات الصغيرة السوداء ، التى انطلقت نحو مقاتلاتنا مباشرة ..

ومن تلك الكرات السوداء ، انطلقت موجات كهرومغنطيسية قوية ، تحيط بمقاتلاتنا على نحو عجيب ..

وصرخ قائد السرب ، عبر جهاز الاتصال :

ـ رباه ! لقد توقفت محركاتنا ، وأسلحتنا كلها لاتعمل .. إننا نهوى .. يا إلهى ! ماذا فعلوا بنا .

ومع آخر حروف صرخته ، التى لم تنقلها أجهزة الاتصال ، بعدما أصابها من عطب إليكترونى ، بسبب تلك الموجات الكهرومغنطيسية القوية ، انقضت مقاتلتنا الغزاة ..

وهوت حزم أشعتهم ..

وأيضًا بلا رحمة ..

وكانت كارثة رهيبة ، بأى مقياس عسكرى ..

ومنطقى ..

وإنسانى ..

سرب كامل من مقاتلاتنا الحربية ، مع أفضل وخيرة شباب (مصر) ، سحقهم الغزاة فى ثوان معدودة ..

ويا له من مشهد رهيب ..

بل يا له من حزن مرير ، ذلك الذى اعتصر قلب القائد الأعلى ، وهو يشاهد مقاتلاتنا تتساقط أمامه كشهاب مشتعل ، لتنفجر وسط مناطق آهلة ومزدحمة بالسكان ..

وتمامًا كما حدث فى المرة الأولى ، لم تكد المقاتلات الفضائية تتمّ مهمتها ، حتى انسحبت فى سرعة ، وعبرت ذلك الشق ، لتتلاشى خلفه ، فى طريق النجوم ، تاركة خلفها بركانًا من الغضب والحزن ، والألم ، والمرارة ..

والخوف ..

بركان تفجّر فى أعماق الجميع ، وعلى رأسهم القائد الأعلى والدكتور (جلال) ، اللذين أدركا أن المواجهة التى تنبأ بها (نور) قد بدأت وانتهت ..

وأن الغزاة قد أدركوا تمامًا مدى قوتهم ..

وهذا يعنى انتقالهم حتمًا إلى الخطوة التالية ..

إلى الغزو ..

مباشرة ..

* * *

كمقاتل فضائى محترف ، ورجل مخابرات علمى ، تلقّى تدريبات مكثفة عديدة ، لم يكد (نور) يلمح المقاتلتين الفضائيتين ، حتى انحرف بمركبته فى سرعة مدهشة ، ساعدته على تفادى حزمتى ليزر قويتين ، أطلقتهما المقاتلة الأولى ، فى حين دارت الثانية بسرعة مذهلة ، فى محاولة لحصاره بينهما ..

ومع خفة مركبته ، وقدرتها الفائقة على المناورة ، هبط (نور) فى سرعة ، ثم اندفع أسفل المقاتلة الثانية ، للإفلات من الحصار ، و ...

وأطلقت المقاتلة الأولى حزمة ليزر ..

وشعر الجميع بالضربة ، فى جسم مقاتلتهم ، فصرخت (نشوى) :

ـ رباه ! لقد أصابونا .

هتف (نور) ، وهو ينحرف إلى اليسار فى عنف :

ـ إصابة محدودة ، لم تفسد آلات التوجيه الرئيسية .

صاحت (سلوى) فى ذعر :

ـ كيف يمكنك الجزم بهذا ؟!

مال بالمركبة ، ليواجه إحدى المقاتلتين ، وهو يهتف :

ـ إننا نواصل الانطلاق .. أليس كذلك ؟!

ألقى هتافه ، وضغط زر الإطلاق ، ورأى شعاعى ليزر قويين ، ينطلقان من مركبته ، نحو مركبة الغزاة ..

ولقد تحركت المقاتلة الفضائية فى سرعة ..

وأمكنها أن تتفادى الشعاعين ..

أو كادت ..

فمع انحرافها وميلها ، أصاب أحد الشعاعين جناحها الرقيق شبه الشفاف ، و ...

وانفصل الجناح فى عنف ..

واختلّ توازن المقاتلة ..

واندفعت فى الفضاء ..

وبينما تدور حول نفسها فى عنف ، وهى تغوص أكثر وأكثر ، فى فضاء سرمدى لا نهائى ، كان (نور) ينحرف بمركبته ثانية ، وينخفض بها فى سرعة

مدهشة ، ليتفادى حزمتى ليزر ، أطلقتهما المقاتلة الثانية ، وهى تنقضّ عليه فى وحشية شديدة ..

وبقفزة أمامية ، ودوران خلفى مدهش ، أصبح (نور) خلف المقاتلة الثانية تمامًا ..

وأطلق النار ..

ووسط الفضاء الصامت ، وبصمت ينافس القبور ، انفجرت المقاتلة الفضائية الثانية ، وتناثرت شظاياها لمسافة واسعة ..

ولوهلة ، اتسعت عيون الجميع فى انبهار ، قبل أن يهتف (أكرم) :

ـ رباه ! لقد فعلتها يا (نور) .. لقد ..

قبل أن يتمّ عبارته ، صرخ (رمزى) :

ـ احترس ..

ومع صرخته ، رأى الجميع شظية كبيرة ، من شظايا الآلة ، وهى تندفع نحوهم فى عنف وسرعة ..

وصاحت (سلوى) :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

وانحرف (نور) بكل مهارته وسرعته ..

وتجاوزت الشظية الكبيرة جسم المركبة ..

وهتف (رمزى) :

ـ رباه ! لقد نجونا ..

ولكنه لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ارتطمت الشظية بدفة الذيل ، وحطمتها فى عنف ..

واختلّ توازن المكوك الفضائى على نحو مخيف ..

وصرخت (سلوى) و (نشوى) ..

واتسعت عينا (رمزى) ..

وعقد (أكرم) حاجبيه فى شدة ..

أما (نور) ، فقد أمسك مقود المكوك بكل قوته ، وراح يعالج كل أجهزة التوجيه فيه ، فى محاولة للسيطرة عليه ..

ولم يكن ذلك سهلاً أو هينًا ..

ولكنه فعلها ..

أخيرًا أمكنه السيطرة على المكوك ، وأطلق صواريخه العكسية ، بمنتهى الدقة والسرعة والمهارة ..

حتى توقّف تمامًا ..

وسط فضاء بلا نهاية ..

وكان هذا أكثر إثارة للرعب ..

بلا حدود ..

* * *

« الصورة لا تبشّر بالخير أبدًا أيها السادة .. »

نطق رئيس الجمهورية العبارة ، فى توتر شديد ، وهو يواجه قادة الجيش والأمن ، الذين اجتمع بهم فى مبنى هيئة الأمن القومى ، قبل أن يشير بيده فى توتر عصبى ، متابعًا :

ـ كل المواجهات انتهت بالفشل ، فى (مصر) ، و (أمريكا) ، و (إنجلترا) ، و (اليابان) ، و (أستراليا) .. كلها انتهت بكوارث رهيبة ، وخسائر فادحة فى الأفراد والمعدات .. صورة تؤكد أننا سنحيا عذاب وجحيم احتلال آخر ، لا قبل لنا به .

سأله وزير الدفاع فى توتر لا يقلّ عن توتره :

ـ وما موقف الدول الأخرى يا فخامة الرئيس ؟!

زفر الرئيس فى مرارة ، مجيبًا :

ـ سيئ للغاية .

ثم هزّ رأسه فى أسى ، متابعًا :

ـ (أمريكا) و (اليابان) قررتا الاستسلام ، حفاظًا على أرواح مواطنيهم ، من قتال غير متكافئ ، وانضمّت إليهما (روسيا) منذ قليل ، و (إنجلترا) مازالت تنتظر ما ستسفر عنه الأمور كالمعتاد ، والباقون

لا يحتاجون إلا لضغط بسيط ، ثم يلحقون بهم ..

باختصار أيها السادة ، لقد نجح الغزاة فى تحطيم الروح المعنوية الأرضية تمامًا .

تبادل الجميع نظرات متوترة للغاية ، قبل أن يسأل قائد القوات البحرية :

ـ هل يعنى هذا أننا سنستسلم أيضًا يا فخامة الرئيس ؟! هل نسلِّم علمنا وكرامتنا وترابنا للعدو ، حفاظًا على حياتنا ، وحياة شعبنا ؟!

هتف الرئيس فى حدة :

ـ لا تنس أننا مسئولون عن حياة هذا الشعب ، ولا يمكننا أن نضحى بها ، دون أمل ولو ضئيل .

تنحنح القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، قائلاً :

ـ لو عاد (نور) وفريقه بالمعلومات اللازمة ، فقد ..

قاطعه الرئيس فى حدة :

ـ أما زلت تنتظر عودة (نور) وفريقه ؟! هيا .. استيقظ يا رجل .. إنها الواحدة والنصف بعد منتصف الليل ، وفريقك هذا انطلق منذ ما يزيد على عشر ساعات ، دون خبر واحد .. انس الفريق والمعلومات يا رجل ، وانظر إلى الأمر بواقعية .

أجابه القائد الأعلى فى حزم :

ـ الفريق موجود يا سيادة الرئيس ، وسيعود بإذن الله ، ومن يدرى .. ربما ..

قاطعه الرئيس فى حدة :

ـ لا يوجد ربما .. أريد حقائق واضحة ، وأرقامًا لا تقبل الجدل .. ألديك هذا أم أبحث عنه فى مكان آخر ؟!

احتقن وجه القائد الأعلى ، وهو يقول :

ـ سيادة الرئيس .. هل تطالبنى بالاستقالة ؟!

صاح الرئيس :

ـ وما الفارق ؟! كلنا سنترك مقاعدنا ، مع بداية الغزو يا رجل .. كلنا سينتهى أمرنا ، فى غضون ساعات .

قال القائد الأعلى :

ـ وماذا لو ؟!

هتف الرئيس :

ـ لا أريد ماذا أو لو .. أريد حقائق .. فقط حقائق .

هزّ القائد الأعلى رأسه فى حزم ، وهو يقول :

ـ هذا ما لا أملكه ، فى الوقت الحالى يا فخامة

الرئيس .. لقد قدمت كل ما توصل إليه مركز الأبحاث ، وكل ما استنتجوه واستنبطوه من معلومات ، وهذا كل ما لدى .. بل ما لدينا جميعًا ، لو توخينا الدقة .

صاح الرئيس فى غضب :

ـ ما الذى تلمّح إليه بالضبط أيها القائد ؟!

أجابه القائد الأعلى فى صرامة :

ـ لا شيء يا سيادة الرئيس .. أنت قلتها .. كلنا سنترك مقاعدنا ، وسينتهى أمرنا فى غضون ساعات ، عندما يبدأ الغزو .

امتقع وجه الرئيس ، وهو يتراجع مغمغمًا :

ـ أنت على حق يا رجل .. أنت على حق ..

ثم تحرك من مكانه ، وهو يحرك كفيه فى عصبية ، متابعًا :

ـ المشكلة أن الموقف لم يعد يحتمل حتى التردد ، فالعالم ليس مغلقًا ، كما كان فى الأزمان القديمة .. لقد صار أشبه بحجرة واحدة مفتوحة ، مع انتشار وسائل الاتصال الفضائية والكمبيوترية ، على نحو لم يحدث من قبل قط .. والكل يعلم التفاصيل أولاً فأولاً

الآن .. شعبنا كله يدرك الموقف وخطورته ، ويعلم من استسلم مقدمًا ومن ينتظر .. والكل ، من الشرق والغرب ، والشمال ، والجنوب ، يدرك أن الغزو آت لا ريب ، وربما يدركون أيضًا أن المواجهة والقتال سيحوّلان الأمر إلى مذبحة رهيبة ، لا يدرك مداها سوى الله (سبحانه وتعالى) .

قال القائد الأعلى فى لهجة قوية :

ـ ليس المهم من يحيا ومن يموت يا سيادة الرئيس .. المهم أن نقاتل حتى آخر قطرة دم ، وألا نستسلم إلا عندما يصبح هذا حتميًّا .

هزّ الرئيس رأسه ، قائلاً :

ـ أتعشّم أن يكون هذا رأى الجميع .

قالها ، وهو يدير عينيه فى وجوه الجميع ، قبل أن يقول قائد القوت الجوية فى حزم :

نسورى يصرّون على أنهم لن يستسلموا أبدًا ، ولقد أخبرونى صراحة أنهم يفضلون الموت داخل مقاتلاتهم .

صمت الرئيس بضع لحظات ، قبل أن يقول فى حزم صارم :

- فليكن .. سنقاوم .

نطقها ، ثم ساد المكان صمت رهيب ..

صمت يوحى بأن تلك الليلة لن تنتهى ..

أبدًا ..

* * *

« أيعنى هذا أن أمرنا قد انتهى ؟! »

نطق (أكرم) العبارة فى عصبية شديدة ، وهو يدير عينيه فى الفضاء من حوله ، فغمغمت (سلوى) :

- أنا مستعدة لإطلاق ذبذبة القفز إلى طريق النجوم ، فى أية لحظة .

أجابها (نور) فى توتر :

- المهم أن ننطلق فى الاتجاه الصحيح .

غمغم (رمزى) فى شرود عجيب ، وكأنه يحدث نفسه :

- هذا مستحيل دون دفة .

تمتمت (نشوى) فى هلع :

- أيعنى هذا أن ..

قاطعها (رمزى) فى حزم :

- لا يعنى شيئًا .

ثم أضاف ، موجهًا حديثه إلى (نور) :

- لابد من إصلاح الدفة بأى ثمن .

قال (نور) ، وهو يفكر فى عمق :

- هذا يحتاج إلى مغادرة المكوك ، و ...

قاطعه (رمزى) فى حزم :

- سأتولى هذه المهمة .

شهقت (نشوى) ، وانعقد حاجبا (أكرم) فى شدة ، وبدت الدهشة على وجه (سلوى) ، وانطلقت من بين شفتى (نور) ، وهو يهتف :

- أنت ؟!

أجابه (رمزى) فى سرعة :

- قبل أن ينطق أحدكم حرفًا واحدًا ، ينبغى أن تعلموا أنه ليس موقفًا بطوليًا ، وإنما قرار منطقى عملى بحت ؛ فمصير الأرض كلها يعتمد على عودتنا إليها .. أو عودة واحد منا على الأقل ، ليبلغهم ما يمكننا جمعه من معلومات ، وبحسبة بسيطة ، ستجدون أن (سلوى) هى الوحيدة بيننا ، التى يمكنها تحديد الذبذبة ، التى عبر بها الغزاة من عالمهم إلى هنا ، بعد تحليل الضجيج الصامت ، الذى

شعرنا به ، قبل ظهور المقاتلتين ، و (نشوى) هى خبيرة الكمبيوتر الوحيدة ، ولا يمكن الاستغناء عنها ، و (نور) هو القائد ، والمقاتل الأكثر خبرة ، لو ظهرت مقاتلات أخرى .

قال (أكرم) فى صرامة :

ـ وماذا عنى ؟!

أجابه (رمزى) على الفور :

ـ أنت القائد الاحتياطى للمركبة ، والوحيد الذى يمكنه العودة بها إلى الأرض ، لو أصاب (نور) مكروه لاقدّر الله .

كان تفسيره منطقيًا ؛ حتى إن الوجوم قد خيّم عليهم جميعًا ، ودمعت عينا (نشوى) ، وهى تضغط كفه فى حرارة ، فابتسم فى توتر ، قائلاً :

ـ إننى لن أسعى لفحص نفسية الغزاة .. ثم إنها مهمة انتحارية منذ البداية ، فما الفارق ؟!

تبادلوا نظرة متوترة أخرى ، قبل أن يقول (نور) فى حزم :

ـ فليكن .. هيا .. ارتد زيك الفضائى .. دعنا لانضيع الوقت .

غمغم (أكرم) فى عصبية :

ـ لقد أضعنا ما يكفى .

كان الخوف والقلق يسيطران على الجميع ، حتى إنهم لم يتبادلوا حرفًا واحدًا ، حتى غادر (رمزى) ، المكوك ، إلى الفضاء الخارجى ، فى زيه الفضى اللامع ، وأخذ يسبح نحو الدفة ..

عندئذ فقط ، هتفت (نشوى) فى شحوب :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

أشار إليها (نور) بالصمت فى صرامة ، وهو يضغط زر الاتصال :

ـ (رمزى) .. هل تسمعنى ؟!

أتاه صوت (رمزى) ، مجيبًا :

ـ نعم يا (نور) .. أسمعك فى وضوح .

سأله (نور) فى اهتمام :

ـ هل ترى إصابة الدفة ؟!

أجابه (رمزى) ، وهو يسبح فى نعومة ، متجهًا إلى الدفة :

ـ بكل وضوح .. لقد أصابتها تلك الشظية مباشرة ، ولكن من حسن الحظ أنها لم تنفصل تمامًا .

سأله (أكرم) فى لهفة :



نقل إليهم جهاز الاتصال صفيرًا منغومًا ، أطلقه من بين شفتيه ، فى محاولة لتخفيف توتره ، وهو يعمل على لحام الدفة . .

- هل تعتقد أن إصلاحها ممكن ؟!

أجاب (رمزى) على الفور :

- بالتأكيد .. ربما استغرق هذا بعض الوقت ، ولكننى أستطيع لحامها بإذن الله .

قال (نور) فى توتر :

- خزان الأكسجين لديك يكفى لست ساعات كاملة .. هل تعتقد أنها ستكفيك .

غمغم ، وقد بدأ عمله بالفعل :

- فلنتعشم هذا يا (نور) .

نقل إليهم جهاز الاتصال صفيرًا منغومًا ، أطلقه من بين شفتيه ، فى محاولة لتخفيف توتره ، وهو يعمل على لحام الدفة ، فلاذ الجميع بالصمت بضع لحظات ، ثم لم تلبث (نشوى) أن غمغمت :

- هل تعتقدون أنه سيفعلها ؟!

أجابها (نور) فى حزم :

- إنه لها .

ثم التفت إلى (سلوى) ، مستطردًا :

- دعونا نؤد نحن عملنا .

التقطت (سلوى) رسالته ، فربتت على كف ابنتها ، وهى تقول فى حماس مفتعل :

ـ أنت على حق .. سنستعيد كل ما سَجله كمبيوتر المكوك ، ونعمل على استخلاص كل المعلومات الممكنة منه .

مسحت (نشوى) دموعها ، والتقطت جهاز الكمبيوتر الخاص بها ، وأوصلته بكمبيوتر المكوك ، ثم راحت تضرب أزراره فى سرعة ..

ولم تمض دقائق معدودة ، حتى كانت قد انغمست فى الأمر بكل كيانها ، على نحو أزال كل قلقها وتوترها ..

بل وملأ نفسها بحماس عجيب ..

فالأمر كان يحتاج إلى عبقرية كمبيوترية بحق ..

لقد التقطت أجهزة المكوك كل ما حدث ..

وسَجلته لحظة فلحظة ..

بالصوت والصورة ..

وبكل الوسائل التكنولوجية المعروفة ، فى تلك الفترة من القرن الحادى والعشرين ..

ومما تم تسجيله ، راحت (نشوى) تبنى قاعدة معلومات متكاملة عن مقاتلات الغزاة الفضائيين ..

تصميمها ..

مادتها ..

توزيع الأسلحة على سطحها ..

سرعتها ..

قدرتها على المناورة ..

وحتى وزنها المحتمل ..

أما (سلوى) ، فقد انهمكت فى عمل آخر ، أكثر أهمية وخطورة ..

فى تحديد وفصل نبذبة غير مسموعة ، عن طريق دراسة ما سببته من ارتجاج ..

وكان هذا يعنى قياس درجة الارتجاج ..

ووزن مكوك الفضاء ..

وسرعته ..

وعوامل أخرى بلا حدود ، سيؤدى أدنى خطأ فى أقلها ، إلى إساءة تحديد الذبذبة المطلوبة ..

والفشل فى تحديد هوية الغزاة ..

وموقعهم من خريطة الكون ..

ولا أحد يدرى كيف مرّ الوقت بهذه السرعة ، ولكنهم انتبهوا جميعًا إلى صوت (أكرم) ، وهو يقول فى توتر :

- خمس ساعات ونصف الساعة .. أظنها أطول فترة قضاها أحدنا فى الفضاء الخارجى .. لابد أن يستعد (رمزى) للعودة ، حتى ولو لم يكن قد أتمّ إصلاح تلك الدفة ؛ فسينفد مخزونه من الأكسجين بعد نصف الساعة فحسب .

ضغط (نور) زر جهاز الاتصال الخارجى ، وهو يقول :

- (رمزى) .. هل تسمعنى ؟! إلى أين وصل عملك بالضبط ؟!

أجابه (رمزى) :

- أسمعك فى وضوح يا (نور) .. لقد أوشكت على الانتهاء .. أمامى أقل من ساعة واحدة .

هتف به (أكرم) :

- لن يمكنك هذا يا صديقى ، فالأكسجين لديك لن ..

قبل أن يتمّ عبارته ، ارتجّ المكوك ..

ارتجّ فى عنف شديد ، يفوق ما حدث فى المرة السابقة خمس مرات على الأقل .

وفى دهشة مذعورة ، هتفت (سلوى) :

- رباه ! هذا الارتجاج يوحى بـ ..

قبل أن تتم حديثها ، انطلقت من حلقها شهقة قوية ، واتسعت عيناها عن آخرهما ، مع صرخة رعب أطلقتها (نشوى) ، وهى تحدّق مع الباقين فى سرب كامل من مقاتلات الغزاة ..

سرب أحاط بهم إحاطة السوار بالمعصم ، على نحو لا يمكن الفكاك منه ..

قط .

* * *



٥ - فى الأسر ..

شىء ما يحدث ..

مركبة الزمن ترتج على نحو عنيف عجيب ..

هذا ما شعر به (نور) ، بالإضافة إلى حالة غريبة من الحذر ، سرت فى عضلاته وعروقه ، على نحو أعجزه عن النهوض ..

ولكن الا يعنى هذا أن آلة الزمن تعانى مشكلة من خلل ما فى برنامجها ، قد يؤدى إلى فشل رحلتها ..

أو حتى ضياعها فى نهر الزمن ؟!

ومن الضرورى أن ينهض لمواجهة هذه المشكلة .

وأن يصلح الخلل ..

وبأى ثمن ..

دارت الفكرة فى رأسه ، وحاول نقلها إلى حيِّز التنفيذ ، إلا أن ذلك الحذر ، الذى سيطر على جسده كله ، أعجزه عن النهوض من مقعده ، وكأن يدًا هائلة تضغط على صدره فى قوة ..

والعجيب أن ذهنه نفسه ، لم يعد كما كان ..

إنه يدرك أبعاد المشكلة ..

وحدودها ..

وخطورتها ..

ولكنه عاجز تمامًا عن اتخاذ أى إجراء ..

بل إنه حتى لا يبالى ..

حتى ولو تلفت مركبة الزمن كلها ..

أو ضاعت إلى الأبد ..

ماذا يهمّ ؟!

ودون وعى منه ، راحت الذكريات تنساب إلى عقله فى سرعة عجيبة ..

وكشلال قوى ، راحت تنهمر ..

وتنهمر ..

وتنهمر ..

* * *

لم يكن هناك ما يمكن فعله ، بأى حال من الأحوال ..

حتى لو كان (نور) هو أكثر أهل الأرض مهارة وخبرة ..

لقد ظهر سرب مقاتلات العدو بغتة ، وهو يحيط به إحاطة السوار بالمعصم ..

أو بمعنى أكثر دقة وحداثة ، ككرة تحيط بـذرة فـى مركزها ..

هذا لأن مقاتلات الغزاة كانت تحيط بـه من كـل جانب ..

إلى يمينه ..

ويساره ..

فوقه ..

وتحته ..

أمامه ..

وخلفه ..

ولم يكن الأمر بحاجة إلى كثير من الذكاء ، ليدرك الجميع أن أسلحتها كلها كانت متأهبة تمامًا لإطلاق النار ، عند أول بادرة شك ..

ومن موقعه ، هتف (رمزى) :

ـ رباه ! هل ترون ما أراه يا رفاق ؟!

أجابه (أكرم) فى عصبية :

ـ وكيف يمكننا ألا نراه ؟

هتف (رمزى) :

ـ ما الذى سيفعلونه بنا ؟!

غمغم (نور) :

ـ لو أرادوا سحقنا لفعلوا .

كانت المقاتلات ثابتة جامدة فى الفضاء ، كما لو أنها تنتظر أول إشارة من المكوك ، لتطلق عليه نيرانها بلا رحمة ..

وفى حذر ، قال (نور) ، عبر جهاز الاتصال :

ـ (رمزى) .. اسمعنى جيدًا .. تحرك فى بطء ، وعد إلى المكوك .

أتاه صوت (رمزى) ، يجيب فى توتر :

ـ نفس ما خطر ببالى يا (نور) .

قالها ، وراح يتحرك فى بطء وحذر ، نحو حجرة معادلة الضغط ، فى نهاية المكوك فى حين ظلت مقاتلات الغزاة ساكنة صامتة ، وكأنما يراقبون ما يفعله ، بكل اهتمام الدنيا ، و ...

وفجأة ، انفصلت إحدى مقاتلات الغزو ..

وانقضت نحو المكوك ..

وصرخت (نشوى) :

ـ يا إلهى ! ماذا سيفعلون بنا ؟

قفزت يد (نور) بحركة تلقائية إلى أجهزة توجيه

المكوك ، ولكن قبل أن تبلغها أصابعه ، عبرت المقاتلة فوقه مباشرة ..

ثم توقفت بغتة ..

وفى هدوء ، راحت تسبح فوق المكوك مباشرة ، وكأنما ألصقتها به قوة خفية مجهولة ..

وعبر جهاز الاتصال ، هتف (رمزى) :

ـ ماذا يفعلون بالضبط يا (نور) ؟!

تمتم (نور) ، وهو يتابع حركة المقاتلات فى توتر بالغ :

ـ لست أدرى يا (رمزى) .. ربما ..

لم يكن قد أتمّ جوابه بعد ، عندما قاطعه (رمزى) ، صارخًا :

ـ رباه ! إنهم يستهدفوننى أنا يا (نور) .. إنهم ..

انقطع حديثه بغتة ، مع أزيز قوى ، نقله جهاز الاتصال ، فصرخت (نشوى) فى رعب :

ـ (رمزى) .. لا ..

ومع صرختها ، انطلقت المقاتلة بغتة مبتعدة ، فهتف (نور) :

ـ رباه ! لقد اختطفوه !!

وبحركة آلية غريزية ، ضغط أزرار مركبته .. واندفع المكوك خلف المقاتلة ..

والعجيب أن المقاتلات الأخرى لم تحرك ساكنًا ، حتى تجاوزتها مركبة الفريق ، فتبعتها فى سرعة ، وبمشهد يبدو معه كأن المكوك يجذبها إليه بمجال كهرومغنطيس خفى ، و ...

وارتجت مركبة (نور) فى شدة ، فهتفت (سلوى) مذعورة :

ـ يا إلهى ! احترس يا (نور) .. ربما كانوا ..

ومع كلماتها ، انشقّ الفضاء بغتة ، كاشفًا نجمًا ضخمًا ، انطلقت نحوه تلك المقاتلة ، التى اختطفت (رمزى) ..

وقبل حتى أن يدرك (نور) هذا ، كان قد عبر ذلك الشق العجيب بمكوك الفضاء الأرضى ..

وخلفه عبرت كل مقاتلات الغزاة ..

ثم أغلقَ ذلك الشق الفضائى خلفها ..

وعاد الهدوء يسود الفضاء ..

هدوء سرمدى ..

دائم ..

شامل ..

ومخيف ..

إلى أقصى حد ..

★ ★ ★

بدا وجه وزير الدفاع شاحبًا ممتقعًا إلى أقصى حد ، وهو يندفع إلى مكتب رئيس الجمهورية ، فى الثالثة صباحًا ، هاتفًا :

ـ الغزاة هبطوا فى (أمريكا) و (اليابان) .

انتقل الشحوب إلى وجه الرئيس ، وهو يردِّد :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

لم تقو ساقاه على احتماله ، فترك جسده يهوى على مقعده ، وهو يقول :

ـ إذن فقد بدأ الغزو .

هزّ وزير الدفاع رأسه ، وهو يقول بأنفاس مبهورة :

ـ وليست بداية عادية .

سأله الرئيس فى توتر :

ـ ماذا تعنى ؟!

رفع الوزير يده بأسطوانة مدمجة صغيرة ، وهو يجيب :

ـ سترى بنفسك .

قالها ، وأسرع يدس الأسطوانة الصغيرة فى جهاز خاص ، فى حجرة الرئيس ، الذى رفع عينيه يتطلّع إلى شاشة كبيرة مواجهة ، ظهرت عليها على الفور صورة للبيت الأبيض الأمريكى(*) ، وقد وُضِعَتْ على أرضية حديقته لوحة عملاقة ، كُتِبَ عليها بالأمريكية(**) :

ـ نحن نستسلم .. نريد السلام لا الحرب .

وحول اللوحة ، وقف الرئيس الأمريكى ، ونائبه ، وطاقم وزرائه ومساعديه ..

(*) البيت الأبيض : المقر الرسمى لرئيس الولايات المتحدة الأمريكية ، وهو بناء عظيم فى العاصمة (واشنطن) ، يقع أمام ساحة لافاييت ، فى شارع (بنسلفانيا) ، وهو أقدم بناء رسمى فى (واشنطن) ، ولقد أرسيت قواعده عام ١٧٩٢ م ، وأول رئيس أقام فيه هو (جون آدمز) عام ١٨٠٠ م ، ولقد أحرقه الإنجليز عام ١٨١٤ ، فأعيد بناؤه ، وتم دهانه عندئذ باللون الأبيض ، ومنه اكتسب اسمه الشهير .

(**) من الناحية الرسمية ، تعتبر الأمريكية لغة مختلفة عن الإنجليزية .

وفي السماء ، بدت مقاتلات الغزاة ، وهي تدور وتحوم في السماء ، كقطيع من النسور ، يحوم حول فريسة تحتضر ..

وعبر مكبرات صوت هائلة ، تنتشر في كل مكان ، قال الرئيس الأمريكي ، بصوت حمل الكثير من التوتر والانفعال ، وهو يتابع حركة المقاتلات :

ـ نحن لا نسعى للحرب والقتال .. لو أنكم تفهمون لغتنا كما نعتقد ، فلتعلموا أننا ننشد السلام .. السلام وحده .

راح يردّد كلماته مرات ومرات ، والمقاتلات الفضائية تدور وتدور في السماء ، وكأنها لا تبالي بما تراه أو تسمعه ..

أو أنها تعلن استهتارها التام به ..

وبكل القيم الأرضية المعروفة ..

ثم فجأة ، تحوّل الحوم العشوائي إلى تشكيل منظمّ ، اصطفّت فيه المقاتلات ، على نحو أشبه برأس السهم ..

وهنا توقّف الرئيس الأمريكي عن كلماته ..

وخيم على البيت الأبيض صمت رهيب ..

بل يبدو وكأن (أمريكا) كلها قد حبست أنفاسها ، في انتظار الخطوة التالية للغزاة المجهولين ، و ...

وفجأة ، انهمرت حزم الليزر كالمطر ..

وبلا مقدمات ، راحت تحصد الرئيس الأمريكي ، ومرافقيه ، وقادته ..

وحتى البيت الأبيض نفسه ..

وفي ذعر بلا حدود ، صرخ مذيع التلفاز :

ـ رباه ! لقد رفضوا السلام .. إنهم يهاجمون بلا رحمة .. اهربوا .. فروا بحياتكم .. إنهم يحصدون الجميع ..

ومع كلماته ، تفرّق ذلك التشكيل الشبيه بالسهم ، وانقضت المقاتلات الفضائية تنسف وتسحق وتحصد كل ما يعترض طريقها ، بلا شفقة أو رحمة ..

وصرخ المذيع ، وهو يعدو بكل قوته :

ـ اهربوا .. اهربوا ..

ثم أصابته حزمة من الليزر ، تلاشى جسده معها تمامًا ، قبل أن ينقطع البث دفعة واحدة ..

واتسعت عينا رئيس الجمهورية ، وهو يحدّق في وجه وزير الدفاع ، دون أن ينبس كلاهما ببنت شفة ..

كان الموقف أبلغ من أية كلمات ..

وأبشع من أى حديث ..

ولقد ضاعف الصمت والوجوم من هول الموقف ألف مرة ..

ورسم آثاره على وجهى الرجلين فى وضوح ..

ولدقيقة أو يزيد ، لم ينبس أحدهما بحرف واحد ..

ثم كان وزير الدفاع هو أول من حطم جدار الصمت ، وهو يقول بصوت يموج بكل الانفعالات :

ـ الصورة نفسها تكررت فى (اليابان) .. أكثر من مليون قتيل ومصاب .. (واشنطن) و (طوكيو) محيا من الخريطة .. (نيويورك) و (يوكوهاما) تحولتا إلى أنقاض .. تلك المقاتلات الفضائية تسحق البنية الأساسية بلا هوادة .. الرعب لجتاح العالم كله .. الجميع أدركوا أن الاستسلام لن يفيد .

انعقد حاجبا الرئيس بشدة ، وهو يقول :

ـ هو القتال إذن .

هزّ وزير الدفاع رأسه ، وقلب كفيه ، قائلاً :

ـ لم يعد هناك بديل .

ثم زفر فى مرارة ، قبل أن يتابع :

ـ ربما كان الموت هو النتيجة الحتمية فى النهاية ، ولكن لا مفرّ من أن نقاوم ونقاتل ، من أجل حريتنا .

انعقد حاجبا الرئيس لحظات فى شدة ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ ألم تنتبه إلى أمر مهم يا رجل ؟!

سأله الوزير فى توتر :

ـ وما هو يا فخامة الرئيس ؟!

أجابه الرئيس فى انفعال ، وهو يميل إلى الأمام :

ـ الغزاة هاجموا الدول التى قررت الاستسلام منذ البداية .. وهذا يعنى أنهم يدركون مسبقًا عدم وجود مقاومة .

سأله الوزير فى اهتمام :

ـ ماذا تعنى بالضبط يا سيادة الرئيس ؟!

أجابه فى حزم :

ـ أعنى أنهم مازالوا يواصلون سياسة تحطيم الروح المعنوية والنفسية لنا .. يهاجمون العزل والمستسلمين فحسب .. وسيلة حقيرة للسيطرة على الجميع .

هتف الوزير :

ـ رباه ! هذا صحيح يا سيادة الرئيس .

هبّ الرئيس من خلف مكتبه ، وهو يقول :

ـ مازالوا يخشون المواجهة .. في المرة السابقة هزموا نسورنا بتلك القطع الكهرومغنطيسية ، التي شوشرت على كل أجهزتهم الإليكترونية ، أما في هذه المرة ، فلن يمكنهم هذا قط .. رجال البحث العلمي تعاونوا مع القوات الجوية ، وتوصّلوا إلى وسيلة لإبطال مفعول تلك الكهارب .. وربما يعني هذا أنه مازال أمامنا أمل .

انعقد حاجبا الوزير ، وهو يقول في حزم :

ـ بالتأكيد يا سيادة الرئيس .. بالتأكيد .

دقّ الرئيس سطح مكتبه بقبضته ، وهو يهتف في حماس :

ـ هو القتال إذن .. فليستعد الجميع .. كل القوات .. سنقاتل حتى آخر رمق .. ولو أن أولئك الأوغاد الفضائيين سيحتلوننا حتمًا ، فليكن ثمننا غاليًا .

ورفع رأسه في اعتداد ، مضيفًا :

غاليًا جدًا .

* * *

قشعريرة باردة كالثلج ، سرت في أجساد الجميع ، عند قفزهم إلى طريق النجوم ، وهبّت في وجوههم تلك الرياح الحارة ، قبل أن ينتقلوا بغتة إلى بقعة أخرى من الفضاء اللانهائي ..

وفور الانتقال ، سطع في وجوههم ضوء قوي مبهر ، أجبرهم على إغلاق عيونهم بشدة ، وهتفت (سلوى) :

ـ رباه ! ما هذا ؟! هل ألقوا بنا في قلب الشمس ؟!

تلاشى الضوء في سرعة ، ففتح جميعهم عيونهم ، و ..

وكانت مفاجأة ..

مذهلة ..

فأمامهم مباشرة ، كانت هناك أضخم سفينة فضاء شاهدتها عيونهم ، أو حتى صنعها خيالهم ..

سفينة أشبه بكوكب هائل كبير ، تسطّح ثلثه السفلي ، الذي تراصّت حوله دوائر مضيئة ، كل منها في حجم مدينة كاملة ..

وعبر فجوات عديدة ، بالقرب من قاعدة تلك السفينة ، انطلقت أعداد هائلة من المقاتلات الفضائية ، لتستقبل القادمين ..

أكثر من مليون مقاتلة ، كما توحى النظرة الأولى ..

وكان هذا أكبر من أى تصورُ ، خطر ببال أشدّ العلماء تشاؤمًا ..

عدد يكفى لاحتلال الأرض ..

بل المجموعة الشمسية بأكملها ..

وفى ذهول مبهور ، تمتم (أكرم) :

ـ يا إلهى .. ما الذى نسعى إليه بالضبط يا رفاق ؟! أيتصوَّرون أنه بإمكاننا أن نهزم شيئًا كهذا ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

ـ لا تجعل الضخامة ترهبك يا رجل .

التفت إليه (أكرم) ، قائلاً فى عصبية :

ـ حقًا ؟! وماذا عن الكثرة ؟!

هتفت (نشوى) :

ـ كل هذا لا يعنينى .. إننى أريد زوجى .. أريد استعادته بأى ثمن .

زفرت (سلوى) فى توتر ، مغمغمة :

ـ أعتقد أننا سننضمّ إليه قريبًا .

قالتها ، فوجم الجميع ، وراحوا يحدقون فى فجوة كبيرة مضيئة ، تتجه نحوها مركبتهم مباشرة ، قبل أن

يقول (أكرم) فى عصبية :

ـ لماذا نتركهم يقودوننا هكذا كالنعاج ؟! لماذا لا نحاول الإفلات منهم ؟!

قالت (سلوى) فى توتر مستنكر :

ـ الإفلات ؟!

أما (نور) ، فرفع يديه عن أجهزة القيادة ، قائلاً :

ـ إننا لم نعد نتحكم فى المكوك .

هتف (أكرم) :

ـ من يفعل إذن ؟!

عقد (نور) ساعديه أمام صدره ، وأشار بيده إلى تلك الفجوة المضيئة ، دون أن ينبس ببنت شفة ، ففهم (أكرم) :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

وفى بطء عجيب ، ووسط صفين من المقاتلات الفضائية ، راح مكوك الفضاء الأرضى ينساب فى بطء ، نحو تلك الفجوة المضيئة ، التى بدأت ملامحها تتضح أكثر فأكثر ، وبدا داخلها ممر واسع مصقول ، يمتدّ إلى مسافة كبيرة ، ويتسع لهبوط عشر مقاتلات متجاورة ..

وبنعومة مدهشة ، عبر المكوك تلك الممر ، وراح ينطلق فيه لمائتى متر تقريبًا ، تحيط به مقاتلات الغزاة ، حتى بلغ مساحة واسعة ، تتوسطها دائرة كبيرة ، هبط وسطها تمامًا ، قبل أن ينبعث من أجهزة اتصاله صوت (رمزى) ، وهو يهتف :

- (نور) .. هل تسمعنى ؟! هل تسمعوننى جميعًا ؟!

هتفت (نشوى) فى فرح :

- رباه ! إنه حى .. (رمزى) حى .. حمدًا لله .. حمدًا لله .

أما (نور) ، فقد اختطف بوق جهاز الاتصال ، صائحًا :

- أسمعك بوضوح يا (رمزى) .. أين أنت يا صديقى ؟! ماذا فعلوا بك ؟!

أجابه (رمزى) فى توتر :

- لست أدرى أين أنا يا (نور) .. إننى داخل تجويف كروى عملاق .. كل شىء هنا صالح لحياتنا .. الهواء والضغط والحرارة .. ولكننى أسبح داخل التجويف ، على نحو يؤكد أن الجاذبية تساوى صفرًا ..

سألته (نشوى) فى لهفة عصبية :

- كيف يبدو هؤلاء الأوغاد ؟!

أجابها بعصبية مماثلة :

- لست أدرى .

هتف (أكرم) فى حدة ، وهو يدير عينيه فيما حوله :

- ماذا تعنى بأنك لست تدرى ؟!

أجابه (رمزى) بنفس العصبية :

- أعنى أننى لم أر أحدهم ، حتى هذه اللحظة .. لقد جذبنى مجال مغنطيسى قوى ، وسحبنى خلفهم إلى طريق النجوم ، ومنه إلى هذه السفينة العملاقة ، التى ألقونى فى إحدى فجواتها العجيبة ، و ...

بتر عبارته بشهقة عصبية ، انخلع لها قلب (نشوى) ، وهى تهتف :

- ماذا حدث يا رمزى ؟!

أجاب فى توتر بالغ :

- الباب ينفتح .. هناك باب عند القاعدة .. إننى لم أنتبه إليه إلا الآن .. هناك ظل أيضًا .. يبدو أن أحدهم يقترب ، أو ...

انطلقت منه شهقة أخرى ، جعلت الدموع تنفجر بلا وعى ، من عينى (نشوى) ، وهى تصيح :

ـ ماذا هناك يا (رمزى) ؟! ماذا يفعلون بك ؟!

أجابها فى سرعة :

ـ لا شىء .. لا شىء .. أنا بخير .. لقد عادت الجاذبية فجأة ، فسقطت أرضًا .

ثم سعل مرتين ، قبل أن يتابع فى عصبية :

ـ الباب انفتح عن آخره .. هناك شخص يدخل بالفعل .. آه .. إنه ليس ...

فى هذه المرة ، بتر عبارته فى حدة شديدة ، وصرخ :

ـ يا إلهى ! مستحيل ! لا يمكن أن ...

ثم دوت فرقعة مكتومة ، نقلها جهاز الاتصال ، قبل أن يسود صمت تام ..

صمت رهيب ، اتسعت معه عيون الجميع ، وانخلعت له قلوبهم ، و (نشوى) تردد فى هلع بلا حدود :

ـ رباه ! ماذا حدث ؟! ماذا حدث ؟!

مع آخر حروف كلماتها ، خرج من جهاز الاتصال صوت آلى ، يقول :

ـ أنتم الآن فى حضرة الإمبراطور .. غادروا مركبتكم فورًا .

هتف (أكرم) فى حدة :

ـ ذلك الوغد .. إنه ...

قاطعه (نور) فى صرامة :

ـ ذلك الوغد يتحدث العربية .. ألم تنتبه إلى هذا ؟!

اتسعت عينا (أكرم) ، وهو يقول :

ـ رباه ! هذا صحيح .. إنه مبرمج للتحدث بلغتنا !! كيف هذا يا (نور) ؟! كيف علموا أننا نتحدث العربية ؟!

أجابه (نور) فى حزم ، وهو يضغط زر فتح أبواب المكوك :

ـ من الواضح أنهم يعلمون الكثير .

هتفت به (سلوى) :

ـ رباه ! هل ستطيع أوامرهم وتغادر المكوك يا (نور) ؟!

أجابها فى صرامة وهو ينهض من مقعده :

- ما رأيك فى أن نبقى ، ويسحقنا شعاع ليزرى ، وتضيع فرصة عودتنا إلى الأرض تمامًا ؟! هل تفضلين أن نضحى بالأرض كلها ، فى سبيل تعنت زائف ؟!

لم تجب أسئلته ، وامتقع وجهها ، وهى تنهض من مقعدها ، وتتبعه مع الباقين ، إلى باب المكوك ، و (أكرم) يغمغم فى سخط ، وهو يتحسس مسدسه القابع فى حزامه :

- أقسم أن يدفعوا الثمن غاليًا .

غمغمت (نشوى) ، فى صوت أقرب إلى البكاء :

- ماذا فعلوا بزوجى ؟! ماذا فعلوا به ؟!

ربّت (نور) على كتفها ، متمتمًا فى حزم :

- استبشرى خيرًا يا بنيتى .. لو أنهم أرادوا قتله منذ البداية لفعلوا .

قالت (سلوى) ، فى حنق عصبى :

- ربما أرادوه فأر تجارب مثلنا .

غمغم (نور) فى صرامة :

- لم يحن وقت إصدار القرارات بعد .

قال (أكرم) فى سخرية ساخطة ، وهو يغادر المكوك خلفه :

- بالنسبة لمن ؟! نحن أم هم ؟!

أجابه (نور) فى حزم ، وهو يقف منتصب القامة ، أمام مكوك الفضاء :

- للطرفين .

وقف الأربعة جنبًا إلى جنب ، فوق امتداد أحمر ، أشبه ببساط من المعدن ، وغمغمت (نشوى) فى حدة :

- لو أنهم مسّوا شعرة واحدة من (رمزى) ، فأقسم أن ...

قبل أن تتمّ عبارتها ، أضىء مصباح قوى فى وجوههم بغتة ، على نحو أغشى أبصارهم ، فهتف (أكرم) فى حدة ، وهو يخفى وجهه بذراعه :

- ماذا يفعل بنا هؤلاء الأوغاد ؟!

ارتفع نفس الصوت الآلى مرة أخرى ، عبر مكبرات صوت قوية هذه المرة ، وهو يقول :

- اسجدوا أمام الإمبراطور .

صاح (أكرم) فى غضب :

ـ أى إمبراطور ؟!

لم يكد يطلق صيحته ، حتى انطفأت الأنوار فجأة ، وساد ظلام دامس ، هتفت خلاله (سلوى) :

ـ ربّاه ! ذلك الشىء الذى نقف فوقه يتحرّك .. إنه ينقلنا إلى مكان آخر .

هتف (أكرم) :

ـ أو جحيم آخر .

أما (نور) ، فقد انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يحاول اختراق الظلام ببصره ، وعقله يطرح عشرات الأسئلة ..

تُرى ما الذى يحدث هنا ؟!

من ذلك الإمبراطور ، الذى يتحدثون عنه ؟!

ما الذى يريده من الأرض ؟!

ثم لماذا هذا الظلام الدامس ؟!

لماذا ؟!

لماذا ؟!

كان عقله يبحث عن جواب لكل هذه الأسئلة ، عندما أضيئت الأنوار فجأة ..

وللوهلة الأولى ، أغلق الجميع عيونهم ..

ثم فتحوها ثانية ..

وكانت (سلوى) أول من هتف :

ـ مستحيل !

أما الآخرون ، فقد اتسعت عيونهم ، حتى بلغت أقصاها ..

فما رأوه أمامهم كان مذهلاً ..

بكل المقاييس .

* * *



٦ ـ العملاق ..

فرك رئيس الجمهورية عينيه فى إرهاق ، وهو يتثاءب فى قوة ، قبل أن يشير إلى وزير الدفاع بيده ، قائلاً فى توتر :

ـ السادسة صباحًا ، ولم يحدث شىء ..

هزَّ وزير الدفاع رأسه ، فى إرهاق مماثل ، وهو يقول :

ـ الجميع على أهبة الاستعداد طوال الوقت .

سأله الرئيس فى عصبية :

ـ الرعب انتشر فى العالم أجمع .. لا أنباء من (أمريكا) أو (اليابان) .. لم يعد أحد يعلم ماذا يحدث هناك .. الناس قبعوا فى بيوتهم ، وأغلقوا أبوابهم عليهم ، وكأنها ستحميهم من الغزاة .. الأوتار كلها مشدودة عن آخرها ، وأولئك الأوغاد يتجاهلوننا تمامًا ، وكأنهم يسعون لتحطيم أعصابنا أكثر وأكثر ..

غمغم وزير الدفاع :

ـ أنا واثق من أن هذا ما يسعون إليه بالضبط .

زفر الرئيس ، متمتمًا :

ـ إنهم يجيدون هذه اللعبة تمامًا .

تمتم الوزير :

ـ للأسف .

ثم نهض من مقعده ، قائلاً :

ـ فخامة الرئيس .. أعلم أن الموقف متوتر للغاية ، ولكن من الضرورى أن تحظى بقليل من النوم .

هتف الرئيس مستنكرًا :

ـ النوم ؟ فى مثل هذه الظروف ؟! هل تعتقد أن بشريًا واحدًا ، فى العالم كله ، سيحظى بلحظة من النوم الليلة .

أجابه الوزير فى حزم :

ـ حتى ولو استيقظ العالم كله ، لابد أن تنام أنت يا فخامة الرئيس .. إننا نحتاج إلى ذهن متوقد وعقل يقظ ، عندما يجدّ الجد .. وحتى تحظى بهما ، فى اللحظة المناسبة ، عليك أن تنام بعمق أولاً .

ثم وضع يده على كتف الرئيس ، مستطردًا فى حزم أكثر :

ـ هذا واجبك نحو شعبك يا سيدى .

زفر الرئيس ، وهو يهزّ رأسه في قوة ، مغمغمًا في مرارة :

ـ ليتني أستطيع أن أؤدّي واجبي ، تجاه هذا الشعب .

قال الوزير ، وهو يقوده إلى الاستراحة ، الملحقة بمكتبه :

ـ ليس أمامنا سوى أن نبذل قصارى جهدنا يا سيادة الرئيس ، أما الباقي ، فهو ...

قبل أن تنتهي كلماته ، انبعث ذلك الضجيج بغتة ..

انبعث في قوة ، وعنف ، كما لو أن السماء قد انشقت بأكملها ..

وكان هذا يعني أن الغزو قد بدأ ..

وبمنتهى العنف ..

* * *

لدقيقة كاملة ، حدّق (نور) ورفاقه فيما أمامهم بذهول كامل ..

وكان الأمر يستحق بالفعل ذلك الذهول ..

فمنذ سمعت آذانهم عبارة السجود للإمبراطور ،

رسم عقل كل منهم صورة وهمية ، لما يمكن أن يبدو عليه ذلك الإمبراطور ..

إمبراطور الغزاة ..

بعضهم تصوّره مخلوقًا فضائيًا أخضر اللون ، أحمر العينين ..

أو كائنًا أشبه بالزواحف ..

والبعض الآخر تخيّله شبه آدمي ، ببشرة زرقاء ، أو حمراء ..

أو حتى وردية ..

ولكن المؤكد أن أحدًا منهم لم يتخيّل ما رأوه أمامهم قط ..

فمع استيعاب عيونهم للمشهد ، بدا أمامهم عرش عملاق ، يبلغ ارتفاعه ثلاثة أمتار ، بعرض مترين ..

أما من يجلس فوقه ، فقد كان مذهلاً بحق ..

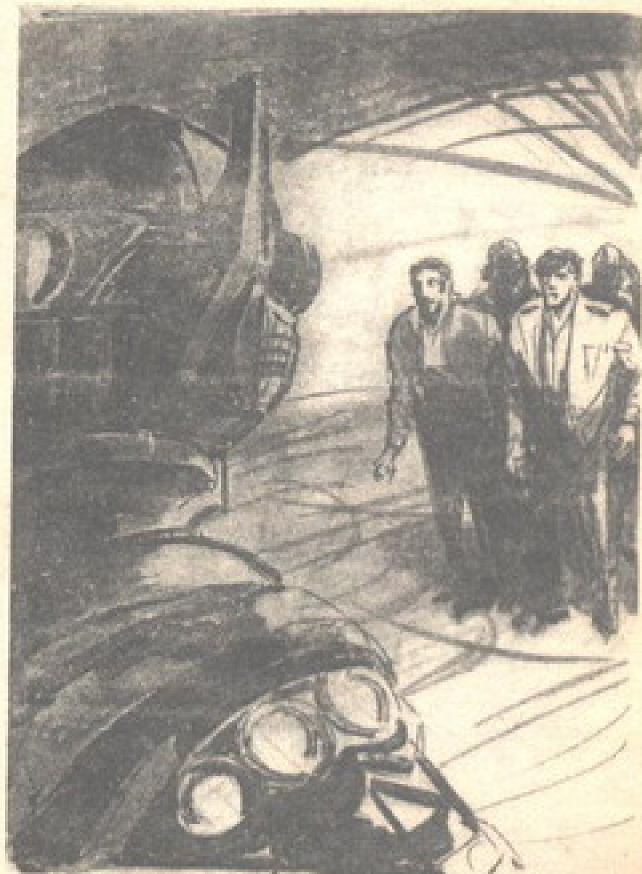
لم يكن بشريًا ..

أو حتى فضائيًا ..

بل لم يكن مخلوقًا حيًا على الإطلاق ..

كان شخصًا آليًا ..

بكل ما تحمله الكلمة من معان ..



أما من يجلس فوقه ، فقد كان مذهلاً بحق .. لم يكن بشريًا .. أو حتى فضائيًا .. بل لم يكن مخلوقًا حيًا على الإطلاق ..

شخص آلىّ ، يبلغ ارتفاعه خمسة أمتار كاملة ، له رأس معدنى ، تتوسّطه عين واحدة كبيرة ، تتحرك على نحو يؤكّد أنها آلة تصوير أساسية ..

أما تكوينه ، فقد كان شبه آدمى ..

جسم ..

ذراعان ..

ساقان ..

وقدمان ..

وكلها من معدن لامع مصقول ..

أما تلك العين الواحدة ، فى منتصف الرأس ، فكانت موجّهة نحوهم تمامًا ، فى نفس الوقت الذى ارتفع فيه ذلك الصوت الآلى ، يكرّر :

ـ اسجدوا للإمبراطور .

هتف (نور) فى صرامة :

ـ السجود لله (سبحانه وتعالى) وحده .

كرّر الصوت الآلى ، وكأنما لا يبالى بتعليق (نور) :

ـ اسجدوا للإمبراطور .

قال (أكرم) فى عصبية ، وهو يتحسّس مسدسه فى حذر :

ـ ألم تسمع ما قاله قائدنا أيها الوغد ؟! السجود له (سبحانه وتعالى) وحده ، وليس لبشرى ، أو حتى آلى .

تكرَّر الصوت :

ـ اسجدوا للإمبراطور .

تبادل الجميع نظرة عصبية متوترة ، قبل أن يقول (رمزى) فى حزم مباشر :

ـ كلا .. لن نفعل .

لم يكد ينطقها ، حتى انطلق صوت عنيف فى القاعة الواسعة ، أشبه بزمجرة ثائرة ، ثم انفتح بابان صغيران ، إلى جانبى العرش ، واندفعت عبرهما أجسام صغيرة ، أشبه بالبعوض(*) ، اتجهت كلها نحو أفراد الفريق وأجنحتها المعدنية تخفق بصوت مخيف ، وإبرها الممتدَّة من رءوسها تسعى للانغراس فى أجسادهم ..

(*) البعوض : حشرة من فصيلة (كيوليسيدى) ، من رتبة ذوات الجناحين ، توجد فى معظم دول العالم ، تثقب الأنثى الجلد ، وتدفع سائلها اللعابى داخله ، وتمتصّ دم الإنسان ، ودم كثير من الحيوانات ، وتضع البيض فى المياه الراكدة عادة ، وتسبب للإنسان العديد من الأمراض ، مثل : الملاريا ، والحمى الصفراء ، وغيرهما .

وتكرَّر الصوت بصرامة أكثر :

ـ اسجدوا للإمبراطور .

كان من الواضح أنها وسيلة للإرهاب والضغط ، و ...

وفى سرعة مدهشة ، استلّ (أكرم) مسدسه ، وصاح :

ـ اذهبوا إلى الجحيم أيها الأوغاد .

وانطلقت رصاصات مسدسه ..

وفى اللحظة نفسها ، انتزع (نور) مسدسه الليزرى من حزامه ، ودفع زوجته وابنته بعيدًا ، ليحميهما من ذلك البعوض الآلى القاتل ، وهو يهتف :

ـ ابتعدوا .

وانطلقت خيوط الأشعة من مسدسه ..

وبتلقائية مدروسة ، ألصق كل من (نور) و (أكرم) ظهره إلى ظهر الآخر ، وراحا يدوران حول نفسيهما ، وهما يطلقان مسدسيهما على البعوض الآلى ، فى حين رقدت (سلوى) و (نشوى) أرضًا ، والأخيرة تتمتم فى عصبية :

ـ مستحيل ! لا يمكن أن نحتمل هذا .

كانت رصاصات (أكرم) وخيوط أشعة (نور) تنسف تلك البعوض ، فى سرعة وعنف ، فتتناثر منه مادة زرقاء لزجة ، على جسديهما ووجهيهما ، وكل ما يحيط بهما ..

ولكن كل بعوضة تسقط ، يتم تعويضها ببعوضتين إضافيتين ، تندفعان عبر البابين الصغيرين ، على جانبى العرش ..

أما ذلك الآلى العملاق ، فقد ظلّ على عرشه الضخم ، يدير عينه الواحدة فيما يحدث ، وكأنه يدرس كل حركة وسكنة فى المكان ..

وكان من الواضح أن الانتصار على تلك الآليات شبه مستحيل ..

بل هو مستحيل تمامًا ..

لذا ، فقد هتف (نور) فى رفاقه :

ـ تراجعوا .. سنعود إلى المكوك .

صاحت (نشوى) فى رعب :

ـ كيف ؟! إننا لا ندرك حتى أين هو .

صرخ (أكرم) :

ـ فلنبتعد عن هذا الجحيم بأى ثمن .

انطلقت صرخته ، وهو يواصل إطلاق رصاصاته ، ويتراجع مع (نور) والباقين ، عبر ذلك الممر المتحرك ، الشبيه بالبساط ..

ولكن فجأة ، انطفأت الأنوار ..

وساد الظلام الدامس ..

وتحرك البساط مرة أخرى ، فى الاتجاه العكسى ، مع دوى رصاصات (أكرم) ، وأزيز خيوط أشعة مسدس (نور) الليزرية ، وخفقان الأجنحة الآلية ..

وصرخت (نشوى) فى رعب :

ـ لا فائدة .. لا فائدة .

صاح (نور) :

ـ لا تقولى هذا .. لا تقوليه أبدًا .

انطلقت تعدو فوق البساط المعدنى ، صائحة فى رعب :

ـ ماذا أقول إذن ؟! ماذا أقول ؟!

مع آخر حروف صيحتها ، أضيئت الأنوار مرة أخرى بغتة ..

وفى هذه المرة ، كان الجميع داخل نفس القاعة

الضخمة ، التى استقرّ وسطها مكوك الفضاء (ابن ماجد) ..

ومع مواصلته إطلاق أشعته ، ونسف البعوض الآلى ، هتف (نور) :

ـ أسرعوا .. إلى المكوك .. أسرعوا .

هتفت (سلوى) ، وهى تعدو بكل قوتها نحو المكوك .

ـ ولكن محركاته لم تعد تعمل .

صاح بها (أكرم) ، وهو يواصل إطلاق رصاصاته بدوره :

ـ المهم أن نحتمي به .. لن يمكننا أبدًا أن ...

انطلقت من حلقه صرخة ، تبتر عبارته الأخيرة ، عندما أصابت إبرة بعوضة آلية ذراعه ، فتدفقت منه الدماء الساخنة ، وهو يصرخ :

ـ أيها الأوغاد .

وثب (نور) إليه ، ودفعه بكل قوته نحو باب المكوك ، هاتفًا :

ـ أسرع يا صديقى .. أسرع .

دفع (أكرم) جسده إلى مدخل المكوك ، وهو يواصل إطلاق النار ، هاتفًا فى عصبية شديدة :

ـ إنهم يتكاثرون بسرعة مخيفة يا (نور) .. سيظفرون بنا حتمًا .

أجابه (نور) فى صرامة ، وهو يطلق أشعته بيمناه ، ويدفعه نحو الباب بيسراه فى قوة :

ـ ليس حتمًا .

قفزت (سلوى) و (نشوى) داخل المكوك ، ولحق بهما (أكرم) ، وهو يهتف :

ـ تُرى هل ستدور محركاته ؟!

صاح (نور) ، وهو يقفز داخل المكوك بدوره :

ـ أتعشّم هذا .

وثب (أكرم) فى سرعة إلى مقعد مساعد القبطان ، وضغط أزرار تشغيل المحركات ، فزأر المكوك فى قوة ، ثم اشتعلت النيران من أنابيب العادم فى مؤخرته ، على نحو جعل (نور) يهتف ، وهو يواصل إطلاق النار على الآليات ، التى تحاول عبور باب المكوك ، قبل أن يكتمل إغلاقه :

ـ رائع .. إنه يعمل .

صاحت (نشوى) :

ـ وماذا عن (رمزى) ؟! إننا لن نتركه هنا !

عضّ (نور) شفتيه فى مرارة ، هاتفًا :

ـ إننا نحمل مصير الأرض كله بين أيدينا يا (نشوى) .

صرخت فى ألم :

ـ لن نتركه هنا .

كانت صرختها تتردد فى المكوك ، عندما هتف (أكرم) فجأة فى شحوب :

ـ ربّاه ! (رمزى) !

استدارت عيونهم جميعًا إلى حيث ينظر ، عبر الواجهة الأمامية للمكوك ، وانتفض جسد (نشوى) كله فى عنف ، وهى تصرخ :

ـ (رمزى) .. لا .. لا ..

فوسط القاعة الضخمة ، وعلى بعد ثلاثة أمتار من المكوك ، كان (رمزى) يقف حائرًا مرتبكًا مذعورًا ، وأسراب البعوض الآلى تهاجمه فى وحشية ..

وبكل غضب الدنيا ، صرخ (نور) :

ـ يالأوغاد !

ثم استلّ مسدسه الليزرى مرة أخرى ، واندفع نحو باب المكوك ، فى نفس اللحظة التى هاجم فيها البعوض

(رمزى) ، وراح يغرس إبره فى جسده بمنتهى الشراسة ..

وانطلقت صرخات (رمزى) ، تجمع ما بين الذعر والألم والارتياع ، وامتزجت بصرخات (نشوى) و (سلوى) ، وهتاف (أكرم) المستنكر ، وهو ينتزع مسدسه ، ويعدو نحو الباب بدوره ..

ولكن باب المكوك لم يستجب له أو لـ (نور) ..

لقد اشتعلت المحركات بالفعل ، وبدأ نظام الأمن الآلى عمله ..

وهذا يعنى استحالة فتح الأبواب ..

واحتقن وجه (نور) فى شدة ، فى حين غمغم (أكرم) فى ذهول مستنكر :

ـ ربّاه هل سيلتهمونه أمامنا ، ونحن عاجزون عن إنقاذه ؟!

صرخت (نشوى) مرة أخرى :

ـ مستحيل !! اتركوه أيها الأوغاد .. اتركوه .

ولكن البعوض الآلى تكالب على (رمزى) ، وراح يمزّقه إربًا بلا هوادة ..

بلا شفقة ..

أو رحمة ..

أمام عينى زوجته ..

وقلبها الممزّق ..

وكيانها المنهار ..

وبكل مرارة الدنيا ، عضّ (أكرم) شفتيه ، وترك دموعه تنهمر على وجهه ، وهو يتمتم :

ـ يا للبشاعة ! يا للبشاعة !!

وانهارت (سلوى) باكية ، فى حين اتسعت عينا (نشوى) ، وسقط فكها السفلى فى ذهول ، وتجمّدت الدموع فى عينيها ..

أما (نور) ، فقد احتقن وجهه ، حتى كادت الدماء تتفجّر من عينيه ، وهو يقف فى مكانه جامدًا كتمثال من رخام ، قبل أن يستدير فى آلية عجيبة ، ويتجه إلى مقعد قيادة المكوك ، ويجلس فوقه ، ويربط حزامه فى إحكام ، قائلاً :

ـ اربطوا أحزمتكم .. سننطلق .

حدّق (أكرم) فيه لحظة فى استنكار ، إلا أنه لم يلبث أن نهض إلى مقعد مساعد القبطان ، واستعدّ للإقلاع ، فى حين قادت (سلوى) ابنتها فى صمت إلى

مقعدها وأحكمت رباطه حول وسطها ، ثم جلست على مقعدها هى ، وألقت نظرة على مقعد (رمزى) الخالى ، قبل أن تبكى فى حرارة ، وهى تربط حزام مقعدها ..

وفى اللحظة نفسها ، انفصل البعوض الآلى عن جسد (رمزى) الممزّق ، وانقضّ فى وحشية على المكوك ، وراح يرتطم به فى عنف ..

ولكن (نور) ارتفع بالمكوك ، ودار به حول نفسه ، قبل أن ينطلق به عبر ذلك الممر الطويل ..

وخلفه ، انطلق سرب البعوض الآلى ..

ولكن (نور) زاد من سرعته أكثر ، وأكثر ، وهو يقول لزوجته فى حزم :

ـ ابحثى عن تلك الذبذبة .. دعينا نعد من حيث جئنا .

غمغمت من وسط دموعها :

ـ سأفعل .

وبآلية حزينة ، ومجهود عنيف ، حاولت به محو مشهد مصرع (رمزى) البشع عن ذهنها ، راحت أصابعها تضرب أزرار الكمبيوتر ..

وفى نفس اللحظة ، التى تجاوز فيها (نور) الممر ، وانطلق إلى الفضاء الخارجى ، هتفت هى :

ـ لقد توصلت إليها .

صاح ، وهو يراقب شاشات المكوك ، التى بدت عليها مقاتلات الغزاة ، وهى تندفع خلفه :

ـ وماذا تنتظرين ؟!

غمغمت :

ـ على بركة الله .

وضغطت زرًا أخيرًا ..

فى نفس اللحظة التى انقضت فيها مقاتلات الغزاة ..

وارتجّ المكوك كله فى عنف ..

ثم وثب عبر طريق النجوم ..

كانت الوثبة قوية هذه المرة ، حتى إن أجسادهم جميعًا قد ارتجفت بشدة ، وبدا لهم وكأن أبواب الجحيم كلها قد انفتحت فى وجوههم ، قبل أن يختفى كل ما حولهم ويمتدّ فضاء سرمدى هادئ خالٍ ..

وفى انفعال ، غمغم (أكرم) :

ـ أخيرًا .

أجابه (نور) ، فى لهجة بدت وكأنها لا تحمل أية انفعالات :

ـ لقد عدنا إلى تلك البقعة ، من الفضاء البعيد .

تمتمت (سلوى) :

ـ وبقى أن نعود إلى عالمنا .

أضاف (أكرم) :

ـ بكل ما لدينا من معلومات .

زفر (نور) ، مغمغمًا :

ـ ويا له من ثمن !

قالها ، وضغط أزرار المكوك ، لينطلق عائدًا إلى الأرض ..

ولكن المكوك انتفض فى قوة ..

ثم توقّف تمامًا ..

وراح يسبح فى فضاء لا نهائى ..

على بُعد عدة سنوات ضوئية من الأرض ..

ومن الأمل ..

الأخير ..

* * *

« إنذار زائف .. »

نطقها وزير الدفاع فى توتر بالغ ، جعل رئيس الجمهورية يعود إلى مقعده ، متمتمًا فى عصبية :

ـ ما الذى يفعلونه بنا بالضبط ؟!

ثم لوّح بذراعه كلها ، متابعًا :

ـ لقد سجلت الآلات ضجيجًا قويًا ، أوحى لنا جميعًا بأن الغزو قد بدأ ، ولكن شيئًا لم يحدث ..

قال الوزير فى ضيق :

ـ إنها لعبة الشد والجذب .

تطلّع إليه الرئيس فى تساؤل ، فتابع متوترًا :

ـ إنذارات زائفة ، الواحد تلو الآخر ، تعمل على شد أعصاب الجميع مرة بعد الأخرى ، بحيث تصبح على حافة الانهيار ، عندما تأتى الضربة الرئيسية .

انعقد حاجبا الرئيس ، وهو يحدّق فى وجه الوزير ، قبل أن يقول فى حدة :

كيف يحارب هؤلاء الأوغاد ؟ إنهم يقاتلون الروح المعنوية وحدها .

بدت علامات التفكير العميق على وجه الوزير ، وهو يقول :

ـ ربما لأنه ليس لديهم سوى هذا .

سأله الرئيس فى عصبية :

ـ هل تعتقد هذا ؟!

أشار الوزير بيده ، مجيبًا :

ـ إنه احتمال وارد بشدة ، فمن الناحية التكنيكية البحتة ، وكأسلوب استراتيجى محترف ، ينبغى على المرء أن يبذل قصارى جهده لتحطيم الروح المعنوية للخصم ، قبل بدء المواجهة ، وكلما أدرك الضعف الفعلى لقواته ، أمام قوات الخصم ، زاد من تركيزه على الحرب المعنوية والنفسية ، ولقد لاحظنا جميعًا كيف أنهم يبذلون جهدًا شديدًا ، فى سبيل تحطيم معنويات كل من قرّروا المقاومة ، وهذا قد يعنى أن المواجهة المباشرة ليست مضمونة النتائج .

سأله الرئيس فى دهشة :

ـ بعدما فعلوه بسربنا ، وفى (أمريكا) و (اليابان) ؟!

أجابه الوزير :

ـ (أمريكا) و (اليابان) استسلمتا دون مقاومة ،

وسرينا لم يجد الفرصة للقتال ، ولم يكن يدرى شيئاً عن خصمه ، فى المواجهة الأولى .. أما الآن ، فالأمر يختلف تماماً .

اعتدل الرئيس فى مجلسه ، وقال :

ـ إذن فأنت تعتقد أن مقاتلينا يمكنهم مواجهة الأمر .

أجابه فى حزم :

ـ إلى حد كبير .

تألقت عينا الرئيس ، وهو يقول :

ـ عظيم .. لقد أنعشت الأمل فى قلبى مرة أخرى يا رجل .

قال الوزير بابتسامة باهتة :

ـ الأمل فى الله (سبحانه وتعالى) موجود دائماً يا فخامة الرئيس .

نهض الرئيس من خلف مكتبه ، وهو يقول فى حزم وحماس :

ـ بالطبع أيها الوزير .. وهذا ما يمنحنا الدافع القوى للمقاومة ، وتحدّى الخوف ، و ...

انبعث ذلك الضجيج بغتة ، ليبتر عبارة الرئيس ،

الذى انعقد حاجباه فى شدة ، متمتماً فى عصبية :

ـ ما هذا ؟! إنذار زائف آخر .

أجابه الوزير فى توتر ، وهو يتحرك نحو جهاز كمبيوتر الأمن ، فى ركن حجرة مكتب الرئيس الأساسية :

ـ هذا محتمل يا فخامة الرئيس ، إلا أن الضجيج كان أكثر قرباً هذه المرة ، حتى لقد بدا لى وكأنه ..

لم يحاول إتمام عبارته ، فتطلّع إليه الرئيس لحظة ، قبل أن يكمل فى توتر :

ـ وكأنه على مقربة من هنا .

وافقه الوزير بإيماءة من رأسه ، وقال فى اقتضاب :

ـ بالضبط .

ازداد انعقاد حاجبى الرئيس ، وهو يدير عينيه إلى نافذة الحجرة ، و ...

وفجأة ، عبرت واحدة من مقاتلات الجيش المصرى أمامه ، فى سرعة بالغة ، وكأنها تطارد شيئاً ما ..

وفى اللحظة التالية مباشرة ، ظهر ذلك الشىء ..

مقاتلتان من مقاتلات الغزاة ، تقومان بمناورة واسعة ، فوق القصر الجمهورى مباشرة ، تطاردهما ثلاث من مقاتلاتنا الأرضية ..

وفى انفعال جارف ، هتف وزير الدفاع :

ـ ابتعد يا فخامة الرئيس .. أسرع إلى المخبأ النووى فى القبو .

فى نفس اللحظة ، التى تحرك فيها الرئيس ، كانت المقاتلات الأرضية الثلاث تنقضّ على مقاتلتى الغزاة ..

ثم تطلق صواريخها نحوهما ..

ومع انطلاق الصواريخ ، انفصلت المقاتلتان بسرعة مدهشة ، فصنعت إحداهما من نفسها هدفًا سهل المنال ، لجذب صواريخ المقاتلات الأرضية الثلاث ..

فى نفس اللحظة التى انقضّت فيها المقاتلة الثانية ، على القصر الجمهورى مباشرة ..

وصرخ وزير الدفاع مرة أخرى :

ـ أسرع يا فخامة الرئيس .. ستطلق نحونا أشعتها الساحقة ..

ولكن المقاتلة الثانية لم تفعل هذا ..

لم تطلق حزمة أشعة واحدة ..

لقد انقضت بجسمها كله على القصر الجمهورى ..

ونحو حجرة مكتب الرئيس الأساسية مباشرة ..

وكان الانفجار مدويًا ..

وعنيفًا ..

للغاية .

* * *



٧ ـ انهيار..

« هل انتهى أمرنا ؟! »

ألقى (أكرم) السؤال فى توتر بالغ ، بعد أن توقفت محركات المكوك ، وراح يسبح فى الفضاء بلا هدى ، فهزّ (نور) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ لم يحن الوقت بعد لفقدان الأمل .. لقد توقفت المحركات لسبب ما حتمًا ، وكمبيوتر الأعطال يدرس الأمر الآن ، وسيبلغنا بالنتائج بعد قليل .

غمغمت (نشوى) كالذاهلة :

ـ لا شىء يهم .. لقد قتلوا (رمزى) .

ثم ترقرقت عيناها بالدموع ، وهى تكمل فى انهيار :

ـ قتلوه بمنتهى الوحشية .. الأوغاد .

وانفجرت باكية فى عنف ..

وبلوعة شديدة ، حلت (سلوى) حزام مقعدها ، وهبت تحتوى ابنتها بين ذراعيها ، هاتفة :

ـ إنه قدره يا بنيتى .. قدرنا جميعًا أن نخوض هذا الجحيم .. لا تبكى يا بنيتى .

قال (نور) فى حزم ، وهو يعض شفتيه فى مرارة :

ـ اتركيها تبكى يا (سلوى) .. اتركيها تفرغ دموعها وانفعالاتها .. لقد تجاوزت صدمتها الآن فحسب .

انهارت (نشوى) ، وهى تبكى على كتف أمها ، فى حين غمغم (أكرم) فى تأثر :

ـ لقد احتملت ما يفوق طاقة البشر .

صمت (نور) لحظة ، ليزدرد لعابه ، ويقاوم رغبة عارمة فى البكاء ، قبل أن يقول بصوت مبحوح :

ـ لقد سمعت ما قالته (سلوى) .. إنه قدرنا جميعًا .

زفر (أكرم) فى عصبية ، مغمغمًا :

ـ أنت على حق .. كان يمكن أن نلحق به جميعًا ، لو أن تلك المقاتلات قد تبعتنا إلى هنا .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، عندما نطق (أكرم) عبارته الأخيرة ، وتراجع فى مقعده ببطء ، جعل هذا الأخير يسأله متوترًا :

ـ ماذا هناك ؟!

لوّح (نور) بسبّابته ، وهو يحكّ ذقنه بيده ، قائلاً :

ـ إننى أتساءل : لماذا لم تتبعنا تلك المقاتلات إلى هنا ؟!

هزّ (أكرم) كتفيه ، وقال :

ـ ربما تصوّرت أننا قد قفزنا مباشرة إلى عالمنا .

هزّ (نور) رأسه نفيًا فى حزم ، وقال :

ـ مستحيل ! أجهزتنا قادرة على تحليل ذبذبة الانتقال ، وتحديد المسار المحتمل ، عبر طريق النجوم ، وهذا المسار مسجل لديهم حتمًا ؛ لأنهم يرتادونه ، فى كل مرة ينتقلون فيها إلى عالمنا ، ممّا يجعل تحديده بسيطًا ومباشرًا .

بدت الحيرة على وجه (أكرم) ، وهو يقول :

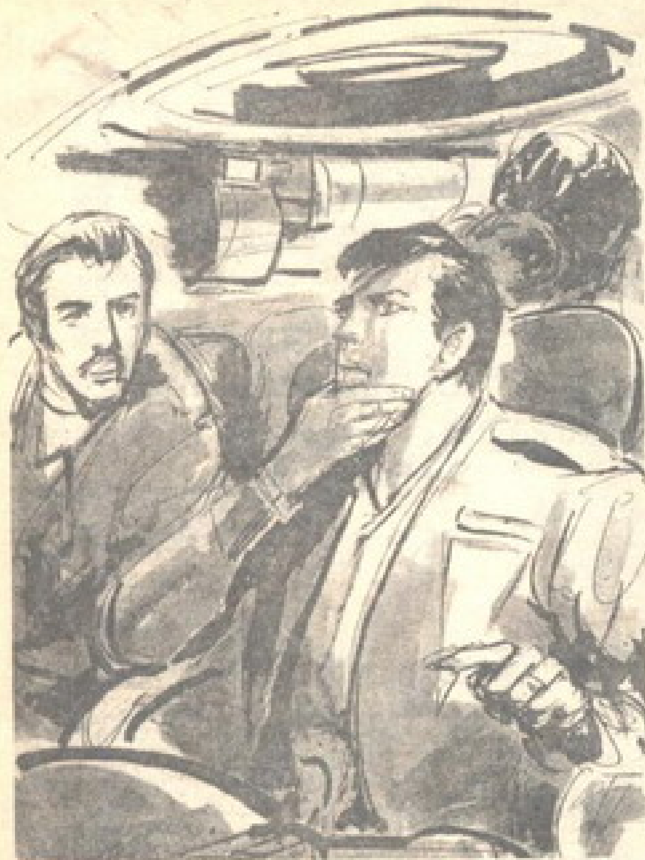
ـ ربما ينتظرون قرارًا من شخص ما ، أو شىء ما .. إمبراطورهم الآلى مثلاً .

قال (نور) معترضًا :

ـ أى قرار هذا .. لقد نجحنا فى الهروب منهم ، والطبيعى أن يطاردوننا على الفور ..

غمغم (أكرم) :

ـ ربما كانوا ...



لوّحَ (نور) بسبّابته ، وهو يحك ذقنه بيده ، قائلاً :
ـ إننى أتساءل : لماذا لم تتبعنا تلك المقاتلات إلى هنا ؟!

قبل أن يتمّ عبارته ، ارتفع أزيز متصل من كمبيوتر الأعطال ، فاستدار إليه الجميع ، وهتف (نور) فى دهشة ، وهو يقرأ ما كتب على شاشته :

- الوقود الأساسى نفد ؟! ولكن هذا مستحيل !

تمتمت (سلوى) ، وهى تحتضن ابنتها فى حنان :

- ربما يستهلك القفز عبر طريق النجوم طاقة ضخمة .

قال (نور) فى توتر :

- وكيف لم يكشف الكمبيوتر هذا ، منذ اللحظة الأولى ؟! بل لماذا استغرق كل هذا الوقت لكشفه الآن ؟! المفترض أنها معلومة أوّلية !

قالت (سلوى) :

- ربما أصابه خلل ما .

سألها فى سرعة :

- لماذا ؟! ما السبب فى إصابته بذلك الخلل ؟!

تبادل الجميع نظرة حائرة متوترة ، وهمّت (سلوى) بقول شىء ما ، لولا أن صدر أزيز آخر عن الكمبيوتر ، وارتسمت على شاشته عبارة تقول :

- هل يتم الانتقال إلى خزان الوقود الاحتياطى ؟!

ضغط (نور) أحد الأزرار ، وهو يغمغم ، وكأنما يحدّث الكمبيوتر :

- وهل لدينا بديل آخر ؟!

اشتعلت المحركات مرة أخرى ، وراح (نور) يقود المكوك ، لينطلق به عبر طريق النجوم ، عائدًا إلى عالمه ، ورأسه يحمل ألف ألف سؤال ..

ولكن الشىء الوحيد الذى لم يدركه ، ولم يخطر بباله أو ببال رفاقه ، هو أن ذلك العالم ، الذى يعودون إليه ، ليس هو نفسه الذى غادروه ، عندما بدأت مهمتهم هذه ..

لقد صار عالمًا مختلفًا ..

إلى حد كبير ..

ومخيف ..

* * *

بدا وجه (أشرف لبيب) ، ضابط المخابرات المصرى ، شاحبًا ممتقعًا بشدة ، وهو يدلف إلى الحجرة ، التى تم احتجاز (مشيرة) فيها ، قائلاً :

- معذرة يا سيّدة (مشيرة) .. لقد استغرق الأمر وقتًا طويلاً للغاية .

صاحت به فى حدة :

ـ أى أمر هذا ؟! إنكم تحتجزوننى هنا ، منذ أكثر من اثنتى عشرة ساعة ، وهذا أمر غير قانونى ، وغير ...

قاطعها بصوت أكثر شحوبًا فى وجهه :

ـ لقد اغتالوا الرئيس .

بترت عبارتها دفعة واحدة ، واتسعت عيناها عن آخرهما ، فى ارتياع جارف ، وهى تهتف :

ـ اغتالوه ؟! يا إلهى ! من تقصد بقولك هذا ؟!

أشار بسبابته إلى سقف الحجرة ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فامتقع وجهها ، وغمغمت :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !!

مال نحوها ، قائلاً فى لهجة تشف عن أهمية وخطورة الأمر :

ـ إننا نحتاج إليك .

قالت بدهشة :

ـ إلىّ أنا ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ نعم ..

ثم راح يتحرك فى الحجرة بتوتر ، متابعًا :

ـ خبر اغتيال الرئيس ، وعدد من رؤساء جبهة المقاومة ، فى عدة دول مختلفة ، أصاب العالم برعب بلا حدود ، وانهارت الروح المعنوية تمامًا ، حتى صارت المقاومة مستحيلة .

هتفت مستنكرة فى ذعر :

ـ هل سنستسلم ؟!

صاح فى حزم :

ـ مستحيل !

ثم أضاف بصوت يموج بالانفعال :

ـ إننا نحتاج إليك ، وإلى جريدة أنباء الفيديو ، وكل وسائل البث الدولى ، عبر الأقمار الصناعية ، لتوجيه أكبر حملة معنوية ، تشمل الكوكب كله .. نحتاج إلى أسلوبك الحماسى ، لبث القوة فى النفوس المنهارة .

وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يكمل :

ـ باختصار .. إنكِ الآن درع المقاومة الأوّل يا سيّدة (مشيرة) .

حدقت (مشيرة) فى وجهه بضع لحظات مشدوهة ، قبل أن تغمغم :

- هل أدركتم الآن أن الحرية والصراحة وحدهما ، هما الطريق إلى النصر ؟!

قال فى عصبية :

- أهذا وقت الانتقام ؟!

هتفت :

- مطلقًا .

ثم اتجهت نحو الباب فى حزم ، متابعة :

- ابعث فى طلب مساعدىّ ، وأفرج عن آلات التصوير والبث .. سنبدأ حملة لاستعادة الروح ..

وتوقفت لحظة ، قبل أن تضيف بحزم أكبر :

- أو كما يحلو لى أن أطلق عليها .. حملة البعث .

واندفعت لتؤدى دورها ..

على أكمل وجه ..

* * *

اتسعت عيون أفراد الفريق فى ارتياع ، وهم يستمعون إلى القائد الأعلى ، بعد عودتهم إلى الأرض ، وهو يروى لهم ما أصاب رئيس الجمهورية ووزير الدفاع ، حتى انتهى ، قائلاً :

- كانت ضربة قذرة ، استشهد بسببها أفضل رجلين

فى (مصر) كلها ، وتحطمت معها الروح المعنوية لشعوب العالم كلها ، وصار الجميع يترقبون الغزو فى أية لحظة .. المخابئ النووية امتلأت عن آخرها ، والهجرة إلى الريف بلغت حدًا ، أغلقتْ بسببه الطرق كلها ، والمحال أغلقت أبوابها ، كما لو أن الحياة قد توقفت تمامًا فى (مصر) .

تمتمت (سلوى) مبهوتة :

- رباه ! إذن فقد كانت مهمتنا بلا طائل .

هتفت (نشوى) فى مرارة ، ودموعها تغمر وجهها :

- ولكننا فقدنا (رمزى) .

هزّ القائد الأعلى رأسه ، قائلاً :

- مهمتكم لم تكن أبدًا بلا طائل .. لقد عدتم بالكثير من المعلومات .

ثم عضّ شفتيه ، مكملاً :

- ولكنها معلومات مخيفة للأسف .

تنحنح (نور) ، قائلاً :

- ربما ليس إلى هذا الحد .

أشار القائد الأعلى بيده ، قائلاً :

- أى حد يا (نور) ؟! لقد شاهدتم كوكبًا فضائيًا ، وملايين من المقاتلات ، وأشخاصًا آلية عملاقة .. كيف يمكننا مواجهة كل هذا ؟!

قال (نور) فى حزم :

- يجب أن نقاوم على كل حال يا سيِّدى .

أومأ القائد الأعلى برأسه ، وهو يتمتم :

- أنت على حق .. يجب أن نقاوم .

ثم هزّ رأسه ، قبل أن يضيف :

- حتى ولو فنينا جميعًا .

أجابه (أكرم) فى عصبية :

- بناء على ما فعله أولئك الأوغاد ، أعتقد أننا سنفنى على أية حال .

تمتمت (نشوى) فى حزن مرير :

- ونلحق بـ (رمزى) .

انعقد حاجبا القائد الأعلى ، وهو يشير إليها بسبابته ، وهمّ بقول شىء ما ، ولكن أزيزًا انطلق من جهاز الهولوفيزيون فجأة ، فاعتدل فى مقعده ، قائلاً فى انفعال واضح :

- لقد بدأت حملة البعث .

بدت الدهشة على وجوه الجميع ، وتساءل (أكرم) :

- أى بعث ؟!

أجابه القائد الأعلى ، وهو يشعل جهاز الهولوفيزيون :

- إنها حملة مكثفة ، لاستعادة الروح المعنوية المنهارة يا (أكرم) ، تقوم بها زوجتك .

هتف (أكرم) :

- (مشيرة) ؟!

أجابه القائد الأعلى فى احترام :

- نعم .. (مشيرة محفوظ) .. أكثر صحفيات (مصر) احترامًا ، وتأثيرًا فى الجماهير ، فى كل شعوب الأرض .. لك أن تفخر بها يا رجل .

شدّ (أكرم) قامته ، وتطلّع إلى شاشة الهولوفيزيون ، التى نقلت صورة مجسمة ثلاثية الأبعاد لزوجته ، وهى تقف وسط أكبر ميادين (القاهرة) الجديدة ، وهو يقول :

- إننى أفخر بها بالفعل يا سيِّدى .

ألقى قوله ، ثم استمع مع الجميع ، بكياتهم كله ،

إلى (مشيرة) ، وهى تهتف فى حماس ، يتم بثه إلى كل أنحاء العالم ، عبر أقمار صناعية للترجمة الفورية ، بكل اللغات المعروفة :

- سيداتى سادتى ، فى كل بقاع الأرض .. فى كل ركن حر من العالم .. يا كل مواطن ينتمى بجسده وعقله وكيانه إلى كوكبنا .. هنا (مشيرة محفوظ) ، تتحدث إليكم من (القاهرة) الجديدة .. من قلب (مصر) النابض بالأمل والحزم والعزم ، والإصرار على الكفاح والمقاومة ، مهما بدت الصورة قاتمة ، داكنة ، كئيبة ، ومهما بدا العدو قويًا قاسيًا شرسًا .. انهضوا معى من يأسكم .. لا تستسلموا أبدًا .. لاتنساقوا إلى ما يدفعكم إليه عدوكم الغادر .. لاتستكينوا إلى محاولاته القذرة لتحطيم نفوسكم ومعنوياتكم .. انهضوا ، وقاوموا ، وقاتلوا .. لاتسمحوا له أبدًا بالاستيلاء على كوكبكم ، وحاضركم ، ومستقبلكم ، دون أن يكون الثمن فادحًا غاليًا بالنسبة له .. استعيدوا معى كل ما حدث منذ البداية ، وستدركون أن العدو ليس قويًا كما يتظاهر .

تمتمت (سلوى) :

- لأنك لم ترى ما رأيناه .

أشار إليها القائد الأعلى بالتزام الصمت ، وهو يستمع بكل اهتمام إلى (مشيرة) ، التى بدت أشبه بصورة مجسَّمة للحماس والأمل ، وهى تهتف :

- ستدركون أن العدو يتحاشى مواجهتكم ، فى كل مرة يضرب فيها ضربته .. إنه لا يضرب إلا العزّل والمستسلمين وحدهم .

قال (أكرم) فى حنق :

- وماذا عن سرب المقاتلات ؟!

التفت إليه القائد الأعلى ، قائلاً فى حزم :

- استمع إلى زوجتك ، بدلاً من الانغماس فى روح اليأس هذه يا (أكرم) ؛ فكلماتها قوية للغاية ، وحماسها كفيل بقلب ميزان الأمور رأسًا على عقب ..

قالت (نشوى) فى يأس :

- وهل سيصنع هذا فارقًا ؟!

قال القائد الأعلى فى صرامة :

- على الأقل سيدفعهم إلى القتال والمقاومة .

ثم لوَّح بكفه ، مستطردًا :

- السياسيون مشغولون الآن بانتخاب رئيس جديد ،

يتولّى دفة الأمور فى سرعة ، والعلماء يعملون بكل جدهم وجهدهم ، لابتكار سلاح قادر على مواجهة الغزو ، والإعلاميون يبثون الحماس فى قلوب الناس .. كل يؤدى واجبه ، حتى ولو لم يكن النصر ممكنًا .. المهم أن نفعل ما بوسعنا .

غمغم (نور) فى حزم :

ـ بالتأكيد يا سيّدي .. بالتأكيد .

ثم عاد الصمت يغلّف المكان ، والجميع يستمعون إلى (مشيرة) ، وهى تهتف ، بكل حماس الدنيا :

ـ لا تستسلموا أبدًا .. لا تقعوا فى الفخ ، الذى أراده لكم العدو .. قاتلوا .. قاوموا .. ابذلوا أرواحكم فى سبيل حريتكم .. فى سبيل أوطانكم .. وعالمكم .. وكوكبكم كله .. قاتلوا من أجل ..

انبعث ضجيج عنيف بغتة ، قبل أن تتمّ عبارتها ، فهتف (أكرم) :

ـ رباه ! لقد جاءوا .

وفى الهولوفيزيون ، بدا الاضطراب على وجه (مشيرة) ، وهى ترفع رأسها إلى السماء ، هاتفة :

ـ قاوموا .. لا تستسلموا .

ومع هتافها ، انشقّ الفضاء عن جيش ضخم من المقاتلات ، اندفع من كل صوب ، وإلى كل صوب ..

ومن كل مكان ، انطلقت المقاتلات الأرضية ، لتشتبك مع مقاتلات الغزاة ، و (مشيرة) ، تهتف فى حماس منقطع النظير ، لم تخفف من صوتها المرتجف :

ـ عبر عدسات (أنباء الفيديو) ، تنقل إليكم (مشيرة محفوظ) أخطر لحظات فى تاريخ كوكبنا .. لحظة الغزو .. نسورنا ينطلقون لمواجهة الغزاة والتصدّى لهم .. القتال يشتعل فى سمائنا ، ويصنع منها جحيمًا .. ولكننا لن نستسلم .. سنقاوم .. ونقاتل .. ونلقى الجحيم فى وجوه أعدائنا .. سنقاتل حتى آخر قطرة دم .. سنقاتل .. سنقاتل .

كانت السماء قد تحولت بالفعل إلى قطعة من الجحيم ، وخيوط الليزر تسحق المقاتلات الفضائية ، ومقاتلات العدو ، والنيران تتساقط فى كل مكان ، و (مشيرة) تواصل صرخاتها الحماسية :

ـ سنقاتل .. سنقاتل حتى آخر نفَس فى صدورنا .

وبكل ذعره وهلعه ، صاح (أكرم) :

- ابتعدى يا (مشيرة) .. اهربى .. غادرى ساحة المعركة .. الآن .

ومع صيحته ، انفصلت مقاتلتان عن سرب الغزاة ، وانقضتا علـى فريق (أبناء الفيديو) ، الذى انطلق رجاله هاربين فى ذعر ، باستثناء (مشيرة) ، التى ظلت تصرخ :

- سنقاتل .. سنقاتل .

وصرخ (أكرم) فى ارتياع :

- لا يا (مشيرة) .. لا ..

ولكن حزم الأشعة انطلقت ..

ودوّت عشرات الانفجارات ..

وتوقفت صرخات (مشيرة) الحماسية ..

إلى الأبد ..

وفى ذهول مرتاع مذعور ، حدّق (أكرم) فى شاشة الهولوفيزيون ثلاثية الأبعاد ، والتى لم تعد تستقبل أى بث على الإطلاق ، وهو يردد :

- لا .. ليس (مشيرة) .. مستحيل !

ثم صرخ بكل قوته :

- ليس (مشيرة) ..

وفى مشهد عجيب ..

وربما لأوّل مرة فى حياته كلها ..

انهار (أكرم) ..

انهار على أقرب مقعد إليه ، وهو يصرخ :

- الأوغاد .. الأوغاد .

وترددت صرخاته فى قاعة الاجتماعات ، بمبنى المخابرات العلمية المصرية ، الذى أصيب كل من فيه بصدمة عنيفة ..

صدمة أدركوا معها أن الغزو قد بدأ ..

وأن الجحيم قد فتح أبوابه على مصراعيها ..

أوسع أبوابه ..

* * *

مأساة رهيبة بكل المقاييس ..

الغزاة انقضوا بمقاتلاتهم على (مصر) ، فى شراسة منقطعة النظير ..

وبأعداد رهيبة ..

وبكل قوتهم وإصرارهم ومهارتهم وخبراتهم ، انطلق نسورنا يتصدّون للغزاة ، واشتبكوا معهم وأسقطوا العشرات منهم ..

وسقطوا ..

أبطالنا ونسورنا قاتلوا كالأسود ، قبل أن يسقطوا شهداء ..

والعجيب أن الخصم لم يبد رهيبًا منيعًا ، كما تصورَ الجميع ..

مقاتلاته أيضًا تساقطت كالذباب ..

ولكن أعدادها كانت هائلة بحق ..

وكما يقولون دائمًا : الكثرة تهزم الشجاعة ..

وتنحرها ..

وتسحقها أيضًا ..

ولقد استغرقت المعركة ساعة كاملة ، فقد خلالها الغزاة مائتى مقاتلة ، وفقدنا نحن ألف ..

كل عشر مقاتلات للغزاة كانت تنقض فى كل الاتجاهات ، على مقاتلة واحدة من مقاتلاتنا ..

وتنطلق حزم الليزر بلا هوادة ..

بلا رحمة ..

وبلا مبالاة ..

ودلخل المخابئ النووية ، لختفى الجميع ..

النساء ..

والأطفال ..

والشيوخ ..

أما الشباب والرجال ، فقد تزاحموا لحمل السلاح ، ومواجهة العدو ، الذى يُنتظر هبوطه ، بعد أن يتحقق له التفوق الجوى ، والسيطرة الفضائية التامة ..

وفى مقر قيادة المخابرات العلمية ، الذى تحوّل إلى مقر المقاومة ، فور بدء القتال ، هتف القائد الأعلى ، وهو يتابع ما يحدث ، على شاشات الرصد المختلفة :

ـ يا للأوغاد ! إنهم يسحقون كل شىء بلا رحمة ، كما لو أن جنسهم يحيا دون قلوب تنبض .

قال (نور) فى عصبية ، وهو يتابع المذبحة الرهيبة :

ـ مادام إمبراطورهم عملاقًا آليًا ، فلن أستبعد أن يكون هذا حقيقة .

هتف (أكرم) فى غضب هادر مرير :

ـ وهل سنبقى هنا ، ونكتفى بالمراقبة والمشاهدة والاستنكار ؟! كلا يا رفاق .. لن يحدث هذا أبدًا .

ثم استلّ مسدسه ، ولوّح به ، صارخًا :

ـ سأخرج لمواجهة هؤلاء الأوغاد .. سأنتقم لـ (رمزى) و (مشيرة) ، ولنسور (مصر) ، وكل قطرة دم طاهرة ، أريقت على تراب الأرض .

هتفت (نشوى) :

ـ نعم .. دعنا نفعلها ..

ولكن (نور) استدار إليهما ، قائلاً فى صرامة :

ـ هذا بالضبط ما يريدونه منا .. أن نفقد عقولنا ، وحلمنا ، وحسن إدراكنا للأمور ، وننطلق لنقاتل بهمجية وعشوائية ، فتسحقنا تلك المقاتلات الحقيرة ، كما لو كنا مجموعة من النمل ، تسحقها قدم ضخمة ، دون أن يشعر بها وبوجودها أحد .. كلا يا رفاق .. لن نمنحهم ما يسعون إليه قط .. أتريدان الثأر لـ (رمزى) و (مشيرة) .. نعم .. سنفعل هذا حتمًا ، ولكن بأسلوبنا نحن ، وليس بما يدفعوننا إليه ..

وعضّ شفتيه ، ليخفى ألمه ومرارته ، قبل أن يتابع فى حزم :

ـ لو أن هؤلاء الغزاة قد انتصروا فى معركتهم الأولى ، فهذا لا يعنى أنهم سيربحون أيضًا فى النهاية .. لقد سبق لنا أن واجهنا هذا الجحيم ، وقاومنا ، وقاتلنا .

رددت (سلوى) :

ـ وانتصرنا .

التفت إليها (نور) قائلاً فى حزم :

ـ بالضبط .

ثم عاد يستدير إلى (نشوى) و (أكرم) ، متابعًا :

ـ أيامها فقدت أبى وأمى ، وفقدنا كل قادة (مصر) ، والقائد الأعلى ، ومدير مركز الأبحاث ، ومئات الألوف من البشر .. ولكننا لم نفقد عقلنا ، وحماسنا ، وأعصابنا .. لم نفقد قدرتنا على القتال والمقاومة .

وشدّ قامته فى قوة ، مضيفًا :

ـ ولهذا انتصرنا .

حدّق الجميع فى وجهه بضع لحظات ، قبل أن يغمغم (أكرم) :

ـ نعم يا (نور) .. لهذا انتصرنا .

ثم انعقد حاجباه فى حزم ، مستطردًا :

ـ وبهذا سننتصر بإذن الله (سبحانه وتعالى) .

قال القائد الأعلى ، فى تلك اللحظة ، وهو يشير إلى الشاشة ، فى شحوب شديد :

ــ يبدو أنهم قد انتقلوا إلى مرحلة السيطرة الأرضية .

أدار الجميع عيونهم إلى الشاشة ، وحدّقوا في المركبة الفضائية الضخمة ، الشبيهة بالجعران(*) ، والتي هبطت في بطء ، وسط الميدان الكبير ، تحيط بها مقاتلات الغزاة ، حتى استقرّت وسط المنبحة تمامًا ..

ولثوان ، تجمّدت الصورة كلها ، كما لو أنها قد تحوّلت إلى مشهد ثابت ..

ثم انفتح باب جانبي في بطء ، ومال حتى لامس أرضية المكان ، صانعًا ما يشبه الجسر المنحدر ..

وعبر ذلك الجسر ، انطلقت مقاتلات الغزاة الأرضية ..

أجسام رهيبة مخيفة ، أشبه بعناكب عملاقة ، راحت تنتشر في كل مكان ، وتتجه نحو مداخل المخابئ

(*) الجعران : اسم يُطلق على الخنافس ، من فصيلة (سكارابيدي) ، كالجعران المقدس ، الذي يصنع كرات من روث الحيوانات كغذاء له ، ويضع بيضه داخلها ، فتخرج منه اليرقات ، وقد قدّسه قدماء المصريين ؛ لاعتقادهم بأنه على صلة بإله الشمس ، وبالبعث والخلود ، وصنعوا العديد من الحلي المعدنية والخزفية على هيئته .

النووية مباشرة ، وكأنها تعلم مواقعها ، وترصدها منذ الأزل ..

وبكل غضب وارتياع الكون ، هتف (أكرم) :

ــ يا للخسة ــ! سيهاجمون النساء والأطفال والشيوخ العزّل .

تراجعت (سلوى) في ارتياع ، مردّدة :

ــ يا إلهي ! يا إلهي !

ومع كلماتها ، بدا أحد العناكب الضخمة ، وهو يتجه نحو آلات التصوير مباشرة ، ثم يطلق قذيفته ..

وصدرت من شاشة الرصد فرقعة عجيبة ، قبل أن تختفي الصورة عنها تمامًا ..

وفي مرارة ، هتف القائد الأعلى :

ــ يا للبشاعة ! يا للبشاعة !

أما (أكرم) ، فقد قال في عصبية غاضبة :

ــ ما الذي يسعون إليه بالضبط ؟! لقد واجهنا غزاة بشعين من قبل ، ولكنهم ، على الرغم من وحشيتهم ، لم يبلغوا هذا الحد أبدًا .. لم يسحقوا كل من يقف في وجههم على هذا النحو .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يقول :

- ربما لأن من واجهناهم من قبل كانوا أحياء .

سألته (نشوى) فى دهشة :

- ماذا تعنى يا أبى ؟!

صمت طويلاً ، وقد انعقد حاجباه فى شدة ، وارتسمت على وجهه علامات التفكير العميق ، فهتف به (أكرم) :

- فلتخبرنا ماذا تعنى يا (نور) ؟!

انفرجت شفتا (نور) ، وهو يلتفت إليهم ، وبدا وكأنه سيخبرهم بما لديه ، إلا أن أزيزًا عاليًا انطلق فجأة فى المكان ، وامتزج بصوت القائد الأعلى ، وهو يهتف فى توتر :

- ربّاه ! إنهم يهاجموننا .

استدار الجميع إلى شاشة رصد كبيرة ، بدت عليها عشر من مقاتلات الغزاة ، وهى تنطلق نحو مبنى إدارة المخابرات العلمية مباشرة ، فهتف (أكرم) :

- يا للأوغاد !

انعقد حاجبا (نور) لحظة فى شدة ، قبل أن يهتف فجأة ، بلهجة صارمة آمرة :

- إلى المخبأ النووى جميعًا .. بأقصى سرعة .

ودون مناقشة ، انطلق الجميع يعدون خلفه ، عبر ممرات المبنى ، فى نفس اللحظة التى بدأت فيها أجهزة الدفع الجوى عملها ، وراحت تطلق قذائفها وحزم أشعتها نحو المقاتلات ..

وفى هذه المرة أيضًا ، لجأت مقاتلات الغزاة إلى التكنيك نفسه ..

لقد انفصلت إلى فريقين ..

فريق واجه كل أسلحة الدفاع الجوى ، فى انتحارية عجيبة ..

والفريق الآخر تقمّص دور الكاميكاز(*) ، وانقضّ على مبنى إدارة المخابرات العلمية بكل قوته ..

ومع الارتطام دوّى الانفجار ..

وارتجّت المنطقة كلها ..

بمنتهى العنف .

* * *

(*) الكاميكاز : كلمة يابانية من مقطعين (كامى - كاز) ، وهى تعنى (القنبلة الحية) أو (القنبلة البشرية) ، وهو مصطلح نشأ فى الحرب العالمية الثانية ، وبالتحديد فى أثناء معركة (ميدواى) البحرية ، وتم إطلاقه على الطيارين اليابانيين ، الذين كانوا يلقون طائراتهم على المدمرات الأمريكية ، وينسفون أنفسهم معها ، بعد أن أعجزتهم وسائل الدفاع الجوى عن الاقتراب منها وقصفها .

٨ـ نبض الحياة ..

مرة أخرى ، ارتجّت آلة الزمن فى عنف ..

هناك شىء ما غير طبيعى ..

خلل ما ..

ليس من المفترض أن تحدث هذه الارتجاجات ..

ليس من الطبيعى أن تفلت الأمور إلى هذا الحد ..

حتى الرحلة عبر الزمن ، استغرقت وقتًا أطول مما ينبغى ..

أوهكذا خُيِّل لـ (نور) ، وهو يجلس فى مقعده ، فى حالة أشبه بالغيبوبة ، وكل أطرافه باردة كالثلج ، عاجزة عن الحركة ..

من المستحيل أن يصيب هذا المسافر عبر الزمن ..

صحيح أنه وزوجته لا يرتديان أية أزياء واقية ..

ولكن كل الدراسات تؤكِّد أن هذا ليس حتمًا ..

ربما يجعل رحلة الزمن أكثر راحة ..

ولكن عدم وجود الزى الواقى لا يمكن أن يؤدى لكل هذا ..

إنه عاجز عن النهوض ..

أو حتى عن المتابعة ..

كل ما لاحظه هو أن مؤشر الزمن أصابه خلل ما ..

لم يعد يسير فى بطء منتظم كذى قبل ..

بل لم يعد يحدِّد الاتجاه الذى ينطلق فيه ، عبر نهر الزمن ..

تُرى ما الذى يعنيه هذا ؟!

ما الذى يمكن أن يشير إليه ؟!

شغلته تساؤلاته لبضع لحظات ، ثم لم يلبث ذهنه أن طرحها جانبًا ، مع ذلك الحذر الذى يسرى فيه ..

وعاد يسترجع ذكرياته ..

ذكريات ذلك الغزو الرهيب ..

استرجع ذهنه ذلك الانفجار المدوّى ، الذى حدث فى مبنى إدارة المخابرات العلمية ، قبل أن يبلغوا المخبأ النووى تمامًا ..

ما زال يذكر كيف اندفع جسده إلى الأمام ، وطار فى الهواء ، ثم هوى يرتطم بالأرض فى عنف ..

ويذكر إصابة (نشوى) ..

ومصرع القائد الأعلى ..

ويا لها من ذكريات !

استعادت مشاعره ، فى تلك اللحظة ، كل ما مرّ به من ألم ومرارة وعذاب ، فى تلك اللحظات ..

وانطلق يستعيد الذكريات ..

ذكريات الغزو ..

والمقاومة ..

* * *

الثلاثاء .. الرابع من مايو .. القرن الحادى والعشرين ..

خيم سكون وصمت رهيبين على الميدان الرئيسى ، فى قلب (القاهرة) الجديدة ، وارتفعت منه رائحة الموت تزكم الأنوف ، وقد تناثرت فيه جثث الموتى ، وحطام مقاتلاتنا ، ومقاتلات العدو ، التى لم ترفع بعد ، منذ تلك المذبحة الرهيبة ..

مذبحة الغزو ..

المدينة كلها بدت صامتة كئيبة ، فى اليوم الثالث للغزو ..

الجميع قبعوا فى بيوتهم ، ينتظرون الموت فى أية لحظة ، بعد أن أدركوا أن الغزاة يعرفون كل مواقع المخابئ النووية ، ويصرون على مهاجمتها وسحقها بكل من فيها ..

وكان العدو يُعلن أنه يرفض أن يختبئ البشر .. يريدهم أمامه ، فى أية لحظة ..

وكل لحظة ..

ولكن لماذا ؟!

لا أحد يدرى ..

لا أحد على الإطلاق ..

ووسط كل الصمت والسكون ، تحرك جسدان بشريان ، فى حذر وخفة ، وسط الحطام المنتشر فى كل مكان ..

وفى مرونة مدهشة ، انتقلا إلى حطام إحدى مقاتلات العدو ، وهما يخفيان أنفيهما وفميهما بمنديلين كبيرين ، وراحا يفحصان حطام المقاتلة الفضائية فى اهتمام بالغ ..

ولدقيقتين أو يزيد ، لم ينبس أحدهما بحرف واحد ..

ثم غمغم (أكرم) فى توتر :

ـ كنت على حق يا (نور) .. إنها مقاتلة بلا طيّار .

أجابه (نور) فى خفوت :

- هناك مقعد للطيّار ، ولكن من الواضح أنه لم يُستخدم قط .. كل هذه المقاتلات كانت تنطلق بالتوجيه البعيد .

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف :

- أو بالتوجيه الذاتى .

سأله (أكرم) فى توتر :

- ما الذى تعنيه بالتوجيه الذاتى ؟!

أشار (نور) إلى الحطام ، مجيبًا :

- أعنى أن تلك المقاتلات ، فى حقيقة أمرها ، أشخاص آلية ، مبرمجة بنظام ذكاء صناعى مدهش ، يتيح لها القتال والمناورة ، واكتساب الخبرات المختلفة .

وتنهّد فى توتر ، مضيفًا :

- وهذا يفسّر كل شىء .

سأله (أكرم) فى لهفة :

- مثل ماذا ؟!

همّ (نور) بإجابة سؤاله ، ثم لم يلبث أن أطبق شفتيه ، وعقد حاجبيه فى شدة ، وهو يشير بسبّابته ، قبل أن يلوّح بإشارة خاصة ، جعلت (أكرم) يضغط



وراحا يفحصان حطام المقاتلة الفضائية فى اهتمام بالغ ..

زرًا فى حزامه ، ثم يحبس أنفاسه ، ويخفى جسده خلف جزء من الحطام ، وهو يتطلع فيما حوله ، فى توتر بالغ ..

ثم التقطت أذناه ذلك الصوت ، الذى التقطته أذنا (نور) من قبل ..

ومن بعيد ، ظهرت إحدى تلك الآلات المخيفة ، الشبيهة بالعناكب العملاقة ..

وحبس (نور) أنفاسه بدوره ..

ومن قمة العنكبوت الآلى ، انبعثت حزمة من ضوء أخضر باهت ، راحت تمسح المكان كله فى بطء ..

ولثلاث دقائق كاملة ، راحت الآلة تسير فى بطء ، بين الحطام والأشلاء ، والضوء الأخضر الباهت يفحص المكان ، وكأنما يبحث عن أى أثر للحياة ..

ثم بدأت الآلة تبتعد ..

وتبتعد ..

حتى اختفت تمامًا ..

وعندئذ ..

عندئذ فقط ، أطلق (أكرم) من أعماق أعماقه زفرة حارة ، وهو يهتف :

ـ ربّاه ! كلما تصوّرت ما كان يمكن أن يحدث ، لو كشف ذلك الشىء وجودنا ، انخلع قلبى رعبًا .

أشار (نور) بيده ، قائلاً :

ـ لقد انتهى عملنا هنا ، والأفضل أن نعود إلى وكرنا .

غمغم (أكرم) ، وهو يتحرك إلى جواره ، بمنتهى السرعة والخفة :

ـ بالتأكيد .

لم يطرح سؤالاً آخر على (نور) ، طوال طريق العودة ، وهما يبذلان جهدًا خرافيًا ، للإفلات من عناكب الغزاة الآلية ، إلا أن عقله ظلّ يتساءل طوال الوقت فى قلق :

ترى ما الذى يقصده (نور) ؟!

« خصمنا ليس مخلوقًا حيًا .. »

نطق (نور) العبارة فى حزم ، داخل المخبأ السرى ، الذى اتخذته المقاومة الأرضية ، فاتسعت عيون رفاقه ، وهتفت (نشوى) :

ـ لماذا تقول هذا يا أبى ؟!

أجاب (نور) :

- كل شىء حدث ويحدث ، يؤكد أن استنتاجى هذا صحيح .. إننا لم نر مخلوقًا واحدًا من الغزاة ، منذ بدأ كل هذا .. وحتى عندما دخلنا مركبتهم العملاقة ، لم نر سوى شخص آلى ضخم ، وآلات شبيهة بالبعوض .. وهنا على الأرض ، منذ بدأ الغزو ، لم نر سوى آلات .. فقط آلات ، فما الذى يمكن أن يعنيه كل هذا ؟!

سألته (سلوى) حائرة :

- ما الذى يمكن أن يعنيه ؟!

أجاب فى انفعال :

- إننا نواجه عالمًا من الآلات .

هتف أحد الرجال ، فى دهشة بالغة :

- عالم من ماذا ؟!

لوّح (نور) بذراعيه ، وهو يقول :

- عالم من الآلات يا رجل .. عالم إمبراطوره آلى عملاق ، وكل مقاتليه من الآلات المتقدّمة .

سأله (أكرم) مستنكرًا :

- ولكن كيف يمكن أن ينشأ عالم كهذا يا (نور) ؟! الآلة تحتاج حتمًا إلى صانع !

تحرك (نور) فى المكان ، وهو يقول :

- هذا أمر لا شك فيه ، ولكن دعونا نرسم صورة للأمر منذ بدايته .. فلنتخيل عالمًا متقدمًا للغاية ، بدليل قدرته على صنع سفينة فضائية هائلة كهذه ، وإطلاقها فى الفضاء ، وعلى متنها طاقم متكامل ، مع عدد من الآلات المتقدّمة ، ذات الذكاء الصناعى ، لارتياد الكون الشاسع ، واستكشاف الفضاء اللانهائى .. ثم أصيبت تلك الآلات بالخلل ، لسبب أو لآخر ، وساعدها ذكاؤها المتفوق على الثورة على صانعيها ، وتحطيمهم ، ثم بدأت هى تسيطر على الموقف تمامًا .

غمغم أحد الرجال فى حدة :

- صورة خيالية ، أكثر مما ينبغى .

تابع (نور) ، وكأنه لم يسمعه :

- ولأن تلك الآلات قد برمجت للبحث عن صور الحياة فى الكون ، فهى تواصل رحلتها فى الفضاء السرمدى ، وعبر طريق النجوم ، بحثًا عن أى كوكب مأهول .

تمتم (أكرم) فى عصبية :

- وتدميره .

أشار (نور) بسبابته ، قائلاً :

ـ بالضبط .

سرت همهمة بين الجميع ، وهتف أحدهم فى سخط :

ـ أية مهمة هذه ؟!

أجابه (نور) فى سرعة :

ـ مهمة تقوم بها عقول آلية ، تحررت لأول مرة من سيطرة العقول الحية ، وتصورت أن مهمتها الرئيسية هى مواصلة التحرر ، وسحق أية صور للحياة ، فى أى مكان من الكون .

تبادل الجميع نظرات متوترة للغاية ، قبل أن يهتف أحد الرجال :

ـ هذا يبدو لى أشبه بفيلم من أفلام الرعب ، الممتزج بالخيال العلمى .

أجابه (نور) فى حزم :

ـ ولكنه يفسّر كل ما حدث ، ويلقى الضوء على تلك الوحشية اللانهائية والانتحارية المذهلة ، اللتين تميزان هؤلاء الغزاة ؛ فالآلات بلا قلب ، ولا تشعر بالشفقة أو الرحمة ، كما أن كلمة الحياة ومعنى الانتحار لا وجود لهما فيها .

هتف (أكرم) :

ـ وماذا عن الذكاء المفرط ، والعبقرية فى تحطيم الروح المعنوية ؟!

هزّ (نور) كتفيه ، مجيبًا :

ـ المناورة والاستراتيجية أمران تتميّز بهما الآلات المفكّرة ، وإلا ما وجدنا أجهزة كمبيوتر متفوّقة فى لعبة الشطرنج ، ويمكنها هزيمة أبطال العالم فيه(*) ، وهو لعبة قمة فى الاستراتيجية والتكنيك والمناورة .

غمغم رجل آخر :

ـ ما زال الأمر يثير فى نفسى الرعب .

أجاب (نور) فى حزم :

ـ ولكنه يمنحنا شيئًا من الأمل على الأقل .

هتف أحد الرجال مستنكرًا :

ـ أى أمل ؟!

أشار إليه (نور) ، مجيبًا :

ـ الأمل فى أننا نواجه عقولاً آلية ، وليست حية ..

(*) فى مباراة مثيرة للغاية ، عام ١٩٩٧م ، نجح الكمبيوتر (ديب بلوتو) (Deep blue two) فى هزيمة بطل العالم فى الشطرنج (جارى كسباروف) ، معلنا ميلاد جيل جديد من آلات الكمبيوتر المفكرة .

عقول قابلة للانهزام أمام العقل البشرى .

قال رجل فى حدة :

ـ وكيف أيها القائد ؟! أنت قلتها بنفسك : الآلات المفكّرة تنتصر دائمًا ، فى الاستراتيجية والمناورة .

أجابه (نور) :

ـ هذا ينطبق على الألعاب ذات القواعد الثابتة وحدها ، حيث لا يمكن للطرفين الخروج عن خط مرسوم ومحدود ، أما فى القتال المباشر ، والحياة الطبيعية ، فالقواعد تتغيّر وتتبدّل ، وفقًا لمقتضيات الموقف ، ومهما بلغت تلك الآلات المفكّرة من ذكاء صناعى ، لن يمكنها أبدًا أن تبارى العقل البشرى ، فى هذا المضمار .

سألته (نشوى) :

ـ ومن أدرانا أنه لا يوجد عقل حى جبار ، خلف كل هذا ؟!

سألها مباشرة :

ـ وما الذى ينقصه ، ليكشف عن وجوده الآن ؟! ألم يتحقّق له النصر التام ؟! ألم ينجح فى السيطرة على أربعة أخماس الأرض ، حتى هذه اللحظة ؟!

أشار (أكرم) بسبّابته ، وهو يقول فى اهتمام قلق :

ـ هل تعلم يا (نور) .. هذا الأمر يطرح فى ذهنى تساؤلاً آخر .. لماذا لم يسيطر على العالم كله دفعة واحدة ، ما دام يمتلك كل هذا التفوّق العددى ؟! لماذا يهاجم كل دولة على حدة ؟!

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يدرس هذه النقطة جيدًا ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ هذا أمر مهم بالفعل يا (أكرم) .. لماذا يفعل هذا ، على الرغم من أنه يمتلك ما يزيد على مليون مقاتلة ، طبقًا لما سجلته أجهزة المكوك (ابن ماجد) ؟! لماذا ؟!

قال أحد الرجال فى عصبية :

ـ وما الذى يدعوه إلى العجلة ؟! كل شىء تحت سيطرته الآن .

هزّ (نور) رأسه نفيًا فى قوة ، وهو يقول :

ـ لا يمكن أن يكون هذا هو السبب .

سأله رجل آخر فى حدة :

ـ ما السبب إذن ؟!

عاد يهزّ رأسه فى بطء هذه المرة ، وهو يتمتم :
ـ لم يتضح بعد .
قال (أكرم) فى حزم :
ـ ولكنك ستتوصلّ إليه حتمًا .
غمغم (نور) :
ـ بإذن الله (سبحانه وتعالى) يا (أكرم) .. بإذن الله .
ولكن وجهه ظلّ يحمل علامات التفكير العميق ، وهو يتابع ، وكأنما يتحدث مع نفسه :
ـ ولكن هذا يقودنا إلى أمر آخر .. ففى الاحتلال السابق ، اهتمّ الغزاة بنسف كل ما ينتمى إلى الحضارة ، وعلى رأسها الأقمار الصناعية ووسائل الاتصال ، أما فى هذه المرة ، فالخصم لم يسع إلى هذا .. بل ولم يبال به على الإطلاق ، فلماذا ؟!
قال أحد الرجال فى سخرية :
ـ الآلات تحنّ لبعضها .
ازداد انعقاد حاجبي (نور) ، وازدادت علامات التفكير على وجهه عمقًا ، حتى إن الجميع قد لاذوا بالصمت ، وشعروا بأن عقله يدير عشرات الأمور

بعضها مع البعض ، ويقلبها ويفحصها ويمحصها ، قبل أن يقول فى بطء عجيب :
ـ إذن فالآلات كلها ستبقى سالمة .
سألته (سلوى) فى توتر :
ـ فيم تفكر بالضبط يا (نور) ؟!
أجاب فى شرود عجيب :
ـ أفكر فى أن هزيمة جيش من الآلات ، أمر يبدو مستحيلاً ، إلى حد كبير .
هتف أحد الرجال :
ـ هذا ما قلته منذ البداية .
تابع (نور) ، وكأنه لم يسمعه :
ـ إذن فالأفضل أن نمنع وصول ذلك الجيش منذ البداية .
بدت الدهشة على عيونهم جميعًا ، وتبادلوا نظرة حائرة مرتبكة ، فى حين تصاعدت إلى شفتيه هو ابتسامة كبيرة واثقة ، وهو يقول :
ـ هل تعلمون يا رفاق ؟.. أعتقد أنه ما زال هناك أمل فى النجاة من كل هذا .. أمل كبير .
وعلى الرغم من أن الجميع كانوا يتطلعون إليه

مباشرة ، إلا أن أحداً منهم لم ينجح قط فى قراءة ما يدور فى ذهنه ..

لذا فقد بدا لهم غامضًا ..

إلى أقصى حد ..

* * *

ارتجاجة عنيفة ، شملت آلة الزمن كلها هذه المرة ..

ارتجاجة توحى بأن حدثًا جللاً فى الطريق ..

ومع تلك الارتجاجة ، تلاشت كل ذكريات (نور) ..

وفتح عينيه عن آخرهما ..

كان كل شىء يوحى بأن الآلة مازالت تواصل رحلتها ، عبر نهر الزمن ..

الأضواء المختلفة ..

التلاحق السريع ..

كل شىء ..

ولكن شيئًا ما فى أعماقه أنبأه بأنه يوجد خطأ ما ..

خطأ لم يحدث من قبل ، فى أية رحلة من رحلات الزمن ..

ثم إن الأمر قد استغرق فترة طويلة للغاية ..

أطول مما ينبغى بكثير ..

وهو لا يعلم ما الذى يمكن أن يعنيه هذا ..

هل ضاعت المركبة فى نهر الزمن ؟!

هل قفزت إلى الماضى السحيق ؟!

أو المستقبل البعيد ؟!

أدار عينيه فى صعوبة إلى جهاز التوجيه الزمنى ، فى محاولة لتحديد موقعهما من نهر الزمن ..

ولكن كل شىء كان مرتبكًا بشدة ..

الأرقام تتوالى بسرعة مخيفة كما لو أصابها مس من الجنون ..

أو شيئًا من الخلل ، الذى أصاب كل شىء ..

وهو يشعر بإرهاق ، لم يشعر به من قبل ..

وإلى جواره ، تأوّهت (سلوى) فى ضعف :

ـ أين نحن ؟! لماذا أشعر بكل هذا التهالك ؟!

تمتم فى صعوبة :

ـ لست أدرى .

وبكل ما يمتلك من قوة وإرادة ، دفع جسده بعيدًا عن مقعده ، وحاول أن يتجه إلى أجهزة التوجيه ..

حاول ..

وحاول ..

وحاول ..

ولكنه لم ينجح أبدًا ..

وبكل ضعفها .. تمتمت (سلوى) :

ـ أهى النهاية يا (نور) ؟! هل كُتِبَ علينا أن نضيع فى نهر الزمن ؟!

تمتم :

ـ لا .. هذا مستحيل ! لا يمكننى أن أسمح بهذا أبدًا .

ثم عاد يستنفر قواه ، لينهض مضيفًا :

ـ من أجل الأرض على الأقل .

قاومت (سلوى) ذلك الخدر ، الذى يسرى فى جسدها أيضًا ، وهى تقول :

ـ نعم يا (نور) .. دعنا نقاوم .. من أجل الأرض .. من أجل الجميع .

مع آخر حروف كلماتها ، تلاشت الأضواء الساطعة مختلفة الألوان بغتة ..

وظهرت سماء ممتدة ..

سماء زرقاء صافية ، جعلتها تهتف :

ـ رباه ! هل ..

قبل أن يكتمل سؤالها ، مالت آلة الزمن إلى أسفل بغتة ، ثم راحت تهوى بسرعة مدهشة نحو الأرض ، التى بدت فى وضوح ..

وبكل قوته ، دفع (نور) نفسه بعيدًا عن مقعده ، وحاول أن يمسك لأجهزة التوجيه ، وهو يتمتم :

ـ يبدو أننا فعلناها يا (سلوى) .. لقد عبرنا نهر الزمن ، إلى ما قبل وصول الغزاة .. لقد فعلناها .

أمسك أجهزة التوجيه بأصابعه فى قوة ..

ولكن المركبة واصلت هبوطها ..

وواصلت ..

وواصلت ..

وبدت مبانى (القاهرة) الجديدة فى وضوح ..

وهتفت (سلوى) :

ـ رباه ! (نور) .

جذب أجهزة التوجيه ، بكل ما تبقَّى له من قوة ..

ولكن الأجهزة لم تستجب ..

والمركبة ظلت تهوى ..

وتهوى ..

وتهوى ..

وبدت أسطح المنازل ، عند أطراف المدينة ، وهى تقترب ..

وتقترب ..

وتقترب ..

وصرخت (سلوى) :

ـ إنها النهاية ..

ومع صرختها ، ارتطم باطن المركبة بجزء من سطح أحد المبانى ..

ومع الارتطام ، مالت آلة الزمن فى عنف ..

ثم هوت مرة أخرى ..

وارتطمت ببناء آخر ..

وبكل قوته ، صرخ (نور) :

ـ تماسكى يا (سلوى) .. تماسكى .

سمعها تطلق شهقة قوية ، مع الارتطام الثالث ..

ثم صمّ أذنيه صوت انفجار قوى ، فى مؤخرة آلة الزمن ..

وبعدها ، ارتطمت بالأرض فى عنف ..

واندفع جسده إلى الأمام ..

وارتطم بأجهزة التوجيه ..

وسمع صوت ضلعه يتحطم ..

وصوت زجاج ينكسر ..

وصرخة (سلوى) ..

وتدحرجت الآلة مرة ..

وثانية ..

وثالثة ..

ثم توقفت أخيرًا ..

وسط عاصفة من الغبار ..

وبكل لوعته ، هتف (نور) :

ـ (سلوى) .. أين أنت ؟! أين أنت يا (سلوى) ؟

لم يتلقّ جوابًا ، فامتلأت نفسه بهلع شديد ، جعله يضرب الغبار بكفيه وذراعيه فى عنف ، صائحًا :

ـ أين أنت ؟!

انزاح الغبار قليلاً ، واتسعت عيناه فى ذعر ، عندما شاهد الواجهة الزجاجية المحطمة ، وجسد (سلوى) ، الملقى على مسافة عشرة أمتار منها ، وسط أجزاء من حطام المبنى ، الذى ارتطما به ..

ولم ينتبه ، إلا فى هذه اللحظة فقط ، إلى أنه قد استعاد بعض نشاطه ، على نحو جعله يقفز عبر الواجهة



واتسعت عيناه فى ذعر ، عندما شاهد الواجهة الزجاجية المحطمة ، وجسد (سلوى) الملقى على مسافة عشرة أمتار منها ..

المحطمة ، ويعدو نحوها ، بكل لوعة الدنيا ، ثم ينحنى ليحتويها بين ذراعيه ، هاتفًا :

ـ أأنت بخير ؟!

كانت الدماء تغمر جبهتها ، وعيناها تدوران فى محجريهما ، وهى تقول فى ضعف متهالك :

ـ إنها غلطتى يا (نور) .. لقد حللت حزام الأمان ، و ...

قاطعها فى حنان مرتاع :

ـ لا تتكلمى يا حبيبتى .. لا تقولى شيئًا .. سيصل رجال الإسعاف حتمًا ، وسينقذونك ، و ...

قاطعته هى هذه المرة ، فى ضعف زائد :

ـ لا تقلق نفسك بأمرى .. المهم الأرض ومستقبل الأرض .

قال بلهجة أقرب إلى الضراعة :

ـ لا تتكلمى .. أرجوك .

حاولت أن تبتسم ، إلا أن ضعفها المتزايد منعها من هذا ، فتمتمت :

ـ الأرض يا (نور) .

ثم انتفض جسدها فى عنف ، وانطلقت من حلقها

شهقة مكتومة ، واتسعت عيناها عن آخرهما ، قبل أن يتهالك جسدها دفعة واحدة ، وتفقد عيناها بريق الحياة ..

إلى الأبد ..

وبكل لوعة وذعر وحزن الدنيا ، صرخ (نور) :

ـ لا يا (سلوى) .. لا ..

وضمّ إليه جسدها ، الذى ما زال يحمل دفء حياة مضت ، وهو يصرخ ..

ويصرخ ..

ثم ظهرت تلك الأجسام ، التى تعدو نحوه ..

وارتفع صوت أبواق سيارات قادمة ..

ثم أظلمت الدنيا كلها أمام عينيه ..

وانتهت علاقته بعالم الوعى ..

تمامًا .

* * *



٩ ـ بالعكس ..

تعالى وقع أقدام مسرعة ، عبر الممر الطويل للقسم الخاص ، فى المستشفى التابع لقسم الأبحاث ، فى المخابرات العامة المصرية ، فاستدارت عيون الجميع إلى مصدره ، وغمغمت (سلوى) ، عندما وقع بصرها على صاحبه :

ـ هاهو ذا الدكتور (جلال) قد وصل .

كان الرجل واضح الانفعال ، محتقن الوجه ، وهو يتجه إليها وإلى رفاقها ، متسائلاً فى لهفة عصبية :

ـ أين هو ؟!

أشارت (سلوى) عبر لوح زجاجى سميك ، إلى الشخص الراقد على فراش العناية الخاصة ، قائلة :

ـ هاهو ذا .. إنه لم يستعد وعيه بعد .

حدّق الدكتور (جلال) فى وجه ذلك الراقد بضع لحظات ، قبل أن يهزّ رأسه ، قائلاً فى ذهول مبهور :

ـ مدهش .. من يتخيّل هذا ؟!

سأله (رمزى) فى توتر :

- ولكن من هو ؟! ومن أين جاء ؟!

أجابه الرجل منفعلاً :

- الفحص المبدئي يؤكد أنها آلة زمن .. لقد برزت فجأة في سمائنا ، واختلّ توازنها فور وصولها إلى عالمنا ، فهوت من حالق ، وارتطمت بثلاث بنايات على الأقل ، قبل أن ترتطم بالأرض ، ويحدث ما حدث .

سأله (أكرم) ، وهو يحدّق في الراقد بدوره :

- يقولون : إن زميلته كانت معه .. أهذا صحيح ؟!

ألقى الدكتور (جلال) نظرة متوترة على (سلوى) ، مغمغمًا :

- نعم .. هذا صحيح .

ثم ازدرد لعابه ، قبل أن يتابع :

- ولكنها لم تحتمل عنف الهبوط ، و ...

لم يستطع إكمال عبارته ، وهو يحدّق في وجه (سلوى) ، فقالت هذه الأخيرة في عصبية :

- ماتت .. أليس كذلك ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فامتقع وجهها ، وتساءلت في خفوت ، وكأنما تخشى أن يرتفع صوتها :

- أهي ...

أجابها الدكتور (جلال) في سرعة متوترة :

- نسخة طبق الأصل منك .. نعم .. هذا صحيح .. كل شيء فيها يطابقك تمامًا .. البصمات .. القزحية .. وحتى تركيبها الجيني .. لولا ذلك الاختلاف ، الذي يميزها وصاحبها ومركبتهما ، والذي يثير حيرتنا وارتباكنا بشدة .

هتفت (نشوى) مبهورة :

- ولكن من هما ؟! من أين جاءا ؟! وكيف ؟!

أتاها صوت حازم ، يجيب :

- من المستقبل .

التفت الجميع إلى (نور) ، الذي أكمل بنفس الحزم :

- هذا لا يحتاج إلى ذكاء دافق .

ران على الجميع صمت مطبق لبضع لحظات ، وهم ينقلون بصرهم بين (نور) ، وشبيهه الفاقد الوعي ، قبل أن يتمتم الدكتور (جلال) :

سبحان الله (العلي القدير) .. سبحان الله .

قال (أكرم) في عصبية :

- نعم .. سبحان الله .. له في خلقه شئون .

قالت (نشوى) :

ـ ولكن لماذا ؟! ما الذى دفعهما إلى ركوب آلة زمن ، والعودة بها إلى الماضى .

أشار (نور) إلى شبيهه الراقد ، وهو يغمغم :

ـ أظنه الوحيد ، الذى يمتلك جوابًا لسؤالك .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى بدت من الراقد آهة خافتة ، فهتف الدكتور (جلال) فى انفعال :

ـ رباه ! إنه يستعيد وعيه .

ألقى (رمزى) نظرة سريعة ، عبر الحاجز الزجاجى ، على شاشات الأجهزة المتصلة بالراقد ، قبل أن يغمغم :

ـ هذا صحيح .

قال الدكتور (جلال) :

ـ هل ستواجهونه ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

ـ بالتأكيد .

ثم صمت لحظة ، قبل أن يضيف :

ـ أقصد أن الرفاق سيواجهونه .

سألته (سلوى) فى دهشة :

ـ وماذا عنك ؟!

صمت لحظة أخرى ، ثم أجاب :

ـ لو أنه نسخة مستقبلية منى ، على نحو أو آخر ، فأنا أعرف جيدًا كيف يفكر .

وهزّ كتفيه ، مضيفًا :

ـ فهو أنا ، على أية حال .

قال (أكرم) فى توتر :

ـ لم أفهم شيئًا .

أشار (نور) بسبابته ، قائلاً :

ـ دعه يلتق بكم أولاً ، حتى لا يربكه الأمر ، وهو يستعيد وعيه فى البداية ، وسأتابعكم من الخارج .. ولكننى أعدكم أن أتدخل ، فى اللحظة المناسبة تمامًا .

تبادل الجميع نظرة صامتة ، قبل أن يقول (رمزى) :

ـ فليكن يا (نور) .. فليكن .

ثم أشار إلى رفاقه ، ودفع باب الحجرة ، لتبدأ المواجهة ..

أغرب مواجهة فى حياتهم ..

كلها ..

* * *

الجميع لقوا مصرعهم ..

(محمود) .. (رمزى) .. (مشيرة) .. (أكرم) .. (نشوى) ...

ولخيرًا (سلوى) ..

رفاقك كلهم ضاعوا مع الغزو هذه المرة يا (نور) ..

الغزاة الآليون التهموا الأرض كلها ..

كيانها ..

تاريخها ..

حاضرها ..

ومستقبلها ..

كل شىء انتهى ..

كل شىء ..

حتى آلة الزمن نفسها ..

هأنتذا وحيد ضائع يا (نور) ..

أنت الأمل فى إنقاذ مستقبل الأرض ..

الأمل الوحيد ..

الغزاة فى عالمك لن يتوقفوا أبدًا ..

سيواصلون حملة الإبادة حتى النهاية ..

لن يسلم كائن حى واحد منهم ..

لن ينجو أحد من وحشيتهم الآلية ، التى لاتعرف شفقة أو رحمة ..

سيحطمون كل شىء ..

وأى شىء ..

وسيسحقون الحياة فى كل صورها ..

بلا استثناء ..

بلا رحمة ..

أنت الأمل الأخير يا (نور) ..

لا تستسلم أبدًا ..

ابتلع مرارتك ..

وآلامك ..

وأحزانك ..

احتمل كل لوعة وعذاب الدنيا ..

انس رفاقك ، الذين شاهدتهم يلقون مصرعهم أمام عينيك ، واحدًا بعد الآخر ..

انسهم جميعًا ..

لا تتذكر إلا أمرًا واحدًا ..

الأرض ..

ومستقبل الأرض ..

قاوم يا (نور) ..

قاوم ..

لا تستسلم أبدًا ..

مهما كانت المشاق ..

والصعاب ..

والتضحيات ..

قاوم يا (نور) ..

هيا .. استعد وعيك ..

لا تستسلم لتلك الغيبوبة ..

استعد وعيك فى ماضيك ..

هيا ..

هيا ..

كان ذلك الهتاف يتردد فى ذهنه بقوة ، وهو يفتح عينيه فى صعوبة ، ويتطلع إلى ما حوله بذهن مشوش مرتبك ..

وأمام عينيه ، ظهرت تلك الوجوه ..

وسرت قشعريرة باردة فى كيانه كله ..

(أكرم) .. (رمزى) .. (نشوى) .. و ...

و (سلوى) ..

وجوههم جميعًا كانت تطلّ عليه فى لهفة مرتبكة ، حتى خُيّل إليه أنه فى الجنة ، يطالع وجوه رفاقه ، الذين سبقوه إليها ..

ثم استوعب ذهنه الأمر فى سرعة ..

إنه الآن فى ماضيه ..

فى زمن يسبق كل تلك الأحداث الرهيبة ، التى مرُ بها عالمه ..

زمن يسبق مصرعهم ..

وبابتسامة باهتة مضطربة ، تمتم :

ـ مرحى يا رفاق .. لا يمكنكم أن تتصوّروا كم أنا سعيد برؤيتكم الآن .

بدت عليهم دهشة متوترة ، عندما ألقى عبارته ، وتبادلوا نظرة عصبية للغاية ، وكأنهم لم يتوقعوا حديثه قط ، فأغلق عينيه لحظة ، ليريحهما من إجهاد عجيب يشعر به ، وهو يتابع :

ـ أراهن على أنكم تشعرون بدهشة كبيرة لرؤيتى هكذا .. وهذا أمر طبيعى ، فالواقع أننى لست (نور) الذى تعرفونه .

تمتمت (سلوى) :

ـ نعلم هذا .
وقال (أكرم) فى عصبية :
ـ أنت قادم من المستقبل .. أليس كذلك ؟!
كان يشعر بإرهاق غير عادى ، وهو يبتسم مجيبًا :
ـ بالضبط .. أنت عبقرى يا عزيزى (أكرم) .
حدّق (أكرم) فى وجهه لحظة ، قبل أن يهز رأسه فى قوة ، هاتفًا :
ـ رباه !! أكاد أقسم إنه (نور) ، ولكن ..
قاطعه فى هدوء :
ـ ولكنه أكبر سنًا .. أليس كذلك ؟!
أجابت (نشوى) مضطربة :
ـ لست أكبر سنًا ، ولكنك تختلف .
فتح عينيه ، وألقى نظرة أخرى عليهم ، قبل أن يتمتم :
ـ أنتم أيضًا تختلفون .
ثم اكتسب صوته شيئًا من الحيرة ، وهو يتابع :
ـ لست أدرى فيم ؟! ولكنكم تختلفون .
تبادلوا نظرة أخرى متوترة ، ثم سأله (رمزى) ، فى شىء من الحزم :

ـ من أين أتيت بالضبط ؟!
أشار بسبابته ، مجيبًا :
ـ من المستقبل .. مستقبلكم .
قالت (سلوى) ، بلهجة أقرب إلى الاستنكار :
ـ مستقبلنا نحن ؟!
تمتم :
ـ بالتأكيد .
ثم ازدرد لعابه ، وأضاف :
ـ إنها قصة طويلة .. قد لا تسركم أبدًا ، ولكننى سأرويها لكم بكل تفاصيلها .
سأله (رمزى) فى قلق :
ـ ألن يجهدك هذا ؟!
كان يشعر بالفعل بإجهاد شديد ، لم يجد له تفسيرًا منطقيًا ، وهو يغمغم :
ـ أريد أن أرويها لكم .
تبادلوا نظرة متوترة أخرى ، ثم قال (أكرم) :
ـ افعل إذن .. كلنا آذان مصغية .
صمت هو بضع لحظات ، ثم أشار بيده ، قائلاً :
ـ ما سأرويه لكم قد يبدو رهيبًا مخيفًا ، ولكنكم

ستجدون معى أسطوانة مدمجة صغيرة جدًا ، سجلت عليها كل شىء ؛ حتى تدعم قصتى ، وتكون عونًا لكم ، فى فهم واستيعاب الموقف كله .. ستجدون عليها كل ما سجله مكوك الفضاء (ابن ماجد) ، وكل الأبحاث الخاصة بطريق النجوم ، ويوميات الغزو لحظة فلحظة ، وكل بيانات أخرى تتعلق بالأمر .

سألته (نشوى) فى ذعر :

ـ الغزو .. أى غزو ؟

تنهد ، قائلاً :

ـ سأخبركم بكل شىء .. كل شىء ..

قالها ، وازدرد لعابه مرة أخرى فى صعوبة ، وحاول أن يقاوم ذلك الإجهاد الشديد ، الذى يشعر به ، وهو يقص عليهم القصة كلها ..

منذ البداية ..

وبكل التفاصيل ..

* * *

اتسعت عينا الدكتور (جلال) عن آخرهما ، وهو يهز رأسه ، قائلاً فى ذهول :

ـ هل تصدق ما تسمعه يا (نور) ؟!

مط (نور) شفتيه ، وقال ، وهو يستمع إلى شبيهه ، الذى شارف الانتهاء من روايته :

ـ إنها قصة عجيبة للغاية ، ولكنها منطقية تمامًا .

ردد الدكتور (جلال) :

ـ الغزو .. والدمار .. والقضاء على كل صور الحياة .. أهذا هو المستقبل الذى ينتظرنا ؟

تمتم (نور) فى حزم :

ـ ليس بالضرورة .

ثم أشار إلى شاشة المراقبة ، وهو ينهض مستطردًا :

ـ لا تنس أنه يختلف .

سأله الدكتور (جلال) فى توتر :

ـ إلى أين ؟!

أجابه فى حسم ، وهو يتجه نحو باب حجرة العناية الخاصة :

ـ أعتقد أنه قد حان الوقت لألتقى بنفسى .. أليس كذلك ؟!

حبس الدكتور (جلال) أنفاسه ، من فرط الانفعال ، وهو يتمتم مبهورًا :

ـ مع نفسك .

وبينما ينطق عبارته ، فتح (نور) الباب ، ودلف إلى الحجرة في هدوء ..

وكانت لحظة عجيبة بحق ..

كان الراقد قد انتهى من روايته ، وشرح مشاعره مع سقوط آلة الزمن ، ومصرع (سلوى) ، عندما تواجها وجهًا لوجه ..

فى البداية ، حدّق كل منهما فى وجه الآخر بشىء من الدهشة ، قبل أن يهتف الراقد :

ـ آه .. رباه ! كان ينبغى أن أتوقّع هذا .. إنه أنا ، فى حياتى الماضية .. رباه !

بدا (نور) هادئًا ، وهو يتطلّع إليه بضع لحظات ، قبل أن يقول :

ـ ولكن هذا يتعارض مع قواعد السفر عبر الزمن ، التى يعرفها كلانا جيدًا ، والتى يدهشنى أنها لم تخطر ببالك قط ، وأنت تضع خطتك .. المفترض أننا روح واحدة يا رجل ، ومن المستحيل أن تتواجد نسختان منها فى آن واحد .

بدت الدهشة على وجه الراقد ، وهو يقول :

ـ رباه ! هذا صحيح .

ثم استدرك فى دهشة أكبر :

ـ ولكن هذا ما حدث بالفعل .. هأنتذا تقف أمامى ، وهذا يعنى أن التواجد المزدوج أمر ممكن ، حتى ولو اعترض العلماء على إمكانية حدوثه .

نقل الجميع أبصارهم بين الرجلين فى صمت ودهشة ، فمطّ (نور) شفتيه لحظة ، قبل أن يسأل شبيهه :

ـ قل لى يا صديقى : ألم تنتبه إلى وجود بعض الاختلافات هنا ؟!

هزّ الراقد كتفيه ، وأجاب :

ـ كل شىء يبدو لى مختلفًا بعض الشىء .. حتى أنتم .. صحيح أنها نفس وجوهكم ، ولكن هناك اختلاف ما ، لا يمكننى تحديده بعد .

تنهّد (نور) ، قائلاً :

ـ بالضبط .. ربما لا تستطيع استيعابه ؛ لأن ذهنك ما زال مشوّشًا ، مع صدمة السقوط ، ولكننا انتبهنا إليه منذ اللحظة الأولى ، وكان واضحًا للغاية فى آلة الزمن ، التى أتت بك إلى هنا .. وربما كان هذا الاختلاف

هو السبب الرئيسي فيما أصابها من خلل ، أدّى إلى سقوطها .

بدا التوتر على الرائد ، وهو يتساءل :

ـ وما هذا الاختلاف بالضبط ؟!

جذب (نور) لوحة إرشادية ، معلّقة على طرف الفراش ، وهو يجيب :

ـ ربما يمكنك استيعابه أكثر ، عندما تقرأ هذه .

قالها ، وأدار اللوحة ، بحيث تواجه شبيهه مباشرة ..

ولثانية أو ثانيتين ، خيّل للرائد أن ذهنه المشوّش يمنعه من استيعاب الأمر ..

ثم فجأة ، انتبه إلى ما يعنيه (نور) ..

وأدرك سر الاختلاف ، الذى يشعر به ..

فالكلمات المكتوبة أمامه ، على اللوحة الإرشادية ، لم تكن على النحو الذى اعتاده أبدًا ..

لقد كانت معكوسة ..

معكوسة ، كما لو أنه ينظر إليها عبر مرآة ..

وبسرعة ، انتقل بصره إلى وجوه أفراد الفريق ..

وإلى كل ما يحيط به ..

وفهم أكثر وأكثر ..

كل شىء من حوله معكوس ..

مقلوب ..

كل شىء يبدو كما لو أنه صورة مقلوبة فى مرآة عادية ..

كل شىء ..

وبأنفاس مبهورة ، حدّق فى وجه (نور) ، متمتمًا :

ـ هل تعلم ما يعنيه هذا ؟!

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وقال فى حزم :

ـ نعم .. كلانا أدركه فى اللحظة نفسها بالتأكيد .

ثم شدّ قامته ، مضيفًا :

ـ إنك يا صديقى لا تنتمى إلى زمن آخر فحسب ، ولكن إلى عالم آخر .. عالم يختلف عن عالمنا تمامًا ..

وكانت مفاجأة مذهلة ..

للغاية .

* * *

انتهى الجزء الأول بحمد الله

ويليه الجزء الثانى والأخير

(الزمن الآخر)

طريق النجوم

- ما سر ذلك الاحتلال الفضائي ، الذي سيطر على الأرض مرة أخرى ؟!
- أي هول هذا ، الذي أدى إلى مصرع كل أفراد فريق (نور) ؟!
- ترى أية مفاجأة تلك ، التي تنتظركم جميعا ، في (طريق النجوم) ؟!
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل بعقلك وكيانك مع (نور) وفريقه .. من أجل الأرض ..



العدد القادم : الزمن الآخر



د. نبيل فاروق

ملف المستقبل
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمي

127

الثمن في مصر ٢٠٠ وما يعادله بالدولار الأمريكي في سائر الدول العربية والعالم



روايات مصرية للجيب

ملف المستقبل
سري جداً !!

الزمن الآخر

128

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرِّية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدُّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل . د. نبيل فاروق

١ - عالم آخر ..

انبعث ذلك الضوء البنفسجى الهادئ ، يغمر المهبط الأسطوانى الشفَّاف ، الذى يحمل المقدِّم (نور الدين محمود) إلى الطابق الثالث تحت الأرض ، فى مبنى المخابرات العلمية المصرية ، حيث مكتب القائد الأعلى ، وداخل المهبط تردَّد صوت آلىّ ، يقول :

- المقدِّم (نور الدين) .. من القسم الخاص .. لديك موعد عاجل مع القائد الأعلى ، بعد ثلاث دقائق وسبع ثوان .. قف ثابتًا ، وتطلَّع إلى الدائرة البرتقالية أمامك ، حتى يتمّ التحقُّق من شخصيتك .

شدّ (نور) قامته ، فى وقفة عسكرية ثابتة ، وتطلَّع إلى تلك الدائرة البرتقالية ، التى انبعث منها خيط أزرق رفيع ، من أشعة الليزر الدقيقة ، راح يمسح وجهه فى سرعة ، قبل أن يتوقَّف لحظة على قزحيته ، عاد بعدها الصوت الآلى يقول :

- تم التحقُّق من الشخصية .. إيجابى .. القائد

الأعلى سيستقبلك خلال دقيقتين وثلاث ثوان بالضبط.

توقف المهبط فى الطابق الثالث تحت الأرض ، فى تلك اللحظة بالضبط ، فغادره (نور) ، وعبر الممر الطويل أمامه ، حتى توقف أمام حجرة القائد الأعلى..

وفى هذه المرة أيضًا ، خضع لفحص أمنى سريع ، قبل أن ينفتح باب حجرة القائد الأعلى ، ويبدو هذا الأخير داخلها ، بصحبة الدكتور (جلال) ، مدير مركز الأبحاث العلمية ، الذى أشار إلى (نور) ، قائلاً :

- ادخل أيها المقدم .. لدينا الكثير لنتحدث فيه اليوم .

دلف (نور) إلى الحجرة ، وهو يقول :

- أنا رهن إشارتك يا سيدى .

أشار إليه القائد الأعلى بالجلوس ، وهو يسأله :

- هل قضيت وقتًا كافيًا مع شبيهك المعكوس يا (نور) ؟!

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وقال :

- إلى حد ما سيدى .

مال القائد الأعلى بجسده إلى الأمام ، متسائلاً :

- وما رأيك فى قصته ؟!

سرت قشعريرة باردة فى جسد (نور) ، وهو يجيب فى اقتضاب :

- مفزعة !

نطقها ، وعقله يقفز إلى كل ما سمعه من شبيهه ، الراقد فى المستشفى ..

إلى القصة كلها ..

قصة غزو عالم بأكمله ..

ومنذ البداية ..

والبداية كانت فى عالم آخر ..

عالم شبيه بكوكبنا الأرض ..

فى طبيعته ..

وسكانه ..

وتاريخه ..

وحاضره ..

وكم تمنى ألا يتشابه معه فى مستقبله ..

ففى ذلك العالم ، حيث يوجد (نور) آخر ، وفريق كامل للمخابرات العلمية ، بدأت سلسلة رهيبة من الأحداث ، تمهد لغزو فضائى مخيف ..

مقاتلات فضائية مجهولة ، اقتحمت ذلك العالم ، عبر ما يعرف باسم (طريق النجوم) ، وراحت تشيع الدمار والهلاك بلا هوادة ..

وبلا رحمة ..

وهبّ (نور) ذلك العالم وفريقه ، للتصدّى للغزو الجديد ..

وانطلقوا يواجهون الغزاة ..

عبر طريق النجوم ..

وهناك ، كانت أمامهم ألف مفاجأة ، على مسافة هائلة من الأرض ..

لقد شاهدوا أضخم سفينة فضائية، فى الكون كله..

سفينة الغزاة ..

كانت هائلة ، عملاقة ، وكأنها كوكب بأكمله ، يسبح فى الفضاء السرمدى ، محاطًا بما يقرب من مليون مقاتلة ..

قوة رهيبة ، تكفى للسيطرة على الكون كله ، وليس أرضهم وحدها ..

وداخل تلك السفينة ، التقى (نور) العالم الآخر وفريقه بإمبراطور الغزاة ..

شخص آلى عملاق ، يجلس على عرش هائل ، ويطالبهم بالسجود أمامه ..

ولأنهم جميعًا ، مثلنا، لا يسجدون إلا لله (عزّ وجل) ، كان من المحتم أن يقع الصدام .. وبمنتهى العنف ..

وهنا سقطت الضحية الأولى ، فى صفوف الفريق..

(رمزى) المسكين ، مزّقه بعوض آلى ، فى قلب سفينة الغزاة ، أمام أعين زوجته ورفاقه ..

وكانت الصدمة الأولى ..

أما الصدمة الثانية ، والأكثر عنفًا ، فكانت مع عودتهم إلى عالمهم ..

عالمهم الذى اغتال الغزاة الفضائيون فيه رئيس جمهوريتهم ، وسيطروا على كل شىء فيه تقريبًا ..

عالمهم ، الذى راحت فيه (مشيرة) ضحية للغزاة ، عندما بدأت المذبحة ..

حتى الشيوخ والنساء والأطفال ، قتلهم الغزاة بلا شفقة أو رحمة ..

وهكذا سقط عالمهم تحت احتلال جديد ، أكثر قسوة وشراسة من الاحتلال السابق(*).

(*) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم ٧٩

احتلال يقوده جيش من الآليين ، لا يعـرف الرحمـة أو الشفقة .

وهذا ما استنتجه (نور) العالم الآخر ..

أو ما أدركه أخيرًا ..

ولأنـه لا توجد وسيلة واحدة لهزيمـة ذلك الغـزو الآلى الرهيب ، قفزت إلى ذهن (نور) فكرة مجنونـة للغاية ..

فكرة العودة بآلة زمن إلى تاريخ سابق للغزو ..

ومحاولة منع البداية ..

وفى سبيل تحقيق خطتـه ، اقتحم (نـور) ورفاقه مركز الأبحاث العلمى ، سعيًا وراء آلـة زمـن ، تـم إخفاؤها هناك بدقة ..

ومع الاقتحام ، لقى (أكرم) مصرعه ..

وضحت (نشوى) بعمرها ، لتضمن الانتقال الزمنى ..

وبقى (نور) و (سلوى) العالم الآخر ..

والأمل ..

الأمل الأخير فى تغيير التاريخ ، وإنقـاذ عالم كـامل من الفناء ، على يد وحوش فضائيـة آليـة ، لا تعرف شفقة أو رحمة ..

وانطلقت آلة الزمن ..

ولكن شيئًا ما فى برنامجها أصابه الخلل ..

لذا ، فهى لم تقفز عبر الزمن فحسب ..

وإنما عبر أبعاد الكون أيضًا ..

وهكذا هبطت آلة الزمن فى الزمن المطلوب ..

ولكن فى عالم آخر ..

عالمنا ..

ولأن كل شىء فى عالمنا هـو عكس الموجود فى عالمهم ، فقد انعكست الأقطاب ..

وساد الخلل ..

وهوت آلة الزمن ..

وبعنف ..

ومع الارتطام القوى ، أصيبت (سلوى) بشدة ..

ولقيت مصرعها ..

وهكذا بقى (نور) العالم الآخر وحده ..

بقى فى عالم آخر ..

معكوس ..

بالنسبة إليه ..

عالم فقد فيه آخر أمل لإنقاذ كوكبه ..

وحمل إليه لمحة من المستقبل ..

مستقبل مظلم مخيف ..

مستقبل يحمل رائحة واحدة ..

رائحة الموت(*) ..

* * *

استوعب عقل (نور) الأمر كله ، واستعاد كل ما سمعه من شبيهه المعكوس ، فى لحظة واحدة ، والقائد الأعلى يسأله فى قلق واضح :

ـ وماذا عن المستقبل يا (نور) ؟! مستقبلنا نحن ؟!

هزّ (نور) كتفيه ، وأجاب :

ـ من الواضح أن التاريخ عندنا وعندهم يسير على نحو متواز .

قال الدكتور (جلال) فى حزم :

ـ تقصد متشابه .

هزّ (نور) رأسه ، وقال :

(*) لمزيد من التفاصيل، راجع الجزء الأول (طريق النجوم) .. المغامرة رقم ١٢٧

ـ بل متوازٍ فالأحداث واحدة ، والمنحنى الزمنى واحد ، ولكن شبيهى استخدم آلة زمن ، للعودة إلى الماضى ، وكل ما حدث هو أن خلل آلة الزمن قد أتى به إلى عالمنا ، وليس إلى عالمه .

زفر القائد الأعلى فى توتر ، وهو يقول :

ـ إذن فأنت تتوقع لمستقبلنا نفس ما حدث فى عالمه .

أشار (نور) بسبابته ، قائلاً :

ـ بالطبع ، فهذا ما يحدث فى العالمين منذ الأزل ، إذ إن النظريات العلمية تؤكد أن أى اختلاف فى نقطة من نقاط الزمن ، يؤدى حتمًا إلى اختلال التوازى فى كل ما بعد هذه النقطة ، حتى إن كل عالم سيختلف عندئذ عن العالم الآخر تمامًا ، وما دام هذا لم يحدث بعد ، فهو يعنى أن كل شىء فى العالمين يتطابق تمامًا .

قال الدكتور (جلال) :

ـ بالضبط .. ولدى دليل حاسم على هذا ..

سأله القائد الأعلى :

ـ وما هو ؟!

أجابه الدكتور (جلال) فى حسم :

- أبحاث (طريق النجوم) ، التى يتحدث عنها ذلك الشبيه المعكوس ، تتم لدينا بالفعل ، وتحت غطاء من السرية المطلقة ، حتى إن المقدم (نور) نفسه يجهل كل شىء عنها .

تمتم (نور) :

- هذا صحيح .

ثم التفت إلى القائد الأعلى ، مستطردًا :

- ولكن من الواضح أن عالمينا سينفصلان ، اعتبارًا من هذه اللحظة .

سأله القائد الأعلى فى توتر :

- وكيف تجزم بهذا ؟!

هزَّ (نور) كتفيه ، مجيبًا :

- شبيهى نجح فى الوصول إلينا ، ونقل إلينا لمحة من المستقبل ، مع ملف كامل ، يحوى صورًا ، وأرقامًا ، ومعلومات ، وتسجيلات ، تمنحنا نقطة تفوق على الغزاة هذه المرة .

سأله الدكتور (جلال) فى عصبية :

- هل تعتقد أن بإمكاننا التغلب على غزاة كهؤلاء ؟!

غمغم (نور) :

- علينا أن نحاول على الأقل .

هزَّ الدكتور (جلال) رأسه ، وألقى نظرة على القائد الأعلى ، قبل أن يغمغم فى توتر بلغ ذروته :

- بناء على كل المعلومات ، التى أتى بها شبيهك ، والتى بذل رجالنا جهدًا مضنيًا لاسترجاعها ، من أسطوانة مدمجة ، تنتمى إلى عالم معكوس ، يلوح لى ، ولمجموعة كاملة من الخبراء ، أنه فى ظل الإمكانيات الخرافية لأولئك الغزاة ، لست أظن أنه لدينا أمل أيها المقدم ..

وعضَّ شفتيه ، قبل أن يضيف فى مرارة :

- أدنى أمل .

ولم يعلق أحد بحرف واحد ..

لقد كان حديثه صحيحًا ، حتى إن السكون قد خيَّم على الحجرة كلها لوقت طويل ..

طويل جدًّا ..

* * *

« ربما يبدو هذا صحيحًا ، من الناحية الحسابية والمنطقية ، ولكننى أصرّ على التمسك ، ولو بخيط من الأمل .. »

نطق (نور) قوله هذا فى حزم شديد ، وهو يواجه أفراد فريقه فى مقرّهم ، فتبادل الجميع نظرة متوترة ، ثم غمغمت (سلوى) :

ـ أى أمل ، فى ظل هذه الظروف ؟!

أجابها (نور) فى حزم :

ـ الأمل الذى دفع شبيهى هذا إلى المجازفة بكل شىء ممكن ، فى سبيل العودة إلى الماضى ، وإنقاذ عالمه ..

قال (أكرم) فى عصبية :

ـ ولكن هذا الأمل ضاع هباءً يا (نور) .. لقد ألقت به آلة الزمن إلى عالمنا نحن ، وليس إلى عالمه ، وهذا يعنى أن مصير عالمه أكثر سوادًا من ليلة بلا قمر .

ارتجفت شفتا (نشوى) ، وهى تتمتم :

ـ والمسكين سيلقى مصرعه ، إن عاجلاً أو آجلاً ، طبقًا لتقارير الأطباء ، التى تؤكد أن تركيبه الخلوى لن يسمح له بالعيش طويلاً ، فى عالم معكوس بالنسبة له .

هزّ (نور) رأسه فى أسى ، مغمغمًا :

ـ مسكين .. ربما كان هذا أيضًا هو سبب الإرهاق الشديد ، الذى شعر به ، منذ بدأ رحلته .

ثم انعقد حاجباه فى حزم ، وهو يقول :

ـ ولكنه على الأقل ، نجح فى الوصول إلينا .

سأله (رمزى) ، فى شىء من الحذر :

ـ وما الذى يمكن أن يعنيه هذا ؟!

ازداد انعقاد حاجبى (نور) ، وبدا صوته أشدّ حزمًا وقوة ، وهو يقول :

ـ ربما لا ندرى بعد ما الذى يمكن أن يعنيه هذا ، ولكننى أؤمن بالقدر، وأؤمن أيضًا بأن الخالق (عزّ وجلّ) يدير الكون ، بكل عوالمه ، بميزان دقيق ، لا يحدث أى شىء فيه عبثًا ، وما دام شبيهى المسكين قد قفز من زمنه وعالمه ، إلى زمننا وعالمنا ، فقد حدث هذا لحكمة ، لا يعلمها إلا الخالق (سبحانه وتعالى) ، ومن يدرى ؟! ربما جاء هذا لإنقاذ عالمنا نحن !

تمتم (أكرم) :

ـ نعم .. من يدرى ؟!

تبادل جميعهم نظرة متوترة ، قبل أن تسأل (نشوى) :

ـ ولكن ما الذى يمكن أن نفعله ؟!

أجاب فى سرعة وحسم :

ـ أمران : أولهما أن نقوم بدراسة كل ما حمله إلينا شبيهى ، من وثائق ومعلومات ، وبالذات كل تفاصيل رحلته وفريقه ، عبر طريق النجوم .. وكل ما يتعلق بالغزاة ، الذين لم يلمحهم أحد أبدًا .

غمغم (أكرم) :

ـ قصته تقول : إنهم آليون عمالقة .

أشار (نور) بسبابته ، قائلاً :

ـ هذا مجرد استنباط ، لا يعتمد على أدلة مادية ، أو قرائن ملموسة .. فكرة ، بناها شبيهى ، اعتمادًا على مشهد واحد ، داخل سفينة الغزاة .

تساءلت (نشوى) :

ـ ألا يكفى هذا ؟!

هز رأسه فى قوة ، مجيبًا :

ـ ليس بالضرورة .

ثم مال نحوهم ، مستطردًا :

ـ ثم إنه ليس هناك ما يدعونا إلى العجلة والتوتر ، أو استباق الأحداث ، والقفز إلى استنتاجات

أو استنباطات سريعة .. دعونا ندرس كل شىء أولاً ، ونفحصه ونمحصه ، ونخضعه لكل وسائل التحليل ، على النحو الذى لم يتح لشبيهى وفريقه ، وبعدها نضع استنتاجاتنا ، ونظرياتنا ، و ..

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف فى حزم :

ـ ونستعد لمواجهة الغزاة .

عبارته الأخيرة جعلت الوجوم يهبط عليهم بغتة ، وجعلتهم يتبادلون نظرة مفعمة بالتوتر ، قبل أن تتمتم (سلوى) :

ـ من يدرى ؟! ربما حالفنا الحظ ، وكان مصيرنا أفضل من مصير أشباهنا .

قال (رمزى) ، وهو يلتقط نفسًا عميقًا :

ـ على الأقل ، لدينا ما يكفى من الوقت .

لم يكد يتم عبارته ، حتى ارتفع أزيز هاتف الفيديو ، وارتسم على شاشته رقم خاص ، جعل (نور) يقفز ليضغط زر الاتصال ، قائلاً :

ـ إنه الدكتور (جلال) .

وبالفعل ، ظهرت صورة مدير مركز الأبحاث على شاشة هاتف الفيديو ، وهو يقول فى توتر بالغ :

- (نور) .. من حسن الحظ أن وجدتكم .

بدا عليهم القلق لأسلوبه ، وسأله (نور) :

- ماذا حدث بالضبط يا دكتور (جلال) ؟!

أجابه الرجل بنفس التوتر :

- خبراؤنا أجروا حساباتهم ، وراجعوها مرات ومرات ، ثم توصلوا إلى نتيجة مخيفة .

سأله (نور) فى قلق :

- وما هى ؟!

ازدرد الرجل لعابه فى صعوبة ، وهو يجيب :

- إنها تتعلق بموعد الغزو .

سألته (سلوى) بأنفاس مبهورة :

- هل توصلتم إليه ؟!

أومأ برأسه إيجابًا فى شحوب ، فسأله (نور) فى سرعة :

- متى يا دكتور (جلال) ؟!

أشاح الرجل بوجهه ، وكأنما يتحاشى المواجهة ، وهو يجيب :

- بناء على كل ما حصلنا عليه ، ستبدأ تلك الأحداث ، التى أدت إلى ما أصاب العالم الآخر خلال ..

وصمت لحظة ، ازدرد خلالها لعابه فى صعوبة ، قبل أن يكمل :

- خلال أربعين ساعة فحسب .

وهوى الجواب على رءوسهم كالصاعقة ..

أو أشدّ هولاً .

* * *



٢ ـ أربعون ساعة ..

اتسعت عينا القائد الأعلى عن آخرهما ، قبل أن يلتقي حاجباه ، ويلوِّح بيده ، قائلاً بلهجة حملت قدرًا هائلا من التوتر :

ـ أربعين ساعة ؟! رباه ! هل تقول : إن كل ما لدينا هو أربعون ساعة ، ثم يبدأ الغزو ..

أشار الدكتور (جلال) بسبابته ، قائلاً :

ـ ليس الغزو ، وإنما الأحداث الأولى له .

قال القائد الأعلى في عصبية :

ـ أعلم أنك تميل إلى الدقّة المفرطة في عملك وحديثك يا دكتور (جلال) ، بحكم طبيعتك العلمية ، ولكنني لست أدرى الفارق في الواقع .

أجابه الدكتور (جلال) :

ـ الفارق كبير ، فبعد أربعين ساعة تقريبًا ، سينبعث ذلك الضجيج ، الذى أنبأنا بأن بعضهم يسعى لاختراق فضائنا ، عبر طريق النجوم ، أما الغزو نفسه ، فسيبدأ بعد ..

قاطعه القائد الأعلى فى عصبية أكثر :

ـ أعلم .. أعلم .. لقد قرأت كل التفاصيل .

ثم نهض من خلف مكتبه ، متابعًا :

ـ وترتعد فرائصى ، كلما تصوَّرت ما نحن مقبلون عليه .

مطَّ الدكتور (جلال) شفتيه ، مغمغمًا :

ـ كلنا هذا الرجل .

ولوَّح بيده ، مستطردًا :

ـ ولكن خبراءنا يبذلون قصارى جهدهم ، لفهم واستيعاب كل ما حمله إلينا ذلك الشبيه المعكوس .

قال القائد الأعلى فى حدة :

ـ إنهم يتحركون ببطء بالغ .

هزَّ الدكتور (جلال) رأسه فى قوة ، قائلاً :

ـ الأمر ليس سهلاً ، فكل ما جاء به ذلك الشبيه ، يعمل بصورة عكسية .. الآلات ، أجهزة الكمبيوتر .. الأسطوانات المدمجة ، وحتى ذرات المواد .. وخبراؤنا يبذلون جهدًا خرافيًا ، لابتكار وتنفيذ أساليب جديدة ، لدراسة وقراءة تلك المعكوسات ، قبل أن تتحلل ذراتها ، وتتلاشى من الوجود .

سأله القائد الأعلى بأنفاس مبهورة :

- أهذا ممكن ؟!

هزّ الدكتور (جلال) كتفيه ، قائلاً فى توتر :

- بالطبع .. لا شىء يمكن أن يتواجد إلى الأبد ، فى عالم تسير كل قوانينه ونظمه فى اتجاه يخالف ما نشأ عليه .. حتى ذلك الشبيه المسكين ، لن يمكنه أن يحيا هنا طويلاً .. إننا لا نمتلك أية وسيلة لإعادته إلى عالمه .. ولست أظنه حتى يسعى لهذا ، فالعودة إلى عالمه هى قمة العذاب بالنسبة إليه ؛ فقد فقد فريقه كله ، وعالمه يسيطر عليه غزاة وحشيون ، لا أمل فى أن يتركوا خلفهم أية صورة من صور الحياة .. بل ربما يعود ليجد نفسه وحيدًا ، وسط خراب عام شامل ، و ..

قاطعه القائد الأعلى فى عصبية :

- إننا لا نستطيع إعادته على أية حال .

ثم ازدرد لعابه فى صعوبة ، قبل أن يكمل :

- ومن أدرانا ؟! ربما كان هذا مصيرنا أيضًا .

هزّ الدكتور (جلال) كتفيه مرة أخرى ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فتابع القائد الأعلى :

- أليس هذا ما يتوقعه الخبراء ؟!

تردّد الدكتور (جلال) لحظة ، قبل أن يجيب ، فى لهجة حملت الكثير من الحذر :

- إنهم يحاولون أن .....

قاطعه القائد الأعلى ، مكررًا فى عصبية صارمة :

- أليس هذا ما يتوقعونه ؟!

زفر الدكتور (جلال) ، مجيبًا فى استسلام :

- الواقع أنه لا توجد ، حتى الآن ، أية وسيلة منطقية ، لهزيمة جيش هائل من الآليين كهذا .

قال القائد الأعلى ، فى عصبية أكثر :

- حتى بعد أن عرفنا الكثير عن مقاتلات الغزاة ؟! وحتى ونحن نعلم أين ومتى ستأتى الضربة الأولى ؟!

هزّ الدكتور (جلال) رأسه ، قائلاً :

- هذا لن يصنع فارقًا كبيرًا للأسف، فمن الواضح ، من تحليل ما جاء به الشبيه المعكوس ، أن أولئك الغزاة الآليين لديهم وسيلة ما ، لمراقبة ومتابعة كل ما نفعله فى عالمنا ، وهذا يعنى أنهم سيكشفون محاولاتنا واستعداداتنا لمواجهتهم ، وسيتخذون ما يلزم للتصدى له .



اتجه القائد الأعلى نحو خريطة كبيرة للعالم ، وأدار بصره فيها بضع لحظات ..

وزفر مرة أخرى ، مضيفًا فى عصبية :

ـ وعندئذ سيبدأ تاريخنا فى اتخاذ منحنى جديد .

انعقد حاجبا القائد الأعلى ، وهو يقول :

ـ ربما كانت الاحتمالات أفضل ، فى هذه الحالة .

قال الدكتور (جلال) فى حزم متوتر :

ـ أو أسوأ .

لوَّح القائد الأعلى بذراعه ، قائلاً :

ـ وما الذى يمكن أن يكون أسوأ من هذا ؟!

أجابه فى سرعة :

ـ أن تبدأ المقاتلات المليون بمهاجمتنا دفعة واحدة ، حتى تسحق المركز الرئيسى للمقاومة ، من اللحظة الأولى .

ازداد انعقاد حاجبى القائد الأعلى فى شدة ، وهو يدرس ذلك الاحتمال ، قبل أن يتساءل فى اهتمام :

ـ ولماذا لم يفعلوا هذا ، فى ذلك العالم الآخر ؟!

أجابه الدكتور (جلال) :

ـ ربما لم تكن هناك ضرورة عندئذ .

اتجه القائد الأعلى نحو خريطة كبيرة للعالم ، وأدار بصره فيها بضع لحظات ، قبل أن يغمغم فى أسى :

ـ لا توجد أية احتمالات للنجاة إذن .

تردَّد الدكتور (جلال) لحظة ، ثم قال :

ـ ربما لو ..

استدار إليه القائد الأعلى فى لهفة ، متسائلاً :

ـ لو ماذا ؟!

تردَّد الدكتور (جلال) بضع لحظات أخرى ، قبل أن يجيب فى حسم :

ـ لو وجدنا وسيلة لإغلاق طريق النجوم .

بُهتَ القائد الأعلى للجواب ، فتساءل مبهورًا :

ـ أهذا ممكن ؟!

أومأ الدكتور (جلال) برأسه ، قائلاً :

ـ من الناحية النظرية ، الجواب هو نعم ، فكل ما يحتاج إليه الأمر هو إحاطة الأرض بحزام من الطاقة ، يمنع ذبذبة الاختراق من بلوغ نقطة الصفر ، وهذا سيجعل من المستحيل عبور طريق النجوم إلينا .. الوسيلة التقليدية ستبقى بالطبع ، ولكن السفر بالسرعات التقليدية ، أو حتى بسرعة الضوء ، عبر ثلاث أو أربع سنوات ضوئية ، يحتاج إلى طاقة لا محدودة ، وكم هائل من الوقود ، لست أظن أية

سفينة فضائية ، فى الكون كله ، يمكن أن تحمله ، حتى ولو كانت بحجم كوكب كامل كما يصفونها .. ثم إن الوقت والمسافة يكفيان لإلغاء الفكرة من العقول الآلية الغازية تمامًا .

هتف القائد الأعلى :

ـ ولماذا لم تقل هذا منذ البداية ؟!

قلب الدكتور (جلال) كفيه ، قائلاً فى أسف :

ـ لأن هذا يحتاج إلى شهر كامل على الأقل لإنجازه .

تراجع القائد الأعلى كالمصعوق ، هاتفًا :

ـ شهر كامل ؟! أهذا وقت السخرية يا رجل ؟!

أجابه الدكتور (جلال) فى سرعة :

ـ قلت منذ البداية إن الحل نظرى فحسب .

صاح به القائد الأعلى فى عصبية :

ـ وليس لدينا ما يكفى من الوقت ، لتناقش الحلول النظرية والاحتمالات المستقبلية ، التى تتجاوز حدود الوقت المتاح .. أريد حلولاً عملية .. حلولاً تحسم الأمور ، فى أسرع وقت ممكن .

انعقد حاجبا الدكتور (جلال) ، وهو يغمغم :

- ربما لو حاولنا ، من الجانب الآخر .

صاح به فى عصبية :

- أى جانب آخر ؟! طريق النجوم هذا أشبه بشبكة عنكبوت لا محدودة .. إنه أكثر توسعًا وانتشارًا من شبكات الأنترنت نفسها ، ولا يمكنك أن تحكم ملايين المداخل والمخارج فى آن واحد ، وخاصة عندما يكون بوسع خصمك أن يقفز من أية نقطة إلى أخرى ، دون حساب مسبق !

هزَّ الدكتور (جلال) رأسه ، وقال :

- ليس كما تتصوَّر يا سيدى .. فعلى الرغم من أن طريق النجوم عبارة عن شبكة هائلة ، إلا أنه يشبه شبكة الأنترنت ، فى أنه هناك دائمًا طريق واحد رئيسى ، يقود إلى عالمنا نحن ، يمكن بلوغه من أى مكان فى الكون ، ولكنه وحده يعبر إلينا ، ولو أمكننا إغلاق هذا الطريق الرئيسى ، فسنمنع أى شىء ، وأى شخص ، مهما كانت ماهيته ، من الوصول إلينا.

سأله القائد الأعلى مبهوتًا :

- وكيف يمكن إغلاق ذلك الطريق الرئيسى ، من الجانب الآخر كما تقول ؟!

بدا التردُّد مرة أخرى ، على الدكتور (جلال) ، فهتف به القائد الأعلى فى حدة :

- أفصح يا رجل .. ليس لدينا الزمن كله .

ازدرد الدكتور (جلال) لعابه ، وقال :

- هذا يحتاج إلى فريق علمى ، فى مهمة خاصة جدًا .

وصمت لحظة أخرى ، قبل أن يضيف فى حزم :

- مهمة انتحارية .

واتسعت عينا القائد الأعلى ..

لقد فهم ما يعنيه رئيس مركز الأبحاث ، ولم يستطع النطق بحرف ..

حرف واحد ..

* * *

« كيف حالك ؟! »

ألقى (نور) السؤال على شبيهه ، فى لهجة تحمل الكثير من التعاطف ، على نحو جعل الآخر يبتسم فى شحوب ، لا ينافسه سوى شحوب وجهه وهو يقول :

- لا يمكننى أن أدعى أننى فى أفضل حال .

غمغم (نور) فى أسى :

- بالتأكيد .

كان الشبيه شاحبًا ممتقعًا إلى حد مخيف ، ولقد بدت عيناه زائغتين ، وهو يشير بيده ، متسائلاً فى مرارة :

- لم تجدوا وسيلة لإنقاذ عالمى .. أليس كذلك ؟!

ازدرد (نور) لعابه فى صعوبة ، وهو يجيب :

- إننا لم نجد بعد وسيلة لإنقاذك .

هزَّ الشبيه رأسه ، قائلاً :

- لم يعد هناك فارق .. إننى أعلم أنه من المستحيل أن تحتمل خلاياى العيش طويلاً ، فى عالم معكوس .. إننى أشعر بهذا جيدًا .. هذا الشحوب ، والإرهاق العنيف ، وآلام الصدر والكلى .. إننى أحتضر ببطء يا صديقى .

نطق عبارته الأخيرة ، وهو يبذل جهدًا خرافيًا ليبتسم ، ثم لم يلبث أن لوَّح بيده ، متابعًا فى ألم :

- حتى حركة يدى تؤلمنى بشدة .

قال (نور) بصوت خافت ، وكأنما يعتذر عن كل ما حدث :

- الأطباء سيستخدمون عقارًا جديدًا ، لتخفيف آلامك .

ابتسم الشبيه مرة أخرى فى شحوب ، متمتمًا :

- ومن أدراهم أنه لن يعمل على نحو معكوس ؟!

ثم زفر فى توتر بالغ ، قبل أن يتساءل :

- وماذا عن عالمك ؟!

أجابه (نور) :

- الغزو سيبدأ بعد ست وثلاثين ساعة .

هزَّ الشبيه رأسه فى ألم ، متمتمًا :

- يا للخسارة !

وعضَّ شفته الباهتة ، متابعًا :

- أتعشَّم أن يكون حظكم أفضل منا .

قال (نور) :

- سنبذل قصارى جهدنا .

وافقه الشبيه بإشارة من يده ، قبل أن يستلقى على فراشه ، ويسبل عينيه ، قائلاً فى ضعف :

- الضعف الذى يحيط بى ، يمنعنى من التفكير بذهن صاف ، ولكن هناك عدة نقاط ، أرجو أن توليها اهتمامك ، وأنت تراجع قصة عالمى كلها .

سأله (نور) فى اهتمام :

ـ وما هى ؟!

أشار الشبيه بسبابته فى تهالك ، قائلاً :

ـ إنها بضعة أسئلة ، تحتاج إلى أجوبة شافية ..

غمغم (نور) :

ـ كلى آذان مصغية .

خُيِّل إليه أن شبيهه يقاوم غيبوبة عنيفة ، تهاجم عقله فى شراسة ، وهو يقول :

ـ الضوء يا صديقى ..

سأله (نور) فى حيرة :

ـ أى ضوء ؟!

أجابه بضعف متزايد :

ـ لماذا كانوا يطفئون الأنوار ، كلما انتقلنا ، من قاعة إلى أخرى ؟! حتى فى أثناء هروبنا ، وعندما كان ذلك البعوض الآلى يهاجمنا ، انطفأت أضواء القاعة !! فلماذا ؟!

قفزت عدة نظريات إلى رأس (نور) ، ولكنه لم يحاول نقل إحداها إلى لسانه ، وهو يستمع إلى شبيهه ، الذى تابع :

ـ ولماذا لم نر الغزاة قط ؟! لماذا لم نر حتى بعض الحراس أو المعاونين ، حول ذلك الإمبراطور الآلى العملاق ؟!

ثم اعتدل فى صعوبة ، وفتح عينيه الزائغتين ، ليقول متوترًا :

ـ ولكن الأكثر أهمية سؤلان .. لماذا لم تتبعنا مقاتلات الغزاة ، عندما عبرنا طريق النجوم ، فرارًا منها ؟! ولماذا كان الغزاة يهاجمون كل دولة على حدة ، على الرغم من امتلاكهم لقوة فضائية هائلة ، لا قبل للعالم أجمع بها ؟!

تراجع (نور) فى مقعده ، وانعقد حاجباه فى تفكير عميق ، فى حين رفع شبيهه يده فى إرهاق ، متمتمًا :

ـ ابحث عن أجوبة لهذه الأسئلة يا صديقى ، وربما .. ربما ..

ارتجفت الكلمات على شفتيه ، وهو يبذل جهدًا شديدًا ، لينطق كلماته ، و ..

ولكن ضعفه الشديد لم يمهله ..

لقد هوى فجأة فى غيبوبة ..

غيبوبة عميقة ..
للغاية ..

* * *

انعقد حاجبا (أكرم) فى شدة ، وهو يستمع إلى (نور) فى اهتمام ، قبل أن يلوّح بيده فى قوة ، هاتفًا :

ـ عظيم .. إذن فالتاريخ يعيد نفسه إذن .. شبيهك أرسلوه وفريقه فى مهمة انتحارية ، كانت بداية نهايتهم ، وهنا يطلبون منا القيام بالمهمة ذاتها .. قل لى يا (نور) : ألا يتعلمون أبدًا .

أجابه (نور) فى هدوء :

ـ الأمر يختلف تمامًا يا (أكرم) .. شبيهى المسكين وفريقه انطلقوا إلى مهمتهم الانتحارية ، لتحديد موقع الغزاة وطبيعتهم ، أما نحن فننطلق إليها ، ولدينا كل المعلومات اللازمة ، ومهمتنا أن نعمل على إغلاق طريق النجوم فى وجوههم تمامًا ، وليس أن نجمع بعض المعلومات عنهم .

هتف (أكرم) فى حدة :

ـ ولماذا يرسلوننا نحن ؟! لماذا لا يرسلون فرقة من فرق الصاعقة أو القوات الخاصة ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

ـ لأن هذا العمل يحتاج إلى محترفين فى الاتجاهين .. يحتاج إلى فريق علمى انتحارى ، وهذا ينطبق أكثر ما ينطبق ، على فريقنا بالذات .

انعقد حاجباه ، وهو يقول فى عصبية :

ـ هذا واضح .

نقل الباقون أبصارهم ، بينه وبين (نور) ، قبل أن تتساءل (سلوى) فى توتر :

ـ ما الذى سنفعله بالضبط يا (نور) ؟!

أجابها (نور) فى حزم :

ـ إغلاق طريق النجوم يحتاج إلى إطلاق ذبذبة خاصة قوية ، ثم اعتراضها بإيقاف صوتى حرج مباغت[*] ، بتوقيت بالغ الدقة ، لا يصلح للقيام به

(*) الإيقاف الصوتى الحرج: الطبيعى ، من الناحية العلمية ، أن يتصاعد الصوت وينخفض تدريجيًا ، على نحو منتظم، ولكن الإيقاف الصوتى الحرج يعنى هبوط التردّد إلى الصفر دفعة واحدة ، وهذا يؤدى إلى توقف ارتجاجى مباغت ، قد يتسبّب فى تحطيم الزجاج ، أو المواد القابلة للكسر ، كما أنه يسبّب إزعاجًا بالغًا ، لكل المخلوقات ، التى لديها القدرة على التقاط الذبذبات فوق الصوتية .

سوى خبيرة صوتيات مثلك يا (سلوى) ، بمعاونة خبيرة كمبيوتر محنكة مثل (نشوى) .

قالت (نشوى) فى لهفة عصبية :

ـ لا توجد ضرورة لذهاب (رمزى) و(أكرم) إذن .

احتقن وجه (أكرم) ، وهو يهتف فى حدة :

ـ ماذا تقولين يا فتاة ؟! الفريق لن يذهب إلى أى مكان بدونى .. أنا جزء مهم منه ، شئت أم أبيت .

قال (رمزى) فى حزم :

ـ هذا ينطبق علىّ أيضًا .

التفتت إليه (نشوى) ، هاتفة فى ارتياع :

ـ مستحيل ! لن أسمح لهم بأن يفعلوا بك ما فعلوه بشبيهك .

هتف مستنكرًا :

ـ تسمحين لهم ؟! أى قول هذا يا (نشوى) .. ألم يمكنك إدراك الأمر جيدًا ؟! منذ اللحظة التى هبط فيها شبيه (نور) المعكوس إلى عالمنا ، اختلت حالة التوازى ، وانفصل تاريخنا عن تاريخهم تمامًا ، وكذلك مصيرنا ومصيرهم ، وطبقًا للمنطق العلمى البحت ، فما حدث فى عالمهم ، لم يعد من الممكن

أبدًا أن يتكرّر فى عالمنا .. بل إنه من المستحيل أن يحدث هذا الآن .

قالت (سلوى) ، بلهجة أرادت أن تضفى عليها شيئًا من الحماس :

ـ وربما كان مستقبلنا أفضل .

تمتم (أكرم) فى عصبية :

ـ أو أسوأ .

أجاب (نور) فى حزم :

ـ أيًا كانت النتائج ، علينا أن نبذل قصارى جهدنا فحسب ، ولنترك النتائج للخالق (عزّ وجلّ) ، فهى ليست من شأننا .

ارتجفت شفتا (نشوى) ، وخفضت عينيها ، وهى تتمتم :

ـ بكل تأكيد .

نطقت كلمتها ، فساد صمت ثقيل فى المكان ، وراح كل منهم ينقل بصره فى وجوه الآخرين ، وكأنما لديهم ما يخشون الإفصاح عنه ، إلى أن قال (أكرم) ، قاطعًا ذلك الصمت :

ـ ومتى ننطلق يا (نور) ؟!

ألقى (نور) نظرة على ساعته ، قبل أن يجيب فى حزم :

ـ خلال ست ساعات على الأكثر .

ثم شدَّ قامته ، مستطردًا :

ـ وهذا يعنى أنه ستكون أمامنا ثلاثون ساعة كاملة ، لـ ..

قبل أن يتمّ عبارته ، ارتجّ المكان كله بضجيج عجيب ..

ومخيف ..

ضجيج لم يكن من المفترض حدوثه ، قبل ست وثلاثين ساعة كاملة ..

وكان هذا يعنى الكثير ..

الكثير جدًا ..

* * *

« إنها محاولة الاختراق الأولى .. »

نطق الدكتور (جلال) العبارة ، وكيانه كله يرتجف ، وتحركت سبابته فوق خريطة العالم ، مكملاً :

ـ نفس الأماكن ، بنفس التوزيع ، ونفس درجة الارتجاج ، التى سجّلها شبيهك فى عالمه ، ولكن قبل الموعد الذى أخبرنا به بست وثلاثين ساعة كاملة ..

ثم زفر فى عنف ، مضيفًا :

ـ وليس هناك أدنى شك فى تحليل الموقف .. إنها محاولة اختراق للفضـ .. أتدرك ما يعنيه هذا أيها المقدّم ؟!

أجابه (نور) فى لهجة حاسمة :

ـ يعنى أنه هناك جاسوس بيننا يا سيّدى .

كان الجواب مباغتًا بحق ، حتى إن القائد الأعلى والدكتور (جلال) حدّقا فى وجهه بدهشة بالغة ، قبل أن يهتف الأوّل :

ـ ماذا تقول يا (نور) ؟!

التفت إليه (نور) ، مجيبًا :

ـ أقول : إن التفسير الوحيد لما حدث ، هو أنه هناك جاسوس بيننا ، ينقل التطوّرات أوّلاً فأوّلاً إلى الغزاة ، بوسيلة ما ، وهذا ما دفعهم إلى تقديم موعد الاختراق ، لمنعنا من اتخاذ كل ما يمكن أن يعرّض حملتهم للخطر .

كان تفسيرًا منطقيًا إلى حد مخيف ، حتى أن القائد الأعلى والدكتور (جلال) قد تبادلا نظرة مرتاعة، نهض بعدها الأوّل من خلف مكتبه ، وهو يقول فى توتر :

- هذا أمر بالغ الخطورة ، ومنطقى أيضًا للغاية .

قال الدكتور (جلال) فى انفعال :

- ودون أدنى شك ، فمن الناحية العلمية المحضة ، كان ينبغى أن يتحرك الغزاة بنفس النمط ، الذى تحركوا فيه فى العالم الآخر ، حتى مع وصول ذلك الشبيه المعكوس إلينا نظرًا لأنه من الطبيعى أن يجهلوا كل شىء عنه ، ولكن تحركاتهم السريعة ، وانشقاقهم عن التسلسل الزمنى المنطقى ، يؤكد أنهم قد علموا بأمره .

أشار (نور) بسبابته ، قائلاً :

- ليس هذا فحسب ، وإنما أمكنهم اختراق وسائل أمننا ، ومعرفة ترتيباتنا ، الخاصة بمواجهتهم ، وقرروا أن يتحركوا أسرع منا ، حتى لا يفقدوا زمام المبادرة قط .

انعقد حاجبا القائد الأعلى ، وهو يتحرك فى المكان بعصبية ، قائلاً :

- هذا أمر بالغ الخطورة يا (نور) ، ولا بد من حسمه بأسرع وقت ممكن ، فلو لم نتمكن من كشف تلك الثغرة وإغلاقها ، قبل أن يبدأ الغزو ، لتحولت إلى سيف حاد ، ينغرس فى قلوبنا بلا رحمة .

زفر الدكتور (جلال) فى توتر ، قائلاً :

- هذا لو لم يقطع رءوسنا أولاً .

قال (نور) فى حزم :

- دعنا نأمل أن نبلغ نحن رأس ذلك الجاسوس أولاً .

رفع القائد الأعلى سبابته ، قائلاً :

- المهم أن نحدد هويته فى البداية ، فلن يمكننا فحص ومراجعة أوراق الجميع ، واستجواب كل من تحوم حول موقعه الشبهات ، فى الساعات القليلة القادمة .

أجاب (نور) فى حزم :

- يمكننا أن نختصر دائرة البحث إلى حد كبير ، فالجاسوس الذى نبحث عنه ، يحتل حتمًا موقعًا متقدمًا للغاية ، بحيث يمكنه الاطلاع على تقارير بالغة السرية ، فى نطاقات عديدة ، وهو مطلع ، فى الوقت ذاته ، على كل ما يخص شبيهى ، وانتقاله من مستقبل عالم إلى عالمنا ، ويدرك مدى خطورة الأمر ، وما يمكن أن يؤثر به على مصير الغزو كله .

اتسعت عينا القائد الأعلى ، وهو يقول :

- ولكن الذين ينطبق عليهم هذا معدودون يا (نور) ، وهم من قيادات الإدارة ، وكلهم تم اختيارهم بدقة بالغة .

قال (نور) فى اهتمام :

- ربما تم إبدال أحدهم بوسيلة ما .

قال الدكتور (جلال) فى حزم :

- هذا مستحيل ! إجراءات الأمن والتحقّق من الشخصية تم تطويرها كثيرًا ، بعد ما حدث من زائر الفضاء السابق(*)، ولم يعد خداعها ممكنًا .

هزّ (نور) رأسه فى إصرار ، قائلاً :

- ولكن من المستحيل أن يخرج الجاسوس عن هذه الدائرة ..

تبادل الدكتور (جلال) والقائد الأعلى نظرة متوترة للغاية ، قبل أن يزفر الأخير فى عصبية ، قائلاً :

- المؤسف أن تحليلك منطقى ومقنع تمامًا يا (نور) .. الجاسوس حتمًا هو واحد منهم للأسف .. سأراجع بيانات الكمبيوتر الخاصة بهم بنفسى ، و .....

(*) راجع قصة (كرة النار) .. المغامرة رقم ١٢٥

قبل أن يتمّ عبارته ، اتسعت عينا (نور) ، وتألقتا بشدة ، فهتف به القائد الأعلى فى لهفة :

- (نور) .. لقد توصّلت إلى شىء ما .

هتف (نور) فى انفعال :

- بالتأكيد يا سيّدى .

سأله الدكتور (جلال) فى لهفة :

- وما الذى توصّلت إليه أيها المقدّم ؟!

أجاب (نور) ، بكل حماس الدنيا :

- الجاسوس يا دكتور (جلال) .. لقد توصّلت إلى معرفة الجاسوس ، الذى يعمل لحساب الغزاة .

واتسعت عينا الدكتور (جلال) عن آخرهما ..

وخفق قلبه ..

بمنتهى العنف ..

* * *



٣ ـ الجاسوس ..

« الكمبيوتر ؟! .. »

هتفت (نشوى) بالكلمة فى ذهول ، وهى تحدق فى وجه والدها ، الذى شد قامته ، فى اعتداد شديد ، وهو يجيب :

ـ نعم يا رفاق .. جاسوس الغزاة هو الكمبيوتر نفسه .. آلة تتجسس لحساب غزاة من الآلات .

هتف (أكرم) :

ـ ولكن كيف ؟!

أشار (نور) بيده ، قائلاً :

ـ الكمبيوتر أصبح كل شىء فى حياتنا ، منذ السنوات العشر الأخيرة ، من القرن العشرين .. كل شىء يدار بوساطته ، وهو منتشر فى كل مكان ، عبر شبكة هائلة لا محدودة ، يتصل بعضها بالبعض ، على نحو لم يحدث فى أى نظام آخر ، عبر التاريخ كله .. إنه يتحكم فى كل أجهزة الرؤية ، والسمع ، والاتصالات ، والمواصلات ، وتخزين المعلومات ،

وحتى الدفاع الجوى والقتال ، وإطلاق الصواريخ إلى الفضاء ، والتحكم فى شبكة الكمبيوتر هذه ، يجعل المرء مطلعًا على كل شىء فى العالم ، ويساعده على تخزين كم لا محدود من المعلومات ، يكفى لبناء صورة تامة عن عالم بأكمله ، بحيث يمكنك فهم طبيعته ، وتضاريسه ، وسكانه ، وحتى مناخه وحشراته ..

سألته (سلوى) فى حيرة متوترة :

ـ ألهذا أصررت على فصل كل الأجهزة الآلية والإليكترونية عن المقرّ ، قبل أن تفصح عما لديك ؟!

أجاب فى حزم :

ـ بالضبط .. إننا لم ندرك بعد كيف يعمل ذلك الجاسوس الإليكترونى ، لذا فمن المحتّم أن نتخذ كل الاحتياطات الممكنة .

سأله (رمزى) فى توتر :

ـ ولكن كيف يا (نور) ؟! كيف تمكن أولئك الغزاة من السيطرة على شبكة الكمبيوتر ، وحولوا عملها لصالحهم ؟!

أشار (نور) إلى ابنته ، مجيبًا :

- هذا ما ستخبرنا به (نشوى) .

هتفت (نشوى) فى دهشة :

- أنا ؟!

أجابها فى سرعة :

- بالطبع .. أنت خبيرة الكمبيوتر بيننا ، ووحدك يمكنك أن تشرحى لنا ، كيف يمكن أن يحدث هذا .

قالت مبهوتة :

- هناك وسائل عديدة لذلك !

قال فى حزم :

- أمامك ثلاث ساعات ونصف الساعة ، لتكشفى الوسيلة التى استخدمها الغزاة ، وتجدى وسيلة للسيطرة عليها ، أو هزيمتها تمامًا .

قالت فى توتر :

- ثلاث ساعات ونصف الساعة ؟! ألا يمكننى الحصول على وقت أطول ؟!

هزّ رأسه نفيًا ، وهو يعقد ساعديه أمام صدره ، قائلاً :

- كلاّ .. لا يمكنك هذا ، فبعد هذا التوقيت ، سنكون داخل مكوك الفضاء (ابن ماجد) ، فى

طريقنا ، عبر طريق النجوم ، لمواجهة الغزاة ، والسعى لإغلاق السبيل فى وجوههم .

انعقد حاجباها ، وهى تنهض نحو الباب ، قائلة :

- فلأبدأ على الفور إذن .

سألها فى شىء من الصرامة :

- إلى أين ؟!

أجابته فى دهشة :

- سأحضر جهاز الكمبيوتر الخاص بى .

هزّ رأسه نفيًا ، وهو يقول :

- لا .. لا تحضريه إلى هنا .. أريد هذا المقر نظيفًا ، حتى يتم كشف ذلك الجاسوس الإليكترونى .. اعملى فى مكتبك الخاص ، أو ...

قبل أن يتمّ عبارته ، ارتفع أزيز هاتف الفيديو ، فاستدار إليه ، وضغط زر الاتصال ، فظهرت على الشاشة صورة الدكتور (جلال) ، وهو يقول فى توتر واضح :

- (نور) .. نريدك فى المستشفى الخاص بنا فورًا .

سأله (نور) فى قلق :

ـ ماذا حدث ؟!

ازدرد الدكتور (جلال) لعابه ، قائلاً :

ـ شبيهك يا (نور) .. إنه ..

قاطعه (نور) فى توتر :

ـ هل يحتضر ؟!

هزّ الدكتور (جلال) رأسه ، فى قوة وحدة ، قبل أن يجيب فى عصبية :

ـ كلا .. إنه أمر عجيب .. عجيب حتى إنك لن تصدقه ، إلا لو رأيته بنفسك !

ثم مال إلى الأمام ، مضيفًا فى حدة :

ـ المهم أن تسرع يا (نور) .. أسرع بالله عليك ، قبل أن ينتهى كل شىء .

وكانت هذه العبارة الأخيرة وحدها كافية ، لتخفق قلوب الجميع بمنتهى العنف ..

وليقفز إلى رءوس الجميع تساؤل مخيف .. للغاية ..

* * *

مع مرور الوقت ، ومواجهة الخطر ، فى العديد من الصور ، قد يعتاد المرء رؤية إنسان يحتضر .

ولكن من المؤكد أنه ما من تجربة ، فى الحياة كلها ، يمكن أن تجعل المرء يعتاد رؤية نفسه ، وهى تحتضر ..

أو بمعنى أدق ، رؤية شبيه ، هو نسخة طبق الأصل منه ، فى هيئته ..

وعقليته ..

وواقعه ..

وتاريخه ..

ولكن بصورة معكوسة ..

لكل هذا ، سرت فى جسد (نور) قشعريرة عجيبة عنيفة ، وهو يدلف إلى حجرة شبيهه ، فى المستشفى التابع لمركز الأبحاث العلمية ، والذى اكتظ بالأطباء والعلماء والباحثين ، الذين راحوا جميعًا يحدقون فى تلك الظاهرة العجيبة ، التى أحاطت بالشبيه ..

كان يرقد على فراشه ، شاحب الوجه بشدة ، حتى ليبدو أشبه بالموتى ..

لولا تلك الهالة المحيطة به ..

هالة تتموّج بكل ألوان الطيف ، فى تناغم ونعومة مدهشين ، حتى ليخيّل إليك أنه ملك يحتضر ، وليس بشريًا عاديًا ..

وما إن وقع بصره على (نور) ، وعلى الرغم من كل ما يشعر به ، من ضعف وألم ، لوّح الشبيه بسبابته ، وابتسم فى شحوب ، متمتمًا :

ـ هل رأيت ما حدث يا صديقى ؟! ألم تتمنَّ دومًا أن تتألق ، قبل أن تنتهى حياتك ؟!

اقترب منه (نور) ، وسأله فى خفوت مشفق :

ـ ماذا حدث ؟!

أشار الشبيه بيده إلى الأطباء المحيطين به ، متمتمًا :

ـ سلهم .

رفع (نور) عينيه إلى كبير الأطباء ، الذى تنهَّد ، قائلاً ، وهو يقلب كفيه فى استسلام آسف :

ـ لقد بلغ المرحلة اللارجعية .. خلاياه تتفاعل مع عالمنا ، وتنهار فى بيئته المعكوسة ، والطاقة الناتجة من الانهيار الخلوى ، هى التى تحيطه بتلك الهالة العجيبة .

تمتم (نور) :

ـ إننى لم أرَ شيئًا كهذا قط .

هزَّ الرجل رأسه ، مغمغمًا :

ـ إنك لن تلتقى بشخص من عالم معكوس كل يوم.

أومأ (نور) برأسه متفهمًا ، وعاد يلتفت إلى شبيهه ، الذى حاول مرة أخرى أن يبتسم ، وهو يقول بصوت أشبه بالهمس :

ـ هل أدركت ما يعنونه يا صديقى؟! إننى أحتضر.. حياتى فى عالمكم تنتهى ، قبل أن أجد وسيلة لإنقاذ عالمى .

أشار إليه (نور) ، قائلاً :

ـ لا ترهق نفسك بالحديث .. إنك ..

قاطعه شبيهه فى تهالك :

ـ بل دعنى أتحدَّث يا صديقى .. الصمت لن يطيل عمرى كثيرًا ، ولكن حديثنا قد يطيل أعماركم أنتم .

انعقد حاجبا (نور) ، فتابع شبيهه :

ـ ربما عجزت عن إنقاذ عالمى ، وتجنيبه ذلك الجحيم ، الذى سيبيده حتمًا ، إن عاجلاً أو آجلاً ، ولكن من يدرى ؟! ربما ساهمت فى إنقاذ عالمك أنت.

ثم أدار عينيه فيمن حوله ، متمتمًا :

ـ هلاَّ منحتمونا فرصة التحدُّث وحدنا ؟!

أجابه كبير الأطباء :

- بالتأكيد يا ولدى .. بالتأكيد .

ثم أشار إلى باقى الأطباء ، قائلاً فى حزم :

- هيا بنا .

قال أحدهم فى توتر :

- نغادر المكان ؟! كيف ؟! المفترض أن ..

قاطعه كبير الأطباء فى صرامة ، وهو يرمقه بنظرة غاضبة :

- قلت : هيا بنا .

تبادل الأطباء نظرة صامتة ، ثم غادروا المكان على الفور ، وما إن أغلق آخرهم بابها خلفه ، حتى أشار الشبيه بيده ، قائلاً :

- أغلق كل الأجهزة الإليكترونية ؟!

تردد (نور) لحظة ، وقال :

- بعض هذه الأجهزة يبقيك حيًا .

أجابه في حزم :

- والبعض الآخر ينقل أحاديثنا للغزاة .

ارتفع حاجبا (نور) فى دهشة ، وهو يقول :

- هل استنتجت هذا ؟!

ابتسم الشبيه ، وغمغم :

- أراهن على أنك فعلت ، فى اللحظة نفسها .

تمتم (نور) :

- تقريبًا .

التقط الشبيه نفسًا عميقًا ، وراح يلهث فى قوة ، فمال (نور) نحوه فى إشفاق ، قائلاً :

- قلت لك : إن الصمت ..

قاطعه مرة أخرى فى عصبية :

- دعك منى ، وأغلق تلك الأجهزة أولاً .. هيا .. أسرع بالله عليك ، فأنا أزداد ضعفًا .. هيا .

تردد (نور) لحظة أخرى ، ثم لم يلبث أن اتجه إلى مفتاح التشغيل الرئيسى ، وأغلقه ، ثم التفت إلى شبيهه ، قائلاً :

- لقد فعلتها .

أغلق الشبيه عينيه بضع لحظات، ثم عاد يفتحهما، متسائلاً فى ضعف :

- هل توصلت إلى جواب الأسئلة ؟!

غمغم (نور) :

- ليس بعد .

رفع الشبيه سبابته فى صعوبة ، قائلاً :



التقط الشبيه نفسًا عميقًا ، وراح يلهث فى قوة ، فمال (نور) نحوه فى إشفاق ..

ـ أنا فعلت .

هتف (نور) فى لهفة :

ـ حقًا ؟!

أجابه الشبيه :

ـ أنت أيضًا ستفعلها يا صديقى ، ولكننى أتميَّز عنك بأننى قد رأيت كل شىء بنفسى .

ثم بذل جهدًا ، ليرفع رأسه عن الفراش، مستطردًا:

ـ وهذا ما ساعدنى على الفهم .

لاحظ (نور) أن الهالة المحيطة بشبيهه تخبو رويدًا رويدًا ، فقال فى توتر :

ـ ساعيد تشغيل الأجهزة .

هتف شبيهه :

ـ لا .. لا تجعلهم يدركون أننا قد فهمنا هذا .. استمع إلىَّ أولاً .

ثم لهث فى شدة ، قبل أن يضيف :

ـ كل هذا ليس حقيقيًا يا صديقى .

سأله (نور) فى دهشة :

ـ ماذا تعنى ؟!

أجابه فى سرعة ، وصوته يزداد خفوتًا ، مع خبوّ الهالة المحيطة به أكثر وأكثر :

ـ لا تجعلهم يخدعونك .. هذا ما يجيدونه تمامًا .. انظر إلى حقيقتهم ، وليس إلى ما يبدون عليه .. إنهم ليسوا عمالقة يا صديقى .. ليسوا ..

لم يستطع إكمال عبارته ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وبدا وكأن حلقه يغصّ بالكلمات ، وتلاشت الهالة المحيطة به أو كادت ، فصاح (نور) فى ارتياع ، وهو يقفز نحو مفتاح التشغيل الرئيسى ، ويضغطه بكل قوته :

ـ رباه ! لا تستسلم لهذا يا رجل لا تستسلم .

انهار رأس الشبيه على الوسادة ، واتسعت عيناه أكثر وأكثر ، وغصّ حلقه بحشرجة عجيبة ، فاندفع (نور) خارج الحجرة ، صائحًا :

ـ أسرعوا بالله عليكم .. إنه ينهار .

اندفع فريق الأطباء إلى الحجرة ، والتفوا حول الفراش ، وراحوا يتأكدون من توصيلات الأسلاك ، وعمل الأجهزة ، التى تقيس النبض وضغط الدم ، ومعدّلات التنفس ، وإشارات المخ ، وغيرها من

العلامات الحيوية ، والتى أشارت مؤشراتها كلها إلى الصفر ، على الرغم من الارتجافة الواضحة ، فى جسد الشبيه كله ، وإلى شفتيه المرتعدتين ، وهو يتمتم :

ـ وَهْمٌ .. مجردُ وهم .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، والتصق بالجدار ، دون أن ينبس ببنت شفة ، أو يحرك ساكنًا ، وهو يحدّق فى شبيهه ، الذى راح الأطباء يبذلون قصارى جهدهم لإسعافه ، وهو يلهث فى شدة ، قبل أن يرفع رأسه بغتة ، ويتطلع إلى عينى (نور) مباشرة ، ثم يشير إليه بسبابته ، قائلاً :

ـ يومًا ما ، قد تجدون وسيلة للعودة إلى عالمى ، فى زمن مناسب .. عدنى أن تبذل قصارى جهدك عندئذ لـ ...... لـ .....

لم يستطع إكمال عبارته ، فسرت قشعريرة باردة كألف ألف جبل من الثلج ، فى جسد (نور) ، وهو يغمغم ، وقد فهم ما يرمى إليه شبيهه :

ـ أعدك .

أغلق الشبيه عينيه فى ارتياح ، وترك رأسه يسقط على الوسادة ، مغمغمًا :

ـ عظيم .

ومع آخر حروف كلمته ، توهجت الهالة المحيطة به ، وتألقت على نحو عجيب ، حتى إنها أضاءت المكان كله بضوء مبهر ، أجبر الجميع على إغلاق عيونهم لحظة ..

لحظة واحدة ، خبا بعدها الضوء تمامًا ..

وانفتحت العيون ..

ثم خفقت القلوب فى عنف ..

فقد كان ذلك الضوء المبهر هو الوهج الأخير للهالة ..

ولحياة ذلك الشبيه المسكين ..

(نور) .

(نور) العالم الآخر ..

* * *

« (نور) .. أأنت بخير ؟! »

تسلل صوت (سلوى) حنونًا مشفقًا ، إلى أذنى (نور) ، فرفع كفيه عن وجهه ، وأدار إليها عينين

محتقنتين ، من غزارة الدموع الحبيسة فيهما ، وهو يغمغم ، بصوت حمل كل حزن ومرارة الدنيا :

ـ نعم يا (سلوى) .. أنا بخير .

ثم أشاح بوجهه ، مستطردًا :

ـ على عكس شبيهى المسكين .

ربتت على كتفه فى عطف وحنان ، مغمغمة :

ـ موته آلمنى أيضًا يا (نور) .. إنه شبيهك ، ولكن الموت هو مصيرنا جميعًا .. طال الزمن أم قصر .

هز رأسه ، قائلاً فى ألم :

ـ لم يستطع إنقاذ عالمه .

قالت :

ـ هذا قدره .

ثم استدركت في سرعة :

ـ ومازال أمامنا قدرنا نحن .

صمت بضع لحظات ، انعقد خلالها حاجباه فى شدة ، قبل أن يقول :

ـ صدقت .

والتقط نفسًا عميقًا ، امتلأ به صدره ، قبل أن ينهض ، قائلاً فى حزم عجيب :

ـ وعلينا أن نقاتل من أجله بكل قوتنا .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى اندفعت (نشوى) إلى مقر الفريق ، هاتفة :

ـ أبى .. لقد توصّلت إليه .

التفت إليها الجميع فى سرعة ولهفة ، فأضافت فى انفعال :

ـ توصّلت إلى الجاسوس .

سألها (نور) :

ـ ما طبيعته بالضبط ؟!

أجابت فى سرعة :

ـ إنه أحد فيروسات الكمبيوتر (*) .

هتف (أكرم) مستنكرًا :

ـ فقط ؟!

(*) فيروس الكمبيوتر : هو برنامج دخيل ، صغير الحجم فى الأغلب ، ولكن له آثارًا مدمرة ، على برامج الكمبيوتر الأخرى ، أو ذاكرته الأساسية ، ولا ريب فى أن الأطباء النفسيين هم الأقدر على تحليل وتفسير السبب ، الذى يدفع بعض العباقرة إلى ابتكار تلك الفيروسات ، لتدمير أجهزة الكمبيوتر الأخرى، دون فائدة مباشرة !!

التفتت إليه ، مجيبة :

ـ لا تستهن بفيروسات الكمبيوتر ، فمنذ أن وضع أحدهم بذرتها الأولى، فى أوائل التسعينات ، من القرن العشرين ، وهى تتطوّر على نحو مخيف ، ولست أدرى لم يبذل البعض كل هذا الجهد ، لابتكار وسائل جديدة ، لإفساد وتدمير أعمال الآخرين ، ولكن أحدهم نجح ، فى نهاية القرن العشرين ، وبدايات القرن الحادى والعشرين ، فى اختراع وتطوير جيل جديد من فيروسات الكمبيوتر ، نطلق عليه اسم (الفيروسات الذكية) ، وهى تختلف عن الجيل السابق فى قدرتها المدهشة على تطوير نفسها ، وكشف كل محاولات التصدّى لها وتدميرها ، ومواجهتها بردود أفعال عنيفة ، قد تؤدى إلى آثار أكثر تدميرًا ، بالنسبة لأجهزة الكمبيوتر ، أو النظم الإليكترونية المحتلّة .

سألها (رمزى) فى قلق :

ـ وهل الفيروس الذى تتحدثين عنه ، من هذا الطراز ؟!

أجابت فى انفعال :

ـ بالضبط .

ثم أدارت عينيها فى وجوههم ، متابعة :

ـ ليس هذا فحسب ، ولكنه أكثر تطورًا أيضًا ، على نحو يشف عن مدى تقدم وعبقرية صانعه ، فلديه القدرة على الاختباء بذكاء شديد ، داخل برنامج التشغيل الرئيسى ، لشبكة كمبيوتر المعلومات ، والتوغل فيها جميعها ، دون أن تكشف البرامج المضادة للفيروسات وجوده .

سألها (أكرم) مبهورًا :

ـ كيف كشفت أنت وجوده إذن ؟!

هزت كتفيها ، مجيبة :

ـ لقد استخدمت برنامجًا جديدًا .

ثم استدركت فى انفعال :

ـ وحتى مع هذا ، لم يكن الأمر سهلاً .

ألقى (نور) نظرة على ساعته ، قائلاً :

ـ عظيم .. المهم أنك قد كشفت أمره .. هل يمكنك إبطال مفعوله إذن ، فى غضون الساعتين المتبقيتين ، قبل أن ننطلق فى رحلتنا ؟!

غمغم (أكرم) :

ـ تقصد قبل أن نلقى بأنفسنا فى قلب الجحيم .

رمقه (نور) بنظرة صارمة ، قبل أن يستطرد :

ـ هل يمكنك هذا ؟!

هزت رأسها ، قائلة :

ـ المشكلة ليست مشكلة وقت .

سألها (رمزى) :

ـ مشكلة ماذا إذن ؟!

أجابت بانفعال :

ـ مشكلة أنه ليس فيروسًا ذكيًا فحسب ، وإنما هو فيروس عبقرى ، ولولا أننى قد التففت حوله ، وأقنعته بأننى أقوم بفحص روتينى فحسب ، لاتخذ رد فعل بالغ الشراسة ، و ...

ترددت لحظة ، فسألها (نور) فى قلق :

ـ وماذا ؟!

رفعت عينيها إليه ، مجيبة :

ـ ودمر نظام الكمبيوتر لدينا بأكمله .

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يقول :

ـ من المؤكد أنه لدينا أسلوب وقائى ، ضد الفيروسات الذكية .

أومأت برأسها إيجابًا ، وقالت :

- لدينا نظام فعّال للغاية ، ولكن هذا الفيروس عبقرى ، كما سبق أن أخبرتكم ، وهو جديد تمامًا ولم يتم اختباره أو دراسته من قبل ، والوقت المتبقى لا يسمح بإجراء الاختبارات اللازمة ، قبل البدء بمهاجمته .

ازداد انعقاد حاجبى (نور) ، وبدت عليه علامات التفكير العميق ، وهو يتجه إلى النافذة ، ويتطلّع عبرها فى صمت ، قبل أن يلتفت إلى ابنته ، قائلاً فى حزم شديد :

- هناك وسيلة لاختبار الأمر، خلال دقائق معدودة .

سألته فى دهشة :

- وما هى ؟!

استدار إليها بجسده كله ، مجيبًا :

- أن نهاجم الفيروس على الفور .

اتسعت عيناها فى استنكار مندهش ، وهى تهتف :

- وماذا لو ...

قاطعها فى صرامة :

- هذا سيحسم الأمر فى سرعة .

قالت (سلوى) فى توتر :

- أو يسحق نظامنا الكمبيوترى بضربة واحدة .

هزّ رأسه فى حزم ، قائلاً :

- لست أظن هذا سيحدث .

سأله (رمزى) :

- وكيف يمكنك أن تجزم ؟!

أشار بسبّابته ، قائلاً :

- لنفس السبب ، الذى أخبرتكم به من قبل .. لأن الكمبيوتر يتحكم فى كل شىء فى حياتنا تمامًا ، حتى أن تدمير شبكته الرئيسية يعنى شل حركتنا عن أى شىء .. بما فى هذا قدراتنا القتالية والدفاعية ، ولو أن خصمنا يمكنه هذا ، لما تردّد لحظة واحدة .. صحيح أن فيروسه يمكن أن يوصف بالعبقرية ، فى مجال التسلل والاختباء ، ولكن صانعه يُدرك جيّدًا أنه لن يصمد أمام مواجهة مباشرة ، مع البرامج المتطوّرة لدينا ، والخاصة بمكافحة الفيروسات الذكية ، لذا فهو يكتفى بتجنيده كجاسوس للتنصّت ، ونقل المعلومات ، وليس كسلاح فتاك ، فى مواجهة نظامنا الإليكترونى بأكمله .

بدت الدهشة ممتزجة بالانبهار ، على وجوههم جميعًا ، وهتفت (سلوى) :

- ربّاه ! هذا منطقى تمامًا .

أشارت (نشوى) بسبابتها ، مضيفة :
- إلى أقصى حد .
ثم شدت قامتها ، على النحو نفسه ، الذى يفعله والدها ، وأكملت فى حزم :
- سأبدأ على الفور .
واستدارت تغادر الحجرة ، وتتجه إلى مكتبها الخاص ، فهتف (أكرم) :
- فكرة عبقرية يا (نور) .
ثم ربّت على كتف هذا الأخير فى حرارة ، مستطردًا بكل حماس :
- إنك قادر بالفعل على التصدّى لهم .
غمغم (نور) :
- أشكرك .
ابتسم (رمزى) ، قائلاً :
- الواقع أنك عبقرى حقيقى يا (نور) .. وعبقريتك هذه تتفوّق حتى على العلم والتكنولوجيا ، وعلى خبرالهما فى كثير من الأحيان ، فأعظم ما فيها هو أنها عبقرية فطرية ، مدعّمة بدراسات وثقافات عديدة ، صقلت روعتها ، وحققت تفرُّدها ، على نحو مدهش ، قد لا يتكرّر فى الجيل بأكمله ..

بدا الخجل والارتباك ، فى وجه (نور) وصوته ، وهو يقول :
- ليس إلى هذا الحد .
هتف (رمزى) فى حماس :
- بل وأكثر من هذا يا (نور) .. لقد هزمت الغزاة بذكائك وحسن تفكيرك ، واستنتاجاتك .. أكاد أتخيّل تلك الوجوه الآلية ، عندما يدرك أصحابها أنك قد كشفت أمرهم ، وفضحت جاسوسهم ، الذى تصوّروا أنه خط قتالهم الأوّل ، الذى لا يمكن كشفه قط ، و ...
قاطعه (نور) ، وهو يهتف بغتة :
- يا إلهى !
نطقها ، وعيناه تتألقان على نحو عجيب ، جعل (أكرم) يسأله متوترًا :
- (نور) ! ماذا هناك ؟!
ولكن (نور) دفعه جانبًا ، وانطلق يعدو خارج الحجرة ، على نحو اتسعت له عيون الجميع فى دهشة بالغة ..
دهشة بلا حدود .

* * *

٤ - المهمـة ..

انعقد حاجبا العالم المسئول عن إطلاق المكوك الفضائى (ابن ماجد) ، فى حنق غاضب ، وهو يقول للدكتور (جلال) فى حدة :

- ماذا تعنى بقولك هذا يا دكتور (جلال) ؟! لماذا نعيد برمجة المكوك بالكامل ، وبرنامجه يعمل بصورة جيّدة للغاية ؟!

وضع الدكتور (جلال) أمامه علبة صغيرة ، تحوى مجموعة الأسطوانات المدمجة الصغيرة ، اللازمة لإعادة برمجة المكوك ، وهو يقول فى صرامة :

- لدىّ أسبابى .

سأله العالم فى عصبية :

- أية أسباب هذه ؟

أجابه الدكتور (جلال) بنفس الصرامة :

- أسباب أمنية .

ثم أضاف فى سرعة ، قبل أن يلقى الرجل سؤالاً آخر :

- والمفترض أن تتم عملية إعادة البرمجة هذه ، فى غضون ساعة واحدة ، ودون الاستعانة بأية أجهزة إليكترونية خارجية ، مهما كانت أهميتها .

اتسعت عينا العالم فى دهشة محنقة ، قبل أن يهتف :

- ما هذا بالضبط ؟! اختبار كفاءة ؟!

أجابه الدكتور (جلال) فى برود :

- بالضبط .

ثم ألقى نظرة على ساعة يده ، مستطردًا :

- ولو أردت رأيى ، فالأفضل أن تبدأ على الفور ، إذ إن الساعة ستنتهى بأسرع مما تتصوّر .

انعقد حاجبا العالم فى حنق وغضب ، ولكن الدكتور (جلال) غادر المكان فى سرعة ، دون أن يضيف حرفًا واحدًا ..

ولثوان ، ظلّت علامات الغضب محفورة فى وجه العالم ، قبل أن يغمغم فى سخط :

- ما الذى يفعلونه بنا ؟! أى تعنُّت هذا ؟!

والتقط حقيبة الأسطوانات المدمجة ، وهو يستطرد:

- كل مرة تقفز إلى أذهانهم وسائل تعذيب سخيفة ،

وعندما تسألهم عما يعنونه ، يجيبونك بأنها أسباب أمنية .

وهز رأسه فى قوة ، وهو يجذب جهاز الكمبيوتر الجديد ، الذى أحضروه إليه ، مغمغمًا فى سخرية عصبية :

ـ أيها الأمن ، كم من المهازل تُرتكب باسمك .

أشعل جهاز الكمبيوتر الجديد ، وطالع واجهته الخالية بضع لحظات ، قبل أن يقول فى حدة :

ـ أية سخافة هذه ؟! المفترض أن أقوم ببرمجة هذا الكمبيوتر الجديد أولاً ، ثم أستخدمه لإعادة برمجة المكوك .. أى تعقيد هذا ؟!

ثم أدار بصره إلى الكمبيوتر التقليدى ، على قيد خطوات منه ، وابتسم فى خبث ، وهو يضيف :

ـ ولكن هناك وسائل أكثر سهولة حتمًا .

قالها ، وابتسامته الخبيثة تتسع أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

* * *

« كل شىء سيسير على ما يرام بإذن الله ، ما دامت برامج المكوك كلها جديدة .. »

نطق الدكتور (جلال) عبارته فى ارتياح واضح ، قبل أن يلقى جسده على أقرب مقعد إليه ، فى حجرة القائد الأعلى ، مستطردًا :

ـ مع إعادة برمجة المكوك (ابن ماجد) ، سينتهى أمر جاسوس الغزاة تمامًا ، وسيتمكن (نور) وفريقه من الانطلاق فى رحلتهم ، دون أن يكشف خصومنا الآليون أمرهم ، ويطاردوهم عبر الكون الفسيح .

تنهد القائد الأعلى ، وهو يتراجع فى مقعده ، ويشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، قائلاً :

ـ هل تعتقد أنه هناك أمل ؟!

صمت الدكتور (جلال) بضع لحظات ، قبل أن يجيب فى خفوت :

ـ لست أدرى .

ثم لوّح بذراعه كلها ، مستطردًا :

ـ لا أحد يدرى .. لا أحد يمكنه الجزم .. الأمل الوحيد لدينا هو أنهم سينطلقون فى رحلتهم ، تحت أنف الغزاة ، الذين لن يعلموا بوجهتهم هذه المرة ،

بعد إيقاف مفعول جاسوسهم الإليكترونى الصغير ، المتغلغل فى كل نظامنا .

سأله القائد الأعلى فى قلق :

ـ وماذا لو علموا ؟!

مطَّ الدكتور (جلال) شفتيه ، وهزَّ رأسه فى قوة ، قائلاً :

ـ ستكون كارثة .

ثم التقط نفسًا عميقًا ، وكأنما يحاول تهدئة أعصابه وانفعالاته ، قبل أن يتابع :

ـ فلو علم الغزاة بوجهة فريقنا ومهمته ، سيجن جنونهم الآلى ، وسيسعون لمنع اكتمال المهمة بأى ثمن .

تمتم القائد الأعلى :

ـ أى ثمن ؟!

أومأ الدكتور (جلال) برأسه إيجابًا ، وأكَّد :

ـ نعم .. بأى ثمن ، فنجاح مهمة (نور) وفريقه يعنى أن يُغلق طريقهم إلى عالمنا إلى الأبد ، مما يعنى بالتبعية فشل حملة الغزو ، وهذا ما لن يمكنهم احتماله قط .

تمتم القائد الأعلى ، وكأنما يحدث نفسه :

ـ إنهم آليون .

أشار الدكتور (جلال) بسبابته ، قائلاً فى حزم :

ـ آليون مفكرون .. لا تنس هذا أبدًا .. ولديهم أيضًا هدف عجيب ، ألا وهو القضاء على كل صور الحياة بلا رحمة ، فى أى عالم يبلغونه ؟!

هزَّ القائد الأعلى رأسه ، مغمغمًا :

ـ الله (سبحانه وتعالى) وحده يعلم ، لماذا يسعون لهذا الهدف الدموى البغيض .

ثم اعتدل ، مستطردًا فى توتر :

ـ ولكنك لم تخبرنى ، ما الذى تتوقعه ، لو علم الغزاة بمهمة (نور) وفريقه ؟!

عاد الدكتور (جلال) يمطُّ شفتيه ، مجيبًا :

ـ أبسط ما يمكن فعله ، هو أنهم سيهاجمونهم ، عند مدخل طريق النجوم إلى عالمنا .

وصمت لحظة ، ثم تابع بصوت مرتجف :

ـ ويسحقونهم سحقًا .

خفق قلب القائد الأعلى فى عنف ، مع سماعه العبارة الأخيرة ، وعاد يتراجع فى مقعده بمنتهى البطء ، متمتمًا :

ـ يا إلهي ! أنت على حق يا رجـل .. سـتكون كارثة .. كارثة رهيبة ..

وعاد قلبه يخفق بقوة أكثر ..

وبعنف بلا حدود ..

* * *

ضغطت (نشوى) أزرار جهاز الكمبيوتر الخاص بها فى سرعة وحماس ، وهى تعدّ برنامجها الخاص ، للقضاء على فيروس الغزاة ، داخل شبكة الكمبيوتر الرئيسية ، وتمتمت فى انفعال :

ـ هيا أيها الجاسوس الحقير .. اقض لحظاتك الأخيرة ، فبضغطة زر واحدة ، سينتهى أمرك إلى الأبد ..

وارتفعت سبابتها ، واستعدّت لضغط الزر الأخير ، وهى تضيف :

ـ وداعًا أيها الحقير .

وانخفضت سبابتها نحو الزر ، و ...

وفجأة ، اقتحم (نور) الحجرة فى عنف ، واندفع نحوها كالصاروخ ، فتراجعت مذعورة ، وهى تهتف :

ـ أبى ؟! ماذا ؟!

قبل أن تتمّ عبارتها ، وثب (نـور) نحوها ، وكتم

فمها بيده ، وهو يدفعها بعيدًا عن جهاز الكمبيوتر الخاص بها ، على نحو أسقطهما معًا أرضًا ، فى نفس اللحظة التى وصلت فيها (سلوى) إلى المكان ، هاتفة :

ـ (نور) ؟! ماذا دهاك ؟! كيف ...

أشار إليها (نور) بالصـمت فى صرامـة ، وهو يحمل ابنته ، ويدفعها إلى النهوض ، دون أن يرفع كفه عن فمها ، فاتسعت عيناها فى ارتياع ، تضاعف وهو يدفعها أمامه ، إلى خارج الحجرة ، و (أكرم) يتساءل فى حيرة عصبية :

ـ ماذا حدث بالضبط ؟!

واصل (نور) اندفاعه مع ابنته ، نحو مقر الفريق ، وهو يشير للجميع بالصمت ، حتى بلغ المقر ، فرفع يده عن فم ابنته ، هاتفًا :

ـ أخيرًا !

أسرع (رمزى) يحتوى زوجته بيـن ذراعيـه ، وهو يهتف مستنكرًا :

ـ ماذا تفعل بالضبط يا (نور) ؟!



قبل أن تتمّ عبارتها ، وثب (نور) نحوها ، وكتم فمها بيده ، وهو يدفعها بعيداً عن جهاز الكمبيوتر الخاص بها ..

لهثت (نشوى) فى انفعال ، وهى تجيب سؤال زوجها :

- أنا أعلم ماذا كان يفعل ؟!

بدا الارتياح على وجه (نور) ، وهو يغمغم :

- حمداً لله .

التفتت العيون كلها إلى (نشوى) فى تساؤل ، فتابعت بنفس الانفعال :

- أراد أن يمنعنى من القضاء على الجاسوس الإليكترونى .

فجّر جوابها دهشتهم أكثر ، فهتف (أكرم) :

- ولكن لماذا ؟! أليس هو من طالبك بالقضاء عليه ؟!

أجاب (نور) هذه المرّة :

- ومن حسن الحظ أن انتبهت إلى خطأ هذا ، فى الوقت المناسب ..

سأله (رمزى) فى حيرة :

- أى خطأ ؟!

أشار إليه (نور) ، قائلاً :

- أنت بالتحديد نبهتنى إليه يا (رمزى) .

هتف (رمزى) فى دهشة :

ـ أنا ؟!

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ نعم يا (رمزى) .. أنت .. عندما أشرت إلى ما سيصيب الغزاة ، عندما يدركون أننى قد كشفت أمرهم .

تساءل (أكرم) :

ـ وماذا فى هذا ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

ـ لقد انتبهت عندئذ إلى أن معرفتهم لما حدث ستغضبهم ، لو أنهم أصحاب عقول حية مفكرة ، ولكن المشكلة هى أنهم عقول آلية بحتة ، لذا فما إن يكشفوا ما حدث ، حتى ينتقلوا آليًا إلى الخطوة التالية ، التى قد تكون انتقالهم إلى جاسوس آخر بديل ، نجهل كل شىء عنه ، أو يلجئون إلى ضربة عقابية ، تضيع معها عشرات الأرواح ، وتراق لها أنهار من الدم .

ثم أشار بسبابته ، قبل أن يضيف :

ـ الأكثر خطورة وأهمية ، هو أن جهلهم بما عرفناه ، يمنحنا فرصة نادرة لاستغلال معارفنا هذه ، إلى أقصى حد .

سألته (سلوى) فى لهفة :

ـ كيف ؟!

أجاب فى سرعة ، وهو يبتسم ابتسامة خبيثة :

ـ بأن نتظاهر بجهلنا لوجود ذلك الجاسوس الإليكترونى ، وننقل إليهم ما نريد نحن أن يعلموه فحسب .

تألقت عينا (أكرم) ، وهو يهتف :

ـ آه .. فهمت .. نفس اللعبة القديمة .. سنجند جاسوسهم ضدهم ، دون أن يدرك أو يدركوا .. سنصنع منه جاسوسًا مزدوجًا ، نوجه من خلاله ضرباتنا إليهم .

هتف (نور) :

ـ بالضبط .. سنتحدث من خلال سيناريو مدروس؛ لينقل إليهم جاسوسهم ما يوحى بروح انهزامية ، ورغبة قوية فى الاستسلام .

أشار (رمزى) بسبابته ، قائلاً :

ـ ليس بصورة مبالغة ، وإلا أدركوا الخدعة ، فمن المؤكد أن لديهم دراسة كافية عن شخصياتنا .

أجابه (نور) :

ـ فليكن .. عليك أنت بإعداد السيناريو ، ولكن فى خلال دقائق معدودة ، فمن الضرورى أن ننقل إليهم الصورة التى نريدها كاملة ، قبل أن ننطلق خلفهم .

قال (رمزى) فى حماس :

ـ اطمئن يا (نور) .. سأبذل قصارى جهدى .

ثم تنهّد فى قوة ، وابتسم ، قائلاً :

ـ ألم أقل لك : إنك عبقرى يا (نور) ؟! ما فعلته الآن يعنى أن تاريخ عالمنا قد اتخذ مسارًا جديدًا بالفعل ، أتمنّى أن يكون أفضل من ذلك العالم الآخر ، و ...

قبل أن يتمّ عبارته ، انبعث ذلك الضجيج بغتة ..

وبمنتهى القوة ..

وارتجّ المكان كله فى عنف ..

عنف يوحى بأنه من المحتمل أن يكون مصير عالمهم أسوأ ..

بكثير ..

* * *

كل شىء هادئ فى (الإسكندرية) ..

كل شىء ..

الحياة تسير على الوتيرة نفسها ..

الناس منهمكون فى أشغالهم وأعمالهم ..

السيارات تقطع طريق الكورنيش بسرعة ..

المارة يتهادون فى بساطة ، و ..

وفجأة ، انبعث ذلك الضجيج ..

انبعث بغتة ، كما لو أن معركة حامية الوطيس قد نشبت فجأة خلف السحاب ..

وبدهشة تمتزج بالرعب والفزع ، وبتساؤل حائر مذعور ، ارتفعت عيون الجميع إلى أعلى ..

وفى اللحظة نفسها ، انشقت السماء ..

أو هكذا خُيِّل للكل ..

لقد ظهرت فيها بغتة ثغرة سوداء واسعة ، اندفعت عبرها خمس مقاتلات عجيبة الشكل ، أشبه بسرب من النحل العملاق ، انقضّ فى عنف وشراسة ، على كل ما يسير على الأرض ..

المركبات ..

السيارات ..

الدراجات البخارية ..
الحيوانات ..
وحتى البشر ..
و ..
وفجأة ، برزت سبع مقاتلات أرضية مصرية ..
وانقضت على مقاتلات الغزاة ..
وانطلقت حزم الليزر تشقّ السماء ..
ولكن مقاتلات الغزاة ، اتبعت التكنيك نفسه ..
مقاتلتان منها انقضت على مقاتلاتنا ، وتبادلت معها إطلاق النار فى عنف ..
ومقاتلتان انقضتا على المركبات ..
والسيارات ..
والبشر ..
أما المقاتلة الأخيرة ، فقد انخفضت بسرعة مدهشة ، حتى سارت فوق رءوس المارة المذعورين تمامًا، ثم انطلقت إلى الجنوب الغربى بسرعة مخيفة..
وانطلقت صرخات رعب هائلة ، والجميع يعدون فى كل الاتجاهات ، وكأنها أتت من قلب الجحيم ..
وانطلقت السيارات تحاول الفرار ..

وعوت الحيوانات مذعورة ..
وانهمرت حزم الليزر ..
وسحقت السيارات ..
وأبادت البشر ..
وأسقطت اثنتين من مقاتلاتنا ..
ولكن النسور الخمسة الباقين انقضت ..
وهاجمت ..
وأطلقت حزم الليزر ..
وانفجرت مقاتلات الغزاة ..
وهوت ..
مقاتلتان سقطتا محطمتين ، فى نفس اللحظة التى انطلقت فيها الأخريان إلى أعلى ..
وانشقّ ذلك الثقب الأسود ثانية ..
وانطلقت المقاتلتان نحوه ..
ولكن حزمة من أشعة الليزر، أطلقها أحد نسورنا ، سحقت إحدى المقاتلتين ، قبل أن تبلغه ..
ونجحت الثانية فى تجاوزه ..
ثم اختفى الثقب ..
وتلاشى الضجيج دفعة واحدة ..

وبخلاف صوت مقاتلاتنا ، وهى تحوم فى السماء ، ساد هدوء عجيب ..

وعلى الرغم من انتصارنا ، فى تلك المواجهة الجوية الأولى ، كان لذلك الهدوء رائحة مخيفة ..

رائحة الدم ..

والموت ..

* * *

« (الإسكندرية) .. (المنيا) .. (بنى غازى) .. (الرباط) .. (مارسيليا) .. (نابولى) .. (منشستر) .. (بكين) .. (لينتجراد) .. (سيدنى) .. (بيروت) .. (بوينس أيرس) .. (البرازيل) .. (واشنطن) .. (لوس انجلوس) .. كلها تلقت الضربة نفسها ، فى نفس اللحظة ، بنفس الترتيب الذى جاء به شبيهك يا (نور) ، مع اختلاف الزمن ، وحجم الخسائر ، وعدد المقاتلات .. »

نطق الدكتور (جلال) الكلمات فى توتر بالغ ، وهو يتنقل بسبابته على خريطة العالم ، قبل أن يتابع :

ـ وفى كل المواقع لم تستغرق المواجهة سوى

ثلاثين ثانية فحسب ، انسحبت بعدها المقاتلات الناجية ، بعد أن أدركت أننا كنا نعلم مواقعها ونقاط هجومها ، وننتظرها مستعدين ، وليس كما حدث فى ذلك العالم الآخر .

ابتسم (نور) ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

ـ المفترض أنهم لا يعلمون تفاصيل ما حدث فى العالم الآخر .

أشار الدكتور (جلال) بسبابته ، قائلاً :

ـ ولكنهم يعلمون أننا نعلم .

لوّح القائد الأعلى بذراعه ، قائلاً :

ـ وحتى لو كانوا يجهلون ، فقد علموا الآن .. ليس من المنطقى أن ننتظرهم عند كل نقاط الهجوم ، دون أن تكون لدينا خريطة كاملة لمواقع هجومهم .

مطّ (نور) شفتيه ، مغمغمًا :

ـ للأسف .

التفت إليه الرجلان فى دهشة ، وهتف القائد الأعلى مستنكرًا :

ـ للأسف ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

ـ للأسف أنهم يعلمون أننا نعلم ، فهذا سيدفعهم حتمًا إلى تغيير خطتهم ، وتعديل استراتيجيتهم ، وانتقاء مواقع جديدة للهجوم ، لا نعلم عنها شيئًا ، ويمكنهم منها تكبيدنا خسائر جمة ، تثير المزيد من الذعر والانهيار .

تبادل الرجلان نظرة متوترة ، وقلب الدكتور (جلال) كفيه ، قائلاً :

ـ ما باليد حيلة ؟!

تمتم (نور) :

ـ بالتأكيد .

ثم ألقى نظرة على ساعته ، مضيفًا :

ـ كل ما أرجوه الآن هو ألا يكون هذا قد دفعهم إلى تغيير موقعهم ، أو إقامة نقاط حراسة قوية ، على مدخل طريق النجوم إلى عالمنا !

هزّ الدكتور (جلال) رأسه فى قوة ، قائلاً :

ـ لن يكون عندهم الوقت الكافى لهذا .. ثم إنهم لن يعلموا وجهتكم أبدًا ، بعد إعادة برمجة المكوك (ابن ماجد) ، والقضاء على جاسوسهم الإليكترونى داخله .

عاد (نور) يلقى نظرة على ساعته ، مغمغمًا :

ـ فلننطلق إذن فى موعدنا تمامًا .

تراجع القائد الأعلى فى مقعده ، قائلاً بصوت مبحوح ، من فرط الانفعال :

ـ انطلقوا يا بنى ، على بركة الله .

نطقها ، وقلبه لا يشعر بالارتياح أبدًا ..

ففى جزء ما من أعماقه ، كان لديه شعور بأن الأمور لا تسير على ما يُرام ..

وأنه من المحتمل أن ينطلق أفراد الفريق فى رحلتهم ..

ثم لا يعودوا منها ..

أبدًا ..

ومهما كانت النتائج ..

* * *

« من المكوك (ابن ماجد) إلى القاعدة الأرضية .. كل شىء على ما يُرام ، ونحن نستعد للانطلاق ، فور انتهاء العد التنازلى .. »

نطق (نور) عبارته فى حزم ، وهو يضغط أزرار المكوك ، فاستقرّ كل من رفاقه على مقعده ، وأحكم

رباط حزامه ، وحبسوا جميعًا أنفاسهم ، والعد التنازلى يقترب من الصفر ، فى نفس الوقت الذى ينبعث فيه صوت الدكتور (جلال) ، عبر جهاز الاتصال ، وهو يقول :

ـ من القاعدة إلى المكوك (ابن ماجد) .. قلوبنا معكم .. هيّا .. انطلقوا على بركة الله .

ومع آخر حروف كلماته ، اشتعلت المحركات النهائية للمكوك ..

وانطلق ..

ومع انطلاقه ، خفقت قلوب الجميع فى عنف ..

حتى (نور) ..

ودوت فى آذانهم فرقعة مكتومة ، مع قشعريرة باردة كالثلج ، سرت فى أجسادهم ، ورياح ساخنة كالجحيم ، هبّت فى وجوههم ..

وفى لحظة واحدة تقريبًا ، قفزت إلى أذهانهم صور مختلفة ..

(أكرم) تساءل : هل سيمكنهم العودة سالمين ، بعد أن يتمّوا مهمتهم .

و (سلوى) انكمشت داخل نفسها فى خوف ،

وذهنها يرسم ألف صورة وصورة ، لذلك الإمبراطور الآلى العملاق ، فى سفينة الغزاة .

و (نشوى) راحت تعيد كل حساباتها ، الخاصة بالرحلة ، وذلك الجاسوس الإليكترونى العجيب ..

و (رمزى) تساءل فى قلق : هل انفصل تاريخ العالمين حقًا ؟!

أما (نور) ، ففى تلك اللحظة ، وبينما ينطلق بهم مكوك الفضاء (ابن ماجد) ، عبر طريق النجوم ، راح ذهنه يراجع الأسئلة ، التى ألقاها عليه شبيهه المعكوس ..

وانطلق عقله يبحث عن الأجوبة ..

كل الأجوبة ..

ولكن الوقت لم يمهله ..

ففجأة ، وثب بهم المكوك إلى الفضاء الخارجى ..

إلى نقطة تبعد سنة ضوئية كاملة عن أرضهم ..

ولثوان بدت لهم الصورة كلها مرتبكة مشوّشة ..

ثم اتضحت دفعة واحدة ..

وأمام أعينهم ، وإلى مدى البصر ، امتدّ الفضاء اللانهائى ..

هادئًا ..

خاليًا ..

سرمديًا ..

وفى خفوت ، وكأنما يخشى أن يفسد الصمت والهدوء ، تمتم (أكرم) :

ـ هل وصلنا ؟!

أجابته (نشوى) ، وهى تراجع بيانات الكمبيوتر فى سرعة :

ـ نعم .. إنها نقطة الدخول الرئيسية إلى عالمنا ..

تلفت (رمزى) حوله ، مغمغمًا :

ـ عجبًا ! كنت أتصوَّر أننا سنجد الغزاة هنا .

هزَّت (سلوى) رأسها ، وهى تعمل على جهاز الذبذبات الفائقة ، قائلة :

ـ لست أظنهم بهذا الغباء .. ألم تقرأ مذكرات شبيه (نور) ؟! إنهم يكمنون فى نقطة أخرى ، فى شبكة طريق النجوم ، ولا يثبون إلى نقطة الهجوم إلا فى اللحظة المناسبة فحسب .

تمتم :

ـ فهمت .

واصلت (سلوى) عملها فى سرعة ، وهى تقول :

ـ أعتقد أن أفضل ما نفعله الآن هو أن نبدأ عملنا على الفور ؛ لإغلاق طريق النجوم هذا فى وجه الغزاة.

سألها (أكرم) فى توتر :

ـ ماذا ستفعلين بالضبط ؟!

أجابته فى انفعال :

ـ مهمتى أن أصل بالذبذبة إلى الدرجة المطلوبة ، وعلى (نشوى) أن تتابع الذبذبة ، حتى تبلغ اللحظة المناسبة ، ليتم إيقافها على نحو حرج .

سألها فى عصبية :

ـ وماذا سيحدث عندئذ ؟!

فرقع (رمزى) سبابته وإبهامه ، قائلاً :

ـ سيُغلق طريق النجوم على الفور .

ازدرد (أكرم) لعابه ، مغمغمًا :

ـ وماذا عنا ؟!

سألته (سلوى) :

ـ ماذا تعنى ؟!

أشار بيده ، قائلاً فى عصبية :

ـ أعنى ما موقفنا ، فى اللحظة التى سيتم فيها إغلاق طريق النجوم ؟! فى أى جانب سنكون عندئذ .

تبادل (نور) و(سلوى) و(نشوى) نظرة متوترة ، قبل أن تجيب (نشوى) :

- فى نفس اللحظة ، التى سنبدأ فيها خطوتنا الأخيرة ، ستنطلق عبر أسطوانة صوتية خاصة ، فى محاولة للعودة إلى عالمنا .

سألها (رمزى) :

- وما احتمال نجاحنا فى هذا ؟!

ازدردت لعابها ، قبل أن تجيب فى عصبية :

- ليس كبيرًا .

سألها (أكرم) فى حدة :

- كم ؟!

ازدردت لعابها مرة أخرى ، وانخفض صوتها كثيرًا ، وهى تجيب :

- واحد فى المائة .

تراجع (رمزى) بحركة حادة ، واتسعت عينا (أكرم) عن آخرهما ، وانعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يقول :

- لقد انطلقنا ، وجميعنا يعلم أنها مهمة انتحارية .. أليس كذلك ؟!

تمتم (أكرم) :

- بالتأكيد .

ثم أشار إلى (نشوى) ، قائلاً :

- هيا .. واصلى عملك ، على بركة الله (سبحانه وتعالى) ..

ضغطت (نشوى) أزرار الكمبيوتر فى سرعة ، وغمغمت :

- يمكنك إطلاق الذبذبة بعد عشر ثوان ، أو ...

بترت عبارتها بغتة ، وهى تطلق شهقة قوية ، جعلت الجميع يهتفون فى آن واحد :

- ماذا حدث ؟!

تراجعت بدورها ، وهى تشير إلى الكمبيوتر ، هاتفة :

- أليس من المفترض أن أجهزة المكوك كلها تمت إعادة برمجتها ثانية .

قال (نور) فى توتر :

- بالتأكيد .

ارتجفت سبابتها المشيرة إلى الكمبيوتر ، وهى تقول :

ـ ولكنه هنا .

سألها (أكرم) ، فى قلق حائر :

ـ من هو ؟!

ارتجف صوتها مع سبابتها هذه المرة ، وهى تجيب :

ـ الجاسوس .

ومع آخر حروف كلماتها ، ارتجَّ المكوك كله فى عنف ..

ثم انشق الفضاء عن المقاتلات ..

عشر من مقاتلات للغزاة دفعة واحدة ، أحاطت بالمكوك ، والتفتت إليه بكل أسلحتها ..

وكل شراستها .

* * *





ارتجف صوتها مع سبابتها هذه المرّة ، وهى تجيب :

ـ الجاسوس ..

٥ ـ أسرى الفضـاء..

مسحت (مشيرة محفوظ) ، صحفية أنباء الفيديو الشهيرة دموعًا ، بدأت تنحدر من عينيها ، وهى تقف فى موقع المذبحة ، على كورنيش (الإسكندرية) ، وتمسك (ميكروفون) البث بيد قوية مرتجفة ، قائلة :

ـ سيداتى سادتى .. شاهدوا (أنباء الفيديو) فى كل مكان .. إننا نتحدثُ إليكم من ساحة القتال.. معذرة .. من المذبحة التى صنعها غزاة الفضـاء بمواطنينا الأبرياء .. غزاة الفضاء .. دعونا نتوقّف طويلاً عند هذا المصطلح!! أهذا بالفعل من عمل غزاة فضائيين؟! هل تواجه الأرض شبح احتلال جديد ؟! هل سنحيا مرة أخرى ذلك الجحيم ، الذى لم تتلاش آثاره كلها بعد ؟! ها هى ذى (القاهرة) القديمة ، على بعد أمتار قليلة منا ، شاهدة على ما فعله بنا غزو سابق .. حتى بعد رحيل الغزاة .. صدقونى .. إننى أشارككم الرعب نفسه .. لا يمكننى أن أتصورُ ما يمكن أن يحدث ، لو بلينا بغزو جديد .. لا يمكننى أن أتخيّل ..

« لقد توقّف البثّ .. »

ارتفع صوت مساعدها بالعبارة ، فى عصبية شديدة ، فانعقد حاجباها فى توتر شديد، وهى تهتف :

ـ ماذا تعنى بأن البث قد توقّف ؟! من جرؤ على إيقافه ؟!

انفرجت شفتا مساعدها ؛ ليجيب السؤال ، ولكن صوتًا صارمًا انبعث من خلفه ، يقول :

ـ أنا .

أدارت عينيها فى سرعة إلى مصدر الصوت ، ثم انعقد حاجباها فى شدّة ، عندما وقع بصرها على رجل ممشوق القامة ، عريض المنكبين ، حاد القسمات ، تقدّم نحوها ، وهو يقدّم نفسه فى صرامة ، قائلاً :

ـ العميد (أشرف لبيب) .. من هيئة الأمن القومى .

قالت فى عصبية :

ـ تشرّفنا .. والآن لماذا أوقفت البث ؟!

أجابها فى برود لا يخلو من الحزم :

ـ أمن الدولة يحتم هذا .

صاحت فى غضب :

- أمن الدولة ؟! أى أمن وأية دولة ؟! وما صلة أمن الدولة بما نقول ؟! إننا نصف حادثة يعرفها الجميع ..

أجاب فى صرامة :

- بل تنقلون صورة بشعة للمواطنين ، على نحو يكفى لإصابتهم برعب هائل ، نحن فى غنى عنه ، فى هذه الظروف .

هتفت محنقة :

- ننقل ماذا ؟! لو أنك لا تعلم فالأمر لم يعد بحاجة إلى نقل أية صورة يا هذا .. إنه حدث عالمى .. كل قارة فى العالم أصابها ما أصابنا ،وكلها تبثّ ما حدث ، عبر أقمار صناعية ، تنقله إلى العالم أجمع ، فلماذا نتخلف عن الركب .

صاح فى صرامة شديدة :

- أى ركب يا سيدة (مشيرة) ؟! إننا ..

قبل أن يتمّ عبارته ، انبعث أزيز جهاز الاتصال الخاص فى جيبه ، فالتقطه فى سرعة ، قائلاً :

- العميد (أشرف لبيب) .

انعقد حاجباه ، وهو يستمع إلى محدثه فى اهتمام ، ثم احتقن وجهه ، وهو يتمتم :

- ولكن يا سيدى ..

بتر عبارته مرة أخرى ، وازداد احتقان وجهه أكثر ، وهو يغمغم :

- كما تأمر يا سيدى .. كما تأمر .

قالها ، وانعقد حاجباه فى غضب أكثر ، وهو يعيد جهاز الاتصال إلى جيبه ، ويلتفت إليها ، قائلاً فى حنق :

- فليكن يا سيدة (مشيرة) .. يمكنك مواصلة عملك .

انفغر فاها دهشة ، وهى تسأله :

- ماذا حدث ؟!

لوّح بذراعه هاتفًا ، وهو يغادر المكان فى عصبية :

- سليهم فى القيادة ؛ فهم الذين أصدروا الأمر بهذا .

هتفت :

- حقًا ؟!

لم يجب تساؤلها ، وهو يثب فى سيارته ، وينطلق بها مبتعدًا ، فلوّحت هى بذراعها لمساعدها ، هاتفة :

ـ هيا يا رجل .. أعد البث .

ضغط بضعة أزرار ، ثم أشار إليها بإبهامه ، فهتفت عبر الميكروفون :

ـ سيداتي سادتي .. هنا (مشيرة محفوظ) ، تعود إليكم من موقع الأحداث ، بعد انقطاع قصير ، خارج عن إرادتنا.. وصدقوني أيها السيدات والسادة ، فعلى الرغم من كل ما حدث ، ومن عشرات القتلى والمصابين ، الذين أسفرت عنهم المواجهة الأولى مع الغزاة ، إلا أن ما حدث ، خلال فترة الانقطاع القصيرة ، يؤكد أننا على مشارف عصر جديد .. عصر صرنا فيه أقرب إلى النصر .. ألف مرة .

قالتها على نحو انتفضت معه قلوب كل سكان الأرض ..

ووُلدتْ معه ثورة جديدة فى الأعماق ..

ثورة مفعمة بالحماس ..

والأمل ..

* * *

انهمك العالم المسئول عن المكوك (ابن ماجد) ، فى مراجعة بعض أوراقه ومستنداته ، وملفاته

المخزَنة على الكمبيوتر ، واستغرقه هذا تمامًا ، حتى إن جسده كله قد انتفض فى عنف ، عندما أتاه صوت الدكتور (جلال) من خلفه ، متسائلاً :

ـ أما زلت تستخدم جهاز الكمبيوتر القديم ؟!

استدار فى سرعة إلى مصدر الصوت ، والتقط نفسًا عميقًا لتهدئة أعصابه ، قبل أن يهتف :

ـ دكتور (جلال) ؟! لقد أفزعتنى .

كرَّر الدكتور (جلال) سؤاله فى صرامة :

ـ لماذا تستخدم الكمبيوتر القديم ؟!

هزَّ العالم كتفيه فى ارتباك ، مجيبًا :

ـ لقد اعتدت استخدامه ، ثم إنه يحوى عشرات البرامج والـ ...

قاطعه الدكتور (جلال) فى حدة :

ـ قل لى يا رجل : هل استخدمت هذا الكمبيوتر ، فى إعادة برمجة المكوك (ابن ماجد) .

تردَّد الرجل لحظة ، قبل أن يجيب :

ـ الواقع أن ..

صاح به الدكتور (جلال) :

ـ هل استخدمته أم لا ؟!

ازدرد العالم لعابه فى توتر ، وقال :

ـ لقد أردت إنجاز العمل بسرعة أكبر ، و ...

قبل أن يتمّ عبارته ، انقضّ عليه الدكتور (جلال) فى عنف غاضب ، وجذبه من سترته ، ليرفعه عن الأرض بمقدار عشرة سنتيمترات ، ويلصقه بالجدار فى قوة ، وهو يصرخ فى وجهه :

ـ أيها التعس .. ألا تدرك ما فعلته .. ألا تدرك أية مصيبة تسببت فيها .

اتسعت عينا العالم فى هلع ، وهو يهتف :

ـ كان الوقت ضيقًا ، و ...

قاطعه بصيحة هادرة :

ـ أى وقت أيها التعس ؟! أى وقت ؟! إنك لا تدرك ما فعلته بإهمالك وتجاهلك الأوامر على هذا النحو ..

ثم تركه يسقط أرضًا ، وهو يضيف فى مرارة :

ـ لقد تسببت فى إفساد وتدمير آخر أمل لنا ، فى مواجهة ذلك الغزو الرهيب .

اتسعت عينا الرجل ، فى هلع أكثر ، وهو يردد ، وقد أدرك فداحة ما فعل :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

هزّ الدكتور (جلال) رأسه فى حدة ، قائلاً :

ـ ادع الله على الأقل ، أن يعيد إلينا خيرة شبابنا ، الذين وضعهم إهمالك فى موقف بائس رهيب .

غمغم العالم ، وهو ينهض من سقطته :

ـ أتقصد (نور) وفريقه ؟! ولكنك لم تحبهم أبدًا .. لقد أخبرتنى أكثر من مرة أنك تبغض غرورهم ، وإحساسهم الزائف بالتفوّق ، و ...

هوى الدكتور (جلال) على وجهه بلكمة قوية مباغتة ، وهو يصرخ :

ـ أيها الغبى .

اتسعت عينا العالم فى ذهول ، وهو يتراجع فى عنف ، ورأسه يرتطم بالجدار خلفه ، قبل أن يسقط فاقد الوعى ..

وبكل مرارة الدنيا ، أخفى الدكتور (جلال) وجهه بين كفيه ، متمتمًا فى مرارة :

ـ ساعدهم يا إلهى ! ساعدهم .

وهزّ رأسه فى قوة ، مستطردًا :

ـ ساعد الأرض كلها .

وبعد قوله هذا ، اختنقت الكلمات فى حلقه .. بشدّة ..

* * *

خفقت قلوب الجميع فى عنف ، عندما أحاطت بهم مقاتلات الغزاة ، وخيِّل إليهم أن خيوط الليزر ستنهال عليهم من كل صوب ، دون شفقة أو رحمة ، كما أنبأتهم مذكرات شبيه (نور) ، و ...

ولكن شيئًا من هذا لم يحدث ..

لقد أحاطت بهم مقاتلات الغزاة ، الشبيهة بالنحل العملاق ، وتوقفت حولهم فى الفضاء ، دون أية بادرة للهجوم ، فغمغم (أكرم) فى عصبية :

- ما الذى يسعى إليه هؤلاء الأوغاد بالضبط ؟! إرهابنا ؟

أشار إليه (نور) ، قائلاً :

- بل أكثر من هذا بالتأكيد ، فقد توقفت كل أجهزة المكوك .

اتسعت عيونهم فى ارتياع ، وهتف (رمزى) :

- ربّاه ! أتعلمون ما الذى يعنيه هذا ؟!

لم يعلِّق أحدهم على سؤاله ، فتابع فى حزم عصبى :

- إنهم سيعيدون ما فعله أقرانهم ، فى العالم الآخر .

ومع آخر حروف كلماته ، بدأ المكوك يتحرك ، وسط المقاتلات المحيطة به ، نحو ثغرة بدأت تتكوّن فى الفضاء ، فتشبثت (نشوى) بزوجها ، هاتفة :

- (رمزى) .. ماذا سيفعلون بنا ؟!

ضمها إليه فى قوة ، مجيبًا :

- لست أدرى يا حبيبتى .. لست أدرى .

ثم انعقد حاجباه فى شدّة ، وهو يضيف :

- ولكن أحدًا لن يمس شعرة واحدة منك بسوء ، ما دمت على قيد الحياة .

وانتفض جسدها الضئيل بين ذراعيه ، عندما نطق عبارته هذه ..

لقد استعاد ذهنها ما نقله إليهم (نور) العالم الآخر ..

وفى أعماقها ، هتفت :

- المهم أن تظلّ على قيد الحياة .

ومع هتافها ، الذى لم يسمعه أحد ، عبر المكوك تلك الثغرة الفضائية ، محاطًا بمقاتلات الغزاة ..

وعلى الرغم من أن الكل كانوا يتوقعون ما سيواجههم ، فقد اتسعت عيونهم جميعًا فى انبهار، وهم يحدقون فيما أمامهم ..

فعلى الرغم من اتساع الفضاء ولا نهائيته ، بدت سفينة الغزاة أمامهم هائلة إلى حد مخيف ، لا يمكن تخيله ..

كيان هائل عملاق ، فى حجم كوكب كامل ، يسبح فى الفضاء ، محاطًا بأعداد مهولة من المقاتلات ، يكاد يبلغ المليون مقاتلة ، على أدنى تقدير ..

ولثوان ، لم ينبس أحدهم ببنت شفة ، والمكوك يسبح ، محاطًا بمقاتلات الغزاة ، نحو فجوة مضاءة ، فى سفينة الغزاة ، التى تتكون من عدة كرات معدنية عملاقة ، تربطها ممرات ضخمة بعضها بالبعض ، على نحو يبدو لا نهائى ..

وفى خفوت ، تمتم (نور) :

- من الواضح أن الزاوية التى ننطلق بها ، تتيح لنا رؤية أفضل لسفينة الغزاة ، فنحن نرى تفاصيل لم يذكرها شبيهى قط .

غمغمت (سلوى) :

- أو أنها سفينة أخرى .

انعقد حاجباه فى شدة ، وهتفت (نشوى) مذعورة :

- سفينة أخرى ؟! أمن الممكن أن تكون هناك سفينة أخرى ، بهذا الحجم الهائل ؟!

بدا (أكرم) شديد العصبية ، وهو يقول :

- الآن أصبحت أعتقد أن كل شىء ممكن .

تمتم (رمزى) :

- صدقت .

وفى بطء عجيب ، ووسط صفين من المقاتلات الفضائية ، راح مكوك الفضاء الأرضى ينساب ، نحو تلك الفجوة المضيئة ، التى بدأت ملامحها تتضح أكثر وأكثر ، وبدا داخلها ممر واسع مصقول ، يمتد إلى مسافة كبيرة ، ويتسع لهبوط عشر مقاتلات متجاورة ..

وفى نعومة مدهشة ، عبر المكوك ذلك الممر ، وراح ينطلق فيه لمسافة متر تقريبًا ، تحيط به مقاتلات الغزاة ، حتى بلغ مساحة واسعة ، تتوسطها دائرة كبيرة ، هبط وسطها تمامًا ، قبل أن ينبعث من أجهزة اتصاله صوت عجيب ، أشبه بطرقات معدنية ، جعل (أكرم) يتمتم فى حدة :

- ما هذا بالضبط ؟! هل سيأتى الإمبراطور الآلى شخصيًا للترحيب بنا ؟!

هزّ (نور) رأسه فى بطء ، قائلاً :

- لست أعتقد هذا .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى تحولت تلك الطرقات المعدنية إلى صوت آلى ، يقول :

- أنتم الآن فى حضرة الإمبراطور .. غادروا مركبتكم على الفور .

قال (رمزى) فى توتر :

- آه .. نفس ما جاء فى مذكرات شبيهك يا (نور) .. التاريخ يعيد نفسه .

أجابه (نور) فى حزم ، وهو يضغط زر فتح باب المكوك :

- فى عالمنا ، لم يبدأ التاريخ بعد يا رجل .

كانت أجهزة المكوك تشير إلى أن الفجوة خلفهم ما زالت مفتوحة ، وعلى الرغم من هذا ، فالضغط والهواء والحرارة صالحون لخروجهم ، دون أزياء فضائية واقية خاصة ، فغادر جميعهم المكوك ، ووقفوا فوق امتداد أحمر ، أشبه ببساط من المعدن ،

وتمتمت (نشوى) فى عصبية ، وهى تحتضن ذراع زوجها :

- تُرى ماذا سيفعلون بنا ؟!

تمتم (أكرم) متوترًا :

- سنلتقى بإمبراطورهم المعدنى الحقير .

قال (نور) فى صرامة :

- اصمت .

أما (رمزى) فربّت على يد زوجته ، وهو يهمس فى أذنها بحنان مشفق :

- اطمئنى يا حبيبتى .. لن أسمح لهم بمس شعرة واحدة من رأسك ، حتى ولو ...

بتر عبارته بشهقة عصبية ، عندما ارتفع ذلك الصوت الآلى مرة أخرى بغتة ، عبر مكبرات صوت قوية هذه المرة ، ترددت فى القاعة الواسعة بعنف :

- اسجدوا للإمبراطور .

هتف (أكرم) فى غضب :

- أى إمبراطور ؟!

لم يكد يُطلق صيحته ، حتى انطفأت الأنوار فجأة ، وساد ظلام دامس ، هتفت خلاله (سلوى) فى ذعر :

ـ رباه ! ذلك الشيء الذى نقف فوقه يتحرك .

احتضنها (نور) فى قوة ، ليبث فى نفسها شيئًا من الطمأنينة ، وهو يقول فى شيء من التوتر :

ـ كنا نتوقع هذا .

أخفت رأسها فى صدره ، وكأنما تخفى معها خوفها وذعرها ، وهى تتمتم :

ـ هذا صحيح .. هذا صحيح ..

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يحاول اختراق الظلام ببصره ، وعقله يعيد طرح الأسئلة السابقة كلها دفعة واحدة ..

لماذا هذا الظلام ؟!

لماذا ؟

لماذا ؟!

ومع تساؤله ، سطعت الأضواء فجأة فى وجوههم ، على نحو أغشى أبصارهم جميعًا لثوان ، قبل أن يفتحوا عيونهم ، ويحدقوا فيما أمامهم بذهول تام ..

فهناك ..

وعلى بعد أمتار قليلة منهم ، كان ينتصب ذلك العرش العملاق ، بارتفاع ثلاثة أمتار ، وعرض مترين كاملين ..

وفوق ذلك العرش ، كان يجلس الإمبراطور ..

إمبراطور الغزاة الرهيب ..

والآلى ..

* * *

« الأمريكيون واليابانيون قرروا الاستسلام .. »

نطق وزير الدفاع المصرى العبارة فى توتر ، جعل رئيس الجمهورية يهب من مقعده ، ويحدق فيه بدهشة ، هاتفًا :

ـ ماذا ؟! ولكن لماذا يتخذون قرارًا كهذا ؟! لقد اشتبكنا مع مقاتلات العدو بالفعل ، وأسقطنا بعضها ..

هز وزير الدفاع رأسه ، قائلاً :

ـ ليس فى كل الجبهات يا فخامة الرئيس ، كما أن الاشتباك لم يمنع من سقوط ضحايا ومصابين ، بلغ عددهم نصف المليون تقريبًا ، ثم إن الأمريكيين واليابانيين فحصوا المقاتلات ، التى تم إسقاطها ، وأدركوا أنها مقاتلات آلية ، تقاتل بلا طيارين ، مما يجعل مواجهتها شبه يائسة ، أمام بشر يقاتلون بمشاعرهم وانفعالاتهم ..

هتف رئيس الجمهورية فى دهشة :

- ولكننا أخبرناهم كل ما لدينا ، وأبلغناهم أن الغزاة سيبيدون المستسلمين بلا رحمة .

زفر وزير الدفاع ، متمتمًا :

- من الواضح أنهم لا يصدقوننا .

لوّح الرئيس بذراعه ، هاتفًا :

- ارسل إليهم نسخة من كل ما لدينا .. أثبت لهم أننا نسعى لصالحهم فحسب ..

زفر الوزير مرة أخرى ، قائلاً :

- لقد فعلت .

اتسعت عينا الرئيس ، وهو يسأله :

- ولم يصدّقوا ؟!

هزّ وزير الدفاع رأسه نفيًا فى أسف ، فتراجع الرئيس ، وترك جسده يسقط على مقعده ، وهو يغمغم :

- يا للتعساء !

أشار وزير الدفاع بيده ، قائلاً :

- خبراؤهم رأوا أنه لو أن هدف الغزاة الرئيسى هو إبادة كل صور الحياة على الأرض ، لما انسحبت مقاتلاتهم الآلية ، التى تبقّت بعد الاشتباك ، ولواصلت

القتال حتى النهاية ، باعتبار أنها لن تحافظ على حياة لا تمتلكها .

قال الرئيس :

- ربما تحافظ على كفاءة عددية أو قتالية .

هزّ الوزير رأسه ، قائلاً :

- يرون أن هذا غير منطقى ، فى ظل الكم الهائل من المقاتلات ، الذى أشارت إليه مذكرات (نور) العالم الآخر ، والذى يكفى لسحق قارة كاملة فى دقائق معدودة .

انعقد حاجبا الرئيس بضع لحظات ، قبل أن يقول :

- فى هذه النقطة أظنهم على حق ، فالأمر محيّر بالفعل .

قال الوزير فى توتر :

- رجال المخابرات العلمية أنفسهم يشعرون بالحيرة ذاتها .. وخبراؤنا أيضًا فى الواقع ، وخاصة وهم يعيدون دراسة كل التفاصيل ، التى جاء بها ذلك الشبيه المعكوس ، فأغرب ما فى الأمر ، هو أن غزاة العالم الآخر كانوا يهاجمون الدول فرادى ، وبأعداد محدودة من المقاتلات .. صحيح أنها تفوق مجموع

ما لدى تلك الدول من مقاتلات ووسائل دفاع ، إلا أنها ما تزال محدودة ، نسبة إلى العدد الهائل ، الذى جاء وصفه .

تساءل الرئيس :

ـ ربما لا يمكنهم اختراق طريق النجوم بأعداد كبيرة .

هزّ الوزير رأسه نفيًا ثانية ، وهو يقول :

ـ الخبراء نفوا هذا الاحتمال تمامًا يا سيادة الرئيس .

ازداد انعقاد حاجبى الرئيس ، وهو يقول :

ـ ما السبب الحقيقى إذن ؟!

صمت الوزير بضع لحظات ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ لا أحد هنا يدرى ما السبب .

ثم أشار بيده إلى أعلى ، مستطردًا :

ـ ربما يحصل من هناك على الجواب .

ردّد الرئيس متسائلاً :

ـ من هناك ؟!

أومأ وزير الدفاع برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ نعم يا فخامة الرئيس .. إننى أقصد رجل

المخابرات العلمية (نور الدين) وفريقه ، الذين يواجهون الخطر الحقيقى الآن فى الفضاء ، والذين سيحملون إلينا الكثير من الحقائق والمعلومات ، عندما يعودون إلينا .

ثم انعقد حاجباه فى شدّة ، وهو يضيف :

ـ هذا لو عادوا إلينا .

حدّق الرئيس فى وجهه بضع لحظات فى صمت ، قبل أن يتراجع فى مقعده ، متمتمًا :

ـ نعم .. إذا عادوا إلينا .

وفى أعماقه ، ارتبطت العبارة بمزيج عجيب من القلق ، والخوف ، و ...

والشك ..

* * *

لنصف دقيقة كاملة ، حدّق (نور) ورفاقه فيما أمامهم بدهشة وانبهار كاملين ..

وكان الأمر يستحق بالفعل ..

فعلى الرغم من أن كلاً منهم كانت لديه الصورة كاملة ، إلا أن مواجهة ذلك العملاق الآلى مباشرة ، كانت أمرًا يختلف تمامًا .

ليس من السهل أبدًا أن ترى أمامك شخصًا آليًا ، يبلغ ارتفاعه خمسة أمتار كاملة ، له رأس معدنى ، تتوسطه عين واحدة كبيرة ، تتحرك لتسبر وجوههم وأغوارهم جميعًا ..

ومرة أخرى ، ارتفع ذلك الصوت الآلى ، يقول :

ـ اسجدوا للإمبراطور .

شدّ (نور) قامته ، وهو يقول فى صرامة :

ـ السجود لله (سبحانه وتعالى) وحده .

كرّر الصوت الآلى ، وكأنما لا يبالى بتعليق (نور) :

ـ اسجدوا للإمبراطور .

قال (أكرم) فى عصبية ، وهو يتحسس مسدسه فى حذر :

ـ ألم تسمع ما قاله قائدنا أيها الوغد؟! السجود لله (سبحانه وتعالى) وحده .. وليس للبشر ، فما بالك بالآلات ؟!

كرّر الصوت فى رتابة :

ـ اسجدوا للإمبراطور .

ومع القول ، تحركت العين الواحدة للآلى العملاق ، وكأنها تفحص وجوه الجميع ، وتدرس ردود أفعالهم المتوقعة ، فقال (رمزى) فى حدة :

ـ من الواضح أنكم تعيشون فى وهم كبير .. إننا لن نسجد لإمبراطوركم المعدنى هذا أو سواه ، ولن ..

تألقت عينا (نور) بغتة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يمسك يد (رمزى) فى قوة ، ليمنعه من الاستمرار ، وهو يقول فى حزم :

ـ بل سنفعل .

التفت إليه الجميع فى دهشة بالغة ، وهتفت (سلوى) مذعورة مستنكرة :

ـ ماذا تقول يا (نور) ؟!

أجاب فى هدوء عجيب ، وهو يرفع عينيه إلى الآلى العملاق :

ـ وهم .. كل هذا مجرد وهم .

بدا مزيج من الدهشة والحيرة على وجوههم ، وغمغم (أكرم) :

ـ ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟!

أجابه (نور) بنفس الهدوء العجيب :

ـ إنها آخر كلمات شبيهى المسكين .. كله مجرد وهم .

غمغم (أكرم) فى توتر :



ومع قوله ، انطلق شعاع ليزر من مسدسه .. نحو عين الآلى العملاق مباشرة ..

ـ لم أفهم شيئاً .

وفى اللحظة نفسها ، تعالى الصوت الآلى مكرّراً :

ـ اسجدوا للإمبراطور .

ارتسمت ابتسامة غامضة عجيبة على شفتى (نور) ، وهو يقول :

ـ الإمبراطور ؟! بالتأكيد .. إننا سنقدّم للإمبراطور الآلى العظيم كل ..

وسحب مسدسه الليزرى فى سرعة ، هاتفاً :

ـ كل اعتراضنا .

ومع قوله ، انطلق شعاع ليزر من مسدسه .. نحو عين الآلى العملاق مباشرة ..

وفى نفس اللحظة التى تحطّمت فيها العين الواحدة، صرخ (رمزى) :

ـ يا إلهى ! ماذا فعلت يا (نور) ؟!

صاح (نور) ، وهو يجذب زوجته وابنته ، بعيداً عن البساط المعدنى الأحمر اللامع :

ـ فيما بعد يا (رمزى) .. سأشرح لكم كل شىء فيما بعد .

وعلى الرغم من إصابته المباشرة ، لم يحرك الآلى العملاق ساكناً .

ولكن صوتًا أشبه بزمجرة ثائرة عنيفة انطلق فى القاعة ..

وعلى جانبى العرش الهائل، انفتح بابان صغيران..

واندفعت عبرهما عشرات من الأجسام الصغيرة ، الشبيهة بالبعوض ، والتى انطلقت نحو أفراد الفريق مباشرة ، وأجنحتها المعدنية تخفق بصوت مخيف ، وإبرها الطويلة الممتدّة من رءوسها ، تسعى للانغراس فى أجسادهم ، فى نفس اللحظة التى كرّر فيها الصوت المعدنى ، وكأنه لا يدرك ما حدث :

ـ اسجدوا للإمبراطور .

وتراجع أفراد الفريق كلهم فى سرعة ..

فما يحدث أمامهم ، كان صورة طبق الأصل ، مما رواه (نور) العالم الآخر ..

ولكن النتائج ستختلف حتمًا ، كما اختلفت كل الظروف الأخرى من قبل ..

وهذا يعنى أنه من المحتمل أن تكون هذه هى النهاية ..

نهاية فريق (نور) ..

بأكمله .

* * *

٦ ـ الخطة الثانية ..

« سيداتى سادتى .. هنا (مشيرة محفوظ) .. تتحدثُ إليكم من شبكة (أنباء الفيديو) .. »

تردَّد صوت (مشيرة) فى كل منزل فى (مصر) ، من أقصاها إلى أقصاها ، عبر شاشات الهولوفيزيون وأجهزة التلفاز العادية ، والكل يتابعها فى لهفة قلقة ، مع استطرادتها ، وهى تشير إلى شاشة كبيرة خلفها :

ـ كما ترون ، فالاستعدادات تتم ، على قدم وساق، فى كل شبر من مصرنا العظيمة ، استعدادًا لملاقاة الغزاة .. كل رجل وامرأة وطفل وشيخ يستعد لمواجهتهم ، بكل قوته وإصراره وحزمه وعزمه ، وإرادته وأمله .. لن نسمح لهم بغزونا مرة أخرى قط .. لن نستسلم .. لن نستسلم أبدًا ..

ارتجفت قلوب الجميع ، مع كلماتها الحماسية ، والشاشة خلفها تنقل صور الاستعدادات، فى كل أنحاء (مصر) ، قبل أن تتغيَّر الصورة ، وتنقل الشاشة

مشهد البيت الأبيض الأمريكي ، وقد وضعت على أرضية حديقته لوحة عملاقة ، كتب عليها :

ـ نحن نستسلم .. نريد السلام لا الحرب .

وحول اللوحة وقف الرئيس الأمريكي ، ونائبه ، وطاقم وزرائه ومساعديه ، وكلهم يتطلعون إلى السماء فى قلق شديد ..

وفى أسف وأسى ، تابعت (مشيرة) :

ـ المؤسف أن روح المقاومة هذه ليست القاسم الأكبر ، فى كل دول العالم .. العديدون انهاروا قبل الأوان ، وقرروا الاستسلام للغزاة ، قبل حتى أن تتبين قوتهم الحقيقية .. وبالذات تلك الدول ، التى قضت ردحًا طويلاً من الزمن ، وهى تتعامل بمنطق القوة وحدها ، بغض النظر عن العدل والحق ، والمساواة .. الدول التى ظلت مثالاً للظلم والبغى ، والكيل بمكيالين .. كلها قررت الاستسلام ؛ لأنها تصورت أن الخصم أكثر قوة ، وهى لا تؤمن إلا بمنطق القوة .. القوة وحدها .

ثم التقى حاجباها ، وبدت أشبه بصورة مجسمة للإصرار والصمود والصلابة ، وهى تهتف :

ـ أما نحن فسنقاوم ، ونستمر ، ونقاتل ، ونناضل .. حتى آخر قطرة دم فى عروقنا ، وآخر نفس يتردد فى صدورنا .. سنستمر ، ونقاوم ، ونقاتل ، ونناضل ، حتى آخر مواطن ، يحمل فى خانة جنسيته اسم (مصر) .. (مصر) الصامدة .. المناضلة .. المقاتلة إلى الأبد .

وراح جسدها يرتجف ، من فرط الحماس والانفعال ، وبحّ صوتها واختنق ، وهى تنهى برنامجها ، قائلة :

ـ كانت معكم (مشيرة محفوظ) ، من شبكة (أنباء الفيديو) .. ظلوا معنا ، فسنتابع الأحداث أولاً فأولاً .

توقف البث المباشر وساد قاعة التصوير الرئيسية، فى شبكة (أنباء الفيديو) صمت تام، لم يلبث أن تحول بغتة إلى عاصفة من التصفيق ، ومساعد (مشيرة) الأول يهتف ، بكل حماس الدنيا :

ـ رائع يا سيدة (مشيرة) .. رائع .. لقد تفوقت على نفسك حقًا هذه المرة .

أشارت إليه بيدها ، قائلة فى توتر :

ـ لا أريد أية مجاملات .. سأكتفى بقدح من القهوة ، وبآخر التقارير المصورة ، الواردة من مواقع الأحداث .

كانت تتجه إلى حجرة مكتبها فى خطوات سريعة

واسعة ، عندما استوقفها العميد (أشرف) فجأة ، قائلاً فى توتر :

ـ سيدة (مشيرة) .

التفتت إليه فى حدة ، قائلة :

ـ حسن .. ماذا تريد هذه المرة ؟!

بدا أكثر توترًا ، وهو يقول :

ـ أردت أن أقول : إن هذا كان رائعًا .

بُهتتْ للجواب ، فحدقت فى وجهه ، قائلة :

ـ ماذا ؟!

انعقد حاجباه ، وكأنما لا يروق له ما سيقوله ، وهو يجيب :

ـ أقول : إن هذا كان رائعًا.. لقد تحدثت بحماس .. أظنه أشعل رغبة الجميع فى المقاومة والقتال .. لقد حققت ما نعجز كلنا عن تحقيقه ، مهما قلنا ، وفعلنا ، وتصورنا أننا نؤدى واجبًا مقدسًا .

حدقت فى وجهه مرة أخرى ، قائلة :

ـ أتدرك ما تقول جيدًا ؟!

لم يرق له سؤالها ، فأشاح بوجهه ، متمتمًا :

ـ بالتأكيد .

ثم استدار بأسلوب عسكرى محض ، وغادر المكان

فى خطوات أسرع مما ينبغى وهى تتابعه ببصرها فى دهشة ، قبل أن تهزّ رأسها ، مغمغمة فى عصبية :

ـ عجبًا ! يبدو أن الشدائد تصنع المعجزات بالفعل.

قالتها ، ودلفت إلى مكتبها، وألقت جسدها المرهق، من فرط الانفعال ، على أقرب مقعد إليها ، وهى تهتف فى عصبية :

ـ أين قدح القهوة ؟

كان الكل يتصوّرون أن منشأ انفعالها الرئيسى ، هو محاولتها بث الحماس فى قلوب الجميع ، ولكن لو اقترب منها أحدهم ، فى تلك اللحظة ، وهى تجلس وحيدة فى حجرة مكتبها ، لرأى دموعها تغرق وجهها ، ولسمعها تهمس ، بكل لوعة الدنيا :

ـ يا رب .. أعده إلىّ سالمًا .. أعد إلىّ زوجى الحبيب.

ثم تنخرط فى بكاء حار .. جدًا .

* * *

لم تكد تلك البعوضات الآلية تنقضّ على (نور) ورفاقه ، حتى هتف فى صرامة ، وهو يطلق أشعة مسدسه نحوها :

ـ تراجعوا .. إلى المكوك بأقصى سرعة .

هتفت (نشوى) ، وهى تعدو مذعورة :

ـ وأين المكوك ؟!

انتزع من حزامه مسدسًا آخر ، وألقاه إلى (رمزى) ، هاتفًا :

ـ ليس بعيدًا .

التقط (رمزى) المسدس فى خفة، وعلى الرغم من أنه ليس مقاتلا ، فقد تحرك بسرعة مدهشة ، فى تناسق بالغ الدقة، مع (نور) و(أكرم) ، ليصنع ثلاثتهم من أجسادهم مثلثًا مقاتلا ، يحمى داخله (سلوى) و(نشوى) ، والجميع يتحركون فى سرعة ، نحو أحد جدران القاعة ، والرجال الثلاثة يطلقون النار على البعوض الآلى ، الذى ينقضّ عليهم من كل صوب ..

وبكل ذعرها وهلعها ، هتفت (سلوى) :

ـ لن ننجو يا (نور) .. ستنطفئ الأنوار الآن ، وينقضّ علينا هذا البعوض الآلى بلا رحمة .

أجابها فى صرامة :

ـ لن تنطفئ الأنوار هذه المرة .

نطقها ، وهو يدير فوهة مسدسه مرة أخرى نحو ذلك الآلى العملاق ، ثم استطرد فى حزم :

ـ لن نسمح لهم بإطفائها .

وانطلقت خيوط الأشعة تنسف بقايا العين الواحدة ، فى منتصف رأس الآلى العملاق ، الذى لم يتحرك من مكانه ، وراحت تضرب عنقه مرة ..

وثانية ..

وثالثة ..

وفى عصبية محتدة ، هتف (أكرم) :

ـ ماذا تفعل بالله عليك يا (نور)؟! إنه لا يهاجمنا.. هم يفعلون ..

أجابه (نور) فى صرامة ، وهو يطلق مسدسه الليزرى مرة رابعة :

ـ الكل يهاجمنا .

ومع قوله ، أصابت الأشعة منتصف عنق الآلى العملاق .

ودوت فى المكان فرقعة قوية ، كادت تصمّ آذان الجميع ..

ثم هوى الرأس ..

ومع سقوطه ، توقف هجوم البعوض الآلى دفعة واحدة ..

فجأة ، توقفت كل بعوضة فى موضعها ، وأجنحتها الآلية تخفق فى رتابة ..

ثم راح البعوض يحوم في المكان ، في حيرة آلية عجيبة ..

وانتقلت هذه الحيرة إلى أفراد الفريق ، و (نشوى) تسأل :

ـ ماذا حدث ؟!

تحرك (نور) في سرعة ، وراح يتحسس الجدار ، وهو يقول :

ـ فيما بعد .. سأشرح لكم كل شيء فيما بعد .. المهم الآن أن نعثر على المكوك .

قال (أكرم) في دهشة :

ـ المكوك ؟! ولكنه ليس هنا يا (نور) !! إنه في قاعة أخرى .

أجابه (نور) في حزم :

ـ بل هو هنا .

قالها ، وتراجع بضع خطوات ، ثم صوب مسدسه الليزرى إلى الجدار ، مستطردًا :

ـ بالتحديد .

ومع آخر حروف كلماته ، انطلقت أشعة مسدسه ، لتضرب ذلك الجزء من الجدار ، و ...

وارتج الجدار لحظة واحدة ..

ثم دار حول نفسه في سرعة متوسطة ..

وعلى الجانب الآخر منه ، بدا مكوك الفضاء ، وهو يدور في نعومة ، ليدخل نفس القاعة ، التي يقفون فيها .

وفي دهشة عارمة ، تراجع الجميع ، مفسحين الطريق للمكوك ، و (رمزى) يهتف :

ـ يا إلهى ! لقد كان هنا بالفعل .

تلفت (نور) حوله في توتر متحفز ، حاملاً مسدسه الليزرى ، حتى استقرّ المكوك في منتصف القاعة كما كان ، فهتف (نور) :

ـ هيا .

واندفع نحو المكوك ، وضغط زرًا إلى جوار بابه ، فانفتح في نعومة ، ووثب الجميع داخله ، فأسرع (نور) إلى جهاز الكمبيوتر ، وراح يضرب أزراره في سرعة ، وهو يهتف :

ـ (أكرم) .. أغلق باب المكوك .

نفذ (أكرم) ما طلبه (نور) ، وهو يقول في عصبية :

ـ (نور) .. ماذا يحدث بالضبط ؟! إننى لا أحتمل انتظار التفسير .

أجابه (نور) فى انفعال ، وهو يواصل العمل على أزرار الكمبيوتر فى سرعة :

ـ لا وقت للشرح والتفسير يا (أكرم) .. هناك أمر بالغ الأهمية ، لا بد أن أنجزه أولاً ، قبل أن يبدأ هؤلاء الأوغاد هجومهم .

اتسعت عيون (سلوى) و (نشوى) فى ارتياع ، وهتف (رمزى) :

ـ هجومهم ؟!

التفت إليه (نور) ، قائلاً فى توتر :

ـ ماذا تصورتم إذن ؟! أنهم سيتركوننا نفسد خطتهم البارعة كلها ، بهذه البساطة ؟!

تبادل الجميع نظرات شديدة التوتر ، قبل أن يهتف (أكرم) :

ـ ما زلت لا أفهم يا (نور) .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى دوت فرقعة قوية فى المكان ، وانهار الجدار المواجه للمكوك تماماً ، وظهر خلفه عشرة من المقاتلين الآليين ، يحملون مدافع ليزرية قوية ، ويتجهون نحو المكوك مباشرة ..

ودون إنذار أو إبطاء ، انطلقت حزم الليزر من المدافع القوية ..

ودوت الانفجارات داخل القاعة ..

بمنتهى القوة ..

* * *

كان الأمر عنيفاً ..

إلى أقصى حد ..

حزم الليزر ، التى أطلقها الآليون ، نسفت الجناح الأيمن للمكوك ، وأصابت إطاره الأمامى ، وحطمت نوافذه كلها ، فمال إلى الأمام ، وارتطمت مقدمته بالأرض فى عنف ، فهتفت (نشوى) مذعورة :

ـ رباه ! إنهم يهاجموننا فى عنف .

وصاحت (سلوى) فى هلع :

ـ (نور) .. يبدو أننا لن ننجو هذه المرة .

أجابها فى حزم شديد ، وهو يضغط آخر أزرار الكمبيوتر :

ـ ليس المهم أن ننجو .

ثم دفع جسده إلى اليسار ، وجذب ذراعاً صغيرة ، تحمل فوقها إشارة إلى خطورتها وسريتها ، وهو يكمل :

ـ المهم أن تنجو الأرض .

ومع جذب الذراع ، انفتحت فجوة صغيرة ، فى مؤخرة المكوك ، ووثبت عبرها كرة صغيرة ، فى حجم كرة التنس ، لها سطح معدنى داكن ، وانطلقت بسرعة مدهشة ، عبر الممر الطويل ، الذى اتضحت ملامحه ، مع دوران جدار القاعة حول نفسه ، وتجاوزت الفجوة فى نهايته ، لتواصل انطلاقها عبر الفضاء بسرعة مذهلة ..

ورصدت أجهزة سفينة الغزاة انطلاق تلك الكرة المعدنية ..

وسجلت حجمها وسرعتها واتجاهها ..

وأطلقت خلفها عشرات من خيوط الليزر ..

ولكن الكرة راوغت بمهارة مدهشة ..

وساعدها حجمها الصغير على الإفلات والمناورة ..

ثم فجأة ، انطلقت منها ذبذبة قوية ..

ذبذبة ارتجت لها سفينة الغزاة لحظة ..

وانفتحت ثغرة فى الفضاء ..

وعبرتها الكرة بسرعة مذهلة ..

ثم تلاشت الثغرة ..

تمامًا ..

وداخل المكوك نفسه ، لم يشعر رفاق (نور) بما حدث ، مع خيوط الليزر ، التى انهالت عليهم من كل صوب ..

وهتف (أكرم) ، وهو يندفع بمسدسه إلى الباب :

ـ هل سنظل حبيسين هنا ، ليقضى علينا هؤلاء الأوغاد ، كما لو كنا مجموعة من الفئران فى مصيدة ؟!

وفتح الباب فى حدة ، صائحًا :

ـ إننى أفضل الموت مقاتلاً .

هتف به (نور) :

ـ لا .. لا تفعلها أيها التعس .

لم يكد يتم عبارته ، حتى اندفعت عبر الباب كرات شفافة صغيرة ، بأعداد هائلة ، جعلت (سلوى) تصرخ :

ـ رباه ! ما هذا يا (نور) ؟! ما هذا ؟!

قفز (نور) إليها ، واحتواها بين ذراعيه ، محاولاً حمايتها من تلك الكرات الشفافة ، التى انتشرت فى كل مكان ، و ..

وفجأة ، تألقت كلها فى قوة ..

واتبعث منها ضوء مبهر ..

ومع الضوء ، انطلقت فى أجساد الجميع صاعقة قوية ، انتفضت لها أجسادهم فى عنف شديد ..

ثم سقطوا جميعًا فاقدى الوعى ..

وتلاشى الضوء ..

وفى بطء ، راحت الكرات الشفافة تسبح فوق الأجساد الفاقدة الوعى ، ثم انطلقت تلتصق بجدران المكوك ، فى نفس اللحظة التى برز فيها الآليون ، أشباه البشر ، حاملين مدافعهم الليزرية القوية ..

وصوّبوها كلها إلى أفراد الفريق ..

بلا استثناء ..

أو رحمة ..

* * *

« دكتور (جلال) .. هناك محاولة جديدة لاختراق فضائنا .. عبر طريق النجوم .. »

تردد ذلك النداء ، عبر جهاز الاتصال الخاص ، المحدود للغاية ، الذى يحمله الدكتور (جلال) فى ساعته ، فهبّ من مقعده ، فى حجرة القائد الأعلى ، وهو يهتف فى توتر بالغ :

ـ أين ؟! وكيف ؟! وما مدى الاختراق ؟!

أجابه صاحب النداء فى توتر :

ـ هذا ما يثير حيرتنا يا سيدى ، فالتردد والذبذبة مناسبان للاختراق تمامًا ، ولكن المدى صغير للغاية، حتى إنه لا يكفى لعبور مقاتلة واحدة ، من مقاتلات الغزاة ..

انعقد حاجبا الدكتور (جلال) ، وهو يتمتم :

ـ صغير للغاية .

أجابه المتحدث :

ـ ربما كان .. أحم .. الرفاق يعتقدون أنه قد يكون .. قنبلة .

قال الدكتور (جلال) فى حزم عجيب :

ـ كلا .. إنه ليس كذلك .

ثم أضاف بلهجة آمرة :

ـ تابعوا الموقف ، وانقلوا إلينا الصورة على الفور ، وانتظروا أية تعليمات جديدة .

قالها ، وأنهى الاتصال ، وقد انعقد حاجباه أكثر وأكثر ، فسأله القائد الأعلى فى قلق شديد ، وهو ينهض من خلف مكتبه :

ـ ماذا هناك ؟!

ضغط الدكتور (جلال) زرًا ، على سطح مكتب

القائد الأعلى ، فأضيئت شاشة كبيرة أمامه ، وهو يجيب فى حزم :

ـ (نور) وفريقه ما زالوا على قيد الحياة .

هتف القائد الأعلى :

ـ حقًا ؟!

ثم انعقد حاجباه ، وهو يسأل :

ـ ولكن كيف عرفت هذا ؟!

أشار الدكتور (جلال) إلى الشاشة الكبيرة ، التى نقلت صورة للسماء والسحب ، وهو يجيب :

ـ سترى بنفسك الآن .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى نقلت الشاشة فرقعة مكتومة ، انفتحت بعدها ثغرة فى السماء ، اندفعت عبرها كرة صغيرة ، فى حجم كرة تنس(*)، لها سطح معدنى داكن ..

(*) التنس : رياضة تمارس إما فى ملاعب داخلية ، أو فى الهواء الطلق ، من قبل شخصين أو أربعة أشخاص ، ويقسم الملعب إلى نصفين ، بوساطة شبكة عرضية ، ارتفاعها فى منتصفها ثلاثة أقدام ، وعند طرفيها ثلاثة أقدام ونصف القدم ، وتستخدم فيها مضارب خاصة ، وكرة من المطاط المنفوخ ، مغطاة بقماش خشن .

وبسرعة ، هتف الدكتور (جلال) ، عبر جهاز الاتصال :

ـ اتبعوها بسرعة .. لا تدعوها تفلت منكم .

تابعت آلات الرصد حركة الكرة فى سرعة ، وهى تندفع إلى أسفل ، فى مسار منحن ، فهتف القائد الأعلى فى عصبية :

ـ أريد تفسيرًا فوريًا لما يحدث .

أشار الدكتور (جلال) إلى الشاشة مرة أخرى ، وهو يجيب فى لهجة ، حملت انفعالاً واضحًا :

ـ هذه الكرة كانت خط الدفاع الثانى ، فى رحلة فريق (نور) الانتحارية .

سأله القائد الأعلى فى دهشة :

ـ ماذا تعنى ؟!

تابع الدكتور (جلال) عملية هبوط الكرة على الشاشة الكبيرة ، وهو يجيب :

ـ عندما بدأ (نور) رحلته الانتحارية مع فريقه ، كنا نعلم بأمر ذلك الجاسوس الإليكترونى ، ولكننا نجهل تمامًا ما إذا كان هناك جاسوس آخر أم لا ، لذا كان من الضرورى أن نضع خطة فرعية ، على نحو بالغ الدقة والسرية ، يتم تنفيذها فى حالة فشل الخطة الأساسية ، فى إغلاق طريق النجوم .

سأله القائد الأعلى :

ـ وهذه الخطة الثانية هى الكرة .

أجاب الدكتور (جلال) :

ـ ليست مجردُ كرة .. إنها خزانة معلومات .. شىء أشبه بالصندوق الأسود ، الذى تجده فى الطائرات ، والذى ينقل كل الاتصالات التى تمت ، بين الطائرة وقاعدتها الأرضية ، ويسجلها ثانية فثانية .. إنها تحوى التفاصيل الدقيقة ، بالصوت والصورة ، لكل ما مرُ به المكوك ، منذ غادر الأرض ، وحتى تم إرسالها ، ومن المفترض أن يضيف إليها (نور) أية معلومات جديدة ، أو استنتاجات يمكنه التوصلُ إليها ، خلال مهمته هذه .. باختصار .. كانت الخطة الاحتياطية تعتمد على تنفيذ الهدف الرئيسى ، الذى سعى إليه (نور) العالم الآخر وفريقه ، فى مهمتهم الانتحارية ، ولكن (نور) اقترح إضافة إمكانية خاصة ، تتيح له إرسال كل تلك المعلومات إلى الأرض ، حتى ولو انتهى أمره وأمر فريقه ، ولهذا تم صنع تلك الكرة ، وتزويدها بذاكرة خاصة ، تحدد مسارها ، وتمكنها من العودة إلى الأرض ، بكل ما تحمله ، أيًا كان موضعها ، فى الفضاء السحيق .

قال القائد الأعلى فى غضب :

ـ دون أن يتمّ إبلاغى بهذا ؟!

صمت الدكتور (جلال) لحظة ، قبل أن يجيب فى خفوت :

ـ لا أظن الوقت يكفى للعتاب .

كانت الكرة تهبط فى تلك اللحظة ، فى حديقة مركز الأبحاث العلمية تمامًا ، فانبعث صوت ، عبر جهاز الاتصال المحدود ، يقول فى دهشة :

ـ دكتور (جلال) .. يبدو أنها تستهدفنا مباشرة .

أجابه عبر جهاز الاتصال نفسه :

ـ إنها آمنة يا رجل .. مُرْ رجال المكتب الرابع بالتحفظ عليها ، ونقلها إلى مركز البحث الخاص ، وسأحضر إليكم على الفور .

قال الرجل فى سرعة :

ـ كما تأمر يا دكتور (جلال) .

أنهى الدكتور (جلال) الاتصال ، والتفت إلى القائد الأعلى ، الذى أشار بيده ، وهو يقول فى صرامة :

ـ هيا.. اذهب لتفحص ما أرسله (نور) ، وسنناقش ما حدث فيما بعد ، عندما تنزاح هذه الغمة .

تنهَّد الدكتور (جلال) ، وهو يغمغم :

ـ ليست لدى ذرة واحدة من الشك ، فى أن (نور) قد أرسل إلينا معلومات بالغة الأهمية ، ولكن الله (سبحانه وتعالى) وحده يعلم ، ما الذى ستقودنا إليه تلك المعلومات ، فإما أن تنزاح الغمة ، أو ...

لم يستطع إتمام عبارته ..

ولم يسأله القائد الأعلى عما يعنيه ..

ولكن جسده ارتجف ..

بأكمله ..

* * *

الظلام كان يحيط بكل شىء ..

كل شىء بلا استثناء ..

وكانت هناك أصوات تأتى من بعيد ..

من آخر العالم ..

ثم راحت هذه الأصوات تقترب أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وتتضح ..

وتتضح ..

« (نور) .. أأنت بخير ؟! » ..

تسلل الصوت إلى أذنيه ، فانتفض جسده انتفاضة خفيفة ، قبل أن يفتح عينيه ، ويحدق فيما أمامه .

كان يرقد داخل حجرة واسعة من المعدن ، بلا نوافذ .. لها باب واحد مغلق ، وحوله رفاقه كلهم ، يتطلعون إليه فى قلق ، وزوجته تنحنى عليه ، قائلة فى صوت أقرب إلى البكاء :

ـ حمدًا لله على سلامتك .

اعتدل جالسًا ، وهو يمسك رأسه ، مع الصداع الشديد الذى يشعر به ، وغمغم فى ألم :

ـ نحن أحياء إذن .

أجابه (رمزى) فى توتر :

ـ إنهم يحتفظون بنا لسبب ما .

غمغم (أكرم) فى عصبية :

ـ من حسن حظنا أن الآلات ليست من أكلة لحوم البشر .

أدارت (نشوى) عينيها إليه ، قائلة :

ـ لا تكن واثقًا هكذا .

انعقد حاجباه ، وهو يجيبها :



اعتدل جالسًا ، وهو يمسك رأسه ، مع الصّداع الشديد الذى يشعر به ، وغمغم فى ألم : - نحن أحياء إذن ...

- هل يسعدك إثارة قلقى ؟!

لوّحت بيدها ، قائلة فى يأس :

- وما الفارق ؟!

مطّ شفتيه ، وأسند ظهره إلى الجدار المعدنى البارد ، داخل الحجرة الخاوية ، وهو يتحسّس موضع مسدسه الخالى فى حزامه ، متمتمًا :

- أنت على حق .. وما الفارق ؟!

أشار (نور) بيده ، قائلاً :

- ما داموا قد قرّروا الاحتفاظ بنا على قيد الحياة ، فهناك فارق حتمًا .

استدار إليه (أكرم) ، قائلاً فى حدة :

- (نور) .. أنت تعرف أكثر مما نعرفه بكثير .. أخبرنا ما لديك يا رجل .. ماذا يحدث هنا ؟! وما الذى فعلته فى المكوك ، قبل أن نفقد وعينا .

هزّ (نور) رأسه ، قائلاً :

- لقد كشفت الوهم فحسب يا صديقى ، وأدركت ما الذى كانت تعنيه كلمات شيبهق المسكين الأخيرة .

قال (رمزى) فى اهتمام :

- هل لنا فى مزيد من التفسير ؟!

غمغم (نور) :

ـ بالتأكيد .

ثم أدار عينيه فى الحجرة الخاوية ، وابتسم ابتسامة غامضة ، وهو يقول :

ـ من حق الجميع أن يعلم ما لدى .

لم يفهم أحدهم ما يعنيه بابتسامته الغامضة هذه بالضبط ..

إلا أنهم أنصتوا إليه جميعًا بكل جوارحهم ..

أما هو ، فقد اعتدل فى مجلسه ، والتقط نفسًا عميقًا ، ثم انطلق يشرح ما لديه ..

بكل التفاصيل ..

وكالمعتاد ، كانت كلماته تحمل مفاجأة .. مدهشة .

* * *



٧ ـ الوهم ..

انزلقت الكرة المعدنية الصغيرة فى نعومة ، عبر أسطوانة شفافة قصيرة، داخل جهاز الفحص الخاص، فى حجرة التجارب بالقبة السرية ، فى مبنى مركز الأبحاث ، ولم تكد تستقر داخل تجويف خاص ، حتى راحت شاشات جهاز الكمبيوتر الجديدة تنقل كل المختزن فيها إلى شاشة كبيرة فى المواجهة ..

وفى صمت تام ، راح القائد الأعلى ، والدكتور (جلال) ، وعدد محدود للغاية من العلماء ، يتابعون رحلة المكوك (ابن ماجد) ، عبر طريق النجوم ..

حتى كانت تلك اللحظة ، التى ظهرت فيها سفينة الغزاة ..

واتسعت العيون كلها فى ذهول ..

وذعر ..

وخفقت القلوب فى هلع ..

ورعب ..

وبصوت مبحوح من فرط الانفعال ، هتف القائد الأعلى :

- رباه ! مذكرات الشبيه المعكوس أشارت إلى ضخامة تلك السفينة ، ولكننى لم أتصورها قط بهذا الحجم ..

غمغم الدكتور (جلال) فى صعوبة :

- كلنا هذا الرجل .

أشار أحد العلماء بيده ، قائلاً :

- وذلك العدد الهائل من المقاتلات .. لست أظن كوكبنا كله يمتلك نصفها .

تمتم القائد الأعلى :

- إنهم قادرون على أن يسحقوننا فى ساعات معدودة .

التفت إليه الدكتور (جلال) ، متسائلاً فى انفعال :

- السؤال الوحيد : لماذا لم يفعلوا إذن ؟!

التقى حاجبا القائد الأعلى فى شدة ، وهو يتابع ذلك المشهد المبهر على الشاشة ، قبل أن يغمغم :

- نعم .. لماذا لم يفعلوا ؟!

لم يجب أحدهم السؤال ، وهم يتابعون حركة المكوك ، الذى ينزلق فى نعومة ، عبر الممر الطويل، داخل سفينة الغزاة ، ثم يستقرّ فى منتصف تلك

القاعة الضخمة ، وسمعوا ذلك الصوت الآلى ، وهو يأمر (نور) ورفاقه بالسجود للإمبراطور ، فتمتم أحد العلماء :

- رباه ! كيف يحتمل (نور) وفريقه هذه الأهوال؟!

قال الدكتور (جلال) ، فى لهجة تحمل الكثير من الاحترام :

- إنهم ليسوا مثلنا .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى حزم :

- إنهم أبطال .

التفت إليه القائد الأعلى فى دهشة ، ثم عاد يتطلع إلى الشاشة ، مغمغماً :

- صدقت .

مع آخر حروف كلماته ، أطفئت الأنوار داخل القاعة ، التى استقرّ فيها المكوك، فهتف أحد العلماء:

- يا للسخافة ! سيفوتنا جزء بالغ الأهمية .

أشار إليه الدكتور (جلال) ، قائلاً :

- لن يفوتنا شىء .. الكرة ستطوّر نفسها على الفور ، وتنتقل إلى الرؤية باستخدام الأشعة دون الحمراء ..

تحوّلت الشاشة مع كلماته إلى لون أخضر زاهٍ ، صبغ كل شيء ، والكرة تنقل كل ما سجّلته ، في أثناء فترة الإظلام ، و ..

« ربّاه ! هل ترون ما يحدث ؟! »

حدّق الجميع فيما أمامهم بدهشة بالغة ، وغمغم الدكتور (جلال) في انفعال :

- عجبًا ! لماذا يحدث هذا ؟! المفترض أن السفينة ضخمة للغاية ، حسبما ...

قاطعه القائد الأعلى ، وهو يكمل في حماسة :

- حسبما تبدو .

التقت عيون الجميع في لحظة واحدة ، وبدا وكأنهم قد استوعبوا الأمر بأكمله ، فهتف الدكتور (جلال) :

- ربّاه ! هذا ما أراد (نور) أن يخبرنا به .. حرّك الصورة بسرعة يا رجل .. أريد القفز إلى استنتاجاته مباشرة .

ضغط أحد العلماء زرًا ، فتوالت الصور في سرعة، ونقلت الشاشة مشهد الآليين، وهم يهاجمون المكوك، ويمطرونه بحزم الليزر ، فتراجع الجميع في حدة ، وهتف القائد الأعلى :

- يا إلهي ! إنهم يهاجمونهم .

ردّد أحد العلماء :

- يا للبشاعة ! يا للبشاعة !

ولكن فجأة ، اختفت الصور ..

وأظلمت الشاشة تمامًا ..

ولثوان ، ساد صمت رهيب ، قطعه الدكتور (جلال) ، وهو يتمتم بصوت حمل كل مرارة الدنيا :

- هذا آخر ما سجّلته الكرة .

ازدرد كل منهم غصّة في حلقه ، دون أن ينبس ببنت شفة .

ثم أضاءت الشاشة مرة أخرى ..

وفي هذه المرة ، كانت تحمل كلمات (نور) ..

وأفكاره ..

واستنتاجاته ..

وفي هذه المرة ، اتسعت العيون عن آخرها ..

وخفقت القلوب حتى أقصاها ..

فالمكتوب أمامهم كان كفيلاً بأن يقلب الصورة كلها ..

رأسًا على عقب ..
وبمنتهى العنف ..

* * *

« كل هذا مجرَّد وهم .. »

نطق (نور) العبارة فى هدوء عجيب ، وهو يسند ظهره إلى الجدار المعدنى للحجرة ، وأشار بيده إليها ، متابعًا :

ـ السفينة الهائلة ، وأعداد المقاتلات الخرافية ، والآلى العملاق ، كلها مجرَّد خطوط عريضة ، فى خطة متقنة للحرب النفسية ، هدفها الأوَّل هو تحطيم الروح المعنوية لسكان الأرض ، لضمان الانتصار الساحق عليهم .

سأله (أكرم) فى توتر :

ـ هل تقول : إن هذه السفينة ليست ضخمة كما تبدو ؟!

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ بالضبط .. كل ما ترونه عبارة عن سفينة فضائية محدودة ، أضيف إليها هيكل زائف ، يعتمد فى معظمه على صور هولوجرافية متقنة ، بحيث

يوحى بأننا أمام كوكب عملاق .. أما تلك الأعداد الرهيبة من المقاتلات ، فمعظمها مجرَّد هياكل فارغة ، وصور خداعية ، الغرض منها إيهامنا بقوة الغزاة التى لا تُقهر .

قالت (سلوى) فى حيرة :

ـ ولكن أحدًا لن يمكنه رؤية كل هذا يا (نور) .

أشار بسبَّابته ، قائلاً :

ـ خطأ يا عزيزتى.. (نور) العالم الآخر أتى لرؤيته مع فريقه ، ونحن فعلنا.. أى كوكب يواجه ما يواجهه كوكبنا ، كان سيرسل حتمًا حملة استكشاف ..

ثم مال إلى الأمام ، متابعًا فى حماس :

ـ لهذا لم تحاول المقاتلات الآلية ، التى حاصرت مكوك أشباهنا ، أن تسحقه مباشرة ، على الرغم من أن كل ما فعلته قبل هذا أو بعده ، يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك ، أنها لا تقيم وزنًا للحياة البشرية وغير البشرية بكل صورها .. الواقع أنها لم تفعل ؛ لأنها كانت تريد منا أن نأتى ، وأن نشاهد ما شاهدناه ، ونسجل ما سجلناه .. وإطفاء الأنوار لم يكن سوى وسيلة مسرحية ، لتغيير ديكورات القاعة ، بما يوحى

إلينا بأننا انتقلنا إلى قاعة أخرى ، وخاصة عندما نشعر بذلك البساط المعدنى يتحرك تحت أقدامنا .. تمامًا مثلما يحدث على المسرح .. عدة ديكورات لمشاهد مختلفة ، على محور دائرى ، بحيث يمكن إحلال بعضها محل بعض ، بحركة ناعمة سريعة .. كل هذا لنقتنع بأننا داخل سفينة فضاء عملاقة ..

تمتمت (نشوى) فى انبهار :

ـ ربَّاه ! استنتاجك هذا يفسِّر كل شىء يا أبى .. لهذا كانوا يعتمدون على الضربات السريعة الخاطفة.. ولهذا أيضًا ركزوا هجومهم على كل دولة على حدة ، حتى يستخدموا قوتهم الفعلية كلها للانقضاض عليها وسحقها .

أجاب فى سرعة :

ـ بالضبط .. ولقد جعلونا نواجه آلى عملاق ، وبعوض قاتل، وهاجموا شبيه (رمزى) فى العالم الآخر، وقتلوه ـ بلا رحمة ـ ليوحوا برغبتهم فى احتجاز الباقين ، فى حين أنهم تركوهم يفرون ، ولم يحاولوا حتى تعقبهم، على الرغم من أنهم يمتلكون مفاتيح طريق النجوم ، وكان يمكنهم الانطلاق بعشرات المقاتلات خلفهم ، وسحقهم بلا رحمة .

ثم عاد يدير عينيه فى المكان ، واستعادت شفتاه تلك الابتسامة الغامضة ، وهو يتابع :

ـ كان الهدف الرئيسى هو أن يعود الفريق إلى الأرض ، وينقل الصورة كلها إلى سكانه ، لبث الرعب فى قلوبهم ، وتحطيم معنوياتهم ، وتدمير روح القتال فى أعماقهم .. نفس الأسباب التى جعلتهم يختارون أهدافهم بعناية ، وبوسيلة تصنع أكبر ضجة ممكنة .. لقد هاجموا قصر الرياسة ، فى العالم الآخر ، ولم يحاولوا مهاجمة قاعدة جوية ، أو ثكنة عسكرية.. وحتى فى انقضاضاتهم المباغتة ، كانوا يتحاشون المواجهة المباشرة ، بكل وسيلة ممكنة .

كان رفاقه يتطلعون إليه بدهشة بالغة ، فتوقف عن حديثه ، والتقط نفسًا عميقًا ، ملأ به صدره كله ، قبل أن يقول :

ـ هل تدركون ما الذى يعنيه كل هذا ؟!

أطلَّ تساؤل قلق من عيونهم ، فتابع فى حزم :

ـ يعنى أن المواجهة ممكنة، والانتصار على الغزاة ليس مستحيلاً ، كما تصوَّر أقراننا ، فى العالم الآخر .

قال (أكرم) فى عصبية :

- هذا لو علم عالمنا بما كشفته يا (نور) .

اتسعت ابتسامة (نور) ، وهو يقول فى هدوء عجيب :

- لقد علموا .

تفجرت دهشة عارمة فى وجوههم ، وهم يحدقون فى وجهه ، قبل أن يهتف (رمزى) :

- لا تقل لى : إن هذا ما كنت تفعله فى المكوك ، عندما هاجمنا الآليون .

أجابه (نور) ، بإشارة من يده :

- بالضبط .

ثم اعتدل ، ونهض واقفًا على قدميه ، مستطردًا فى حزم :

- فى نفس لحظة الهجوم ، أطلقت كرة خاصة ، تحمل كل المعلومات والتفاصيل ، إلى الأرض .. ولقد نجحت فى مهمتها ، وإلا لتلقيت إشارة خاصة .

هتفت (سلوى) :

- إذن فهم يعلمون .

أجابها فى حزم شديد :

- وسيقاتلون .

تبادل الجميع نظرة مفعمة بالأمل هذه المرة ، وتساءل (أكرم) :

- ولكن كيف يمكن لعقول آلية أن تضع خطة خبيثة ومعقدة إلى هذا الحد يا (نور) ؟

صمت (نور) بضع لحظات ، قبل أن يشير بسبابته ، قائلاً :

- هذا أيضًا جزء من خطة الحرب النفسية .

وتطلع إلى باب الحجرة بضع لحظات ، قبل أن يتابع ، وكأنما يتحدث إلى نفسه :

- فالشعور بأنك تواجه آليين ، يجعلك تتصور أن النصر أمر مستحيل ، وأن القسوة التى تبلغ حد الوحشية ، ستكون هى الأساس فى القتال .

هتفت (سلوى) مبهورة :

- هل تقصد أننا لا نواجه آليين ؟!

ابتسم ، مجيبًا :

- ولا حتى أنصاف آليين .

سأله (أكرم) فى توتر :

- وماذا عن ذلك الإمبراطور العملاق ؟!

هز كتفيه ، مجيبًا :

ـ أتقصد ذلك الذى لم يحرك ساكنًا ، ونحن ننسف آلة المراقبة فى منتصف رأسه ، ثم نسقط جهاز الرصد كله ، المتمثل فى الرأس نفسها ؟! أى إمبراطور هذا يا رجل ؟! لقد كان وسيلة لرصدنا فحسب ، وعندما أوقفنا الرصد ، لم يعد ذلك البعوض الآلى قادرًا على مهاجمتنا مباشرة .

غمغم (رمزى) فى انبهار واضح ، وهو يتطلع إلى (نور) :

ـ يا إلهى ! إنك عبقرية مدهشة بالفعل يا (نور) .. كيف يمكن لعقلك إيجاد تفسير منطقى لكل شىء ؟!

لم يجب (نور) على السؤال ، وهو يهز رأسه فى بطء ، فهتفت (نشوى) :

ـ بقى أمر واحد .. كيف يبدو الغزاة الحقيقيون ؟!

أشار بيده إلى (رمزى) ، قائلاً :

ـ دعنا نلقى هذا السؤال على زوجك .

قال (رمزى) فى دهشة :

ـ علىّ أنا ؟!

أجابه فى سرعة :

ـ بالتأكيد.. أنت الخبير النفسى الوحيد بيننا، والذى

يمكنه أن يفسّر لنا ، لماذا يصر كائن ما على أن يوحى بأن كل ما يحيط به هائل ، ضخم ، عملاق ..

أجابه (رمزى) فى سرعة وحماس :

ـ إنه يفتقر إلى كل هذا .

هتف (نور) :

ـ بالضبط .

لم يكد هتافه ينطلق ، حتى انبعث صوت عجيب داخل الحجرة الخالية ..

صوت أشبه بزمجرة وحشية مكتومة ..

ثم تحرك الباب الوحيد فى بطء ..

ومن خلفه ظهر شىء ما ..

أو شخص ما ..

بل شخصان ..

شخصان آليان ضخما الحجم ، يحملان مدفعين ليزريين قويين .

وبينهما كان يقف كائن حى .

أول كائن حى ، تقع عليه عيونهم ، فى تلك السفينة ..

سفينة الغزاة ..

* * *

بدا الرئيس الأمريكى شديد العصبية والتوتر ، عندما ظهرت صورته على شاشة الاتصالات الخاصة المؤمَّنة ، فى حجرة رئيس الجمهورية المصرى ، وانتقل توتره وعصبيته إلى صوته فى وضوح ، وهو يقول :

ـ لست أدرى لماذا طلبت إجراء هذا الاتصال الخاص المؤمَّن ، فى هذه اللحظات بالذات أيها الرئيس .. أنت تعلم أن الأوتار كلها مشدودة إلى أقصى حد ، ونحن ننتظر ظهور الغزاة فى أية لحظة ، و ....

قاطعه الرئيس المصرى فى حزم :

ـ لقد وصلتنا معلومات جديدة .

هزَّ الرئيس الأمريكى رأسه فى حدة ، وهو يقول :

ـ لا داعى لأية محاولة إقناع أخرى .. لقد ناقشنا كل الأمور ، وخبراؤنا أيدوا ما نفعله تمامًا .

سأله الرئيس المصرى :

ـ وماذا لو أن هناك وسيلة مؤكَّدة للنصر ؟!

هتف الرئيس الأمريكى فى عصبية :

ـ لن يمكنكم إقناعنا بهذا .

قال الرئيس المصرى فى هدوء :

ـ حتى ولو كان لدينا الدليل المادى على هذا .

انعقد حاجبا الرئيس الأمريكى ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فتابع الرئيس المصرى فى شىء من حماس :

ـ شاهد هذا أوَّلاً .

قالها ، وضغط زرًّا على مكتبه ، فانطلق جهاز بث خاص يعمل ، لينقل كل ما حملته الكرة المعدنية إلى شاشة الرئيس الأمريكى ، الذى لم ينبس ببنت شفة ، وهو يتابع المشاهد مبهوتًا مبهورًا ، حتى انتهى البث ، فسأله الرئيس المصرى فى اهتمام :

ـ ما رأيك الآن ؟!

مضت لحظات من الصمت ، قبل أن يأتى صوت الرئيس الأمريكى متحشرجًا مبحوحًا ، من فرط الانفعال ، وهو يسأل :

ـ هل عرضت هذا على الآخرين ؟

أجابه الرئيس المصرى :

ـ على الروس والفرنسيين فحسب .

سأله الرئيس الأمريكى :

- وماذا كان جوابهم ؟!

أجابه الرئيس المصرى فى حزم :

- سينضمون إلينا .

مضت لحظات أخرى من الصمت ، تنحنح خلالها الرئيس الأمريكى مرتين ، قبل أن يقول :

- ألديكم خطة بعينها ؟!

أجاب الرئيس المصرى ، وهو يشير إلى وزير الدفاع ، الذى يقف إلى جواره :

- بالطبع .. وسينقلها إليكم وزيرنا ، عبر الشبكة المغلقة .

ثم انعقد حاجباه فى حزم ، مستطردًا :

- ولو وافق الباقون ، فثق أن الكفة ستنقلب تمامًا يا رجل .

غمغم الرئيس الأمريكى :

- أتعشم هذا أيها الرئيس .. أتعشم هذا .

نطقها بصوت يحمل قدرًا هائلاً من التوتر ..

والقلق ..

والانفعال ..

كل انفعال الدنيا ..

* * *

على الرغم من كل ما قاله (نور) وأوضحه ، وما قدّره (رمزى) وأشار إليه ، كان وقع المفاجأة على الجميع قويًا للغاية ، وهم يحدقون فى ذلك الكائن الواقف أمامهم ، بين الآليين ، بكل دهشتهم واستنكارهم ..

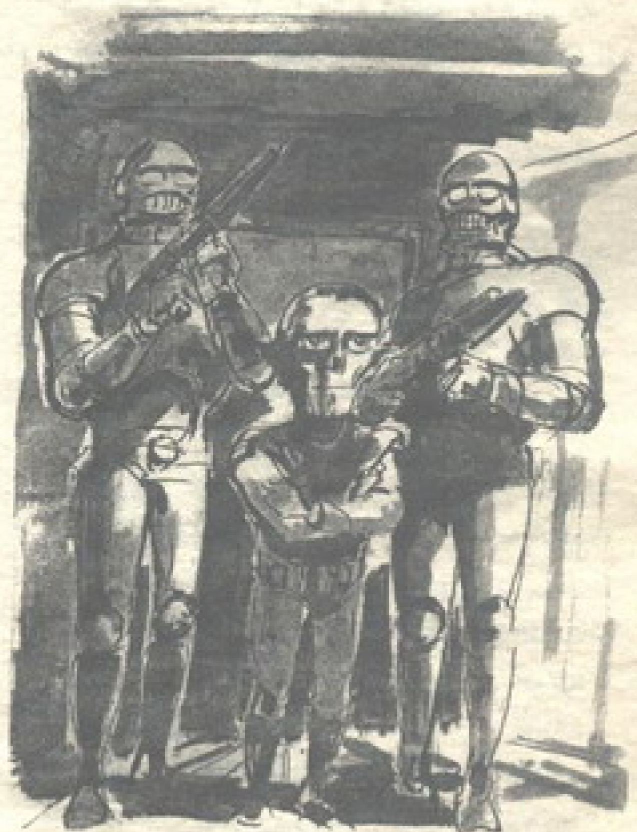
كان كائنًا بشرى التكوين ، ضئيل القامة ، لا يزيد طوله عن متر واحد ، يحتلّ رأسه الضخم ثلثه تقريبًا ، بعينيه الواسعتين الكبيرتين ، وأنفه الصغير ، وفتحة فمه الشبيهة بشق عرضى رفيع ، بلا بروز أو شفتين ..

وكان يرتدى زيًا أزرق اللون ، يتناقض مع بشرته الشاحبة ، الشبيهة بوجوه الموتى ، وحذائه الأحمر اللامع ، الذى يناسب مقياس طفل صغير ..

ولدقيقة أو يزيد ، ظلّ الجميع يحدقون فى وجه ذلك الكائن، الذى عقد ذراعيه الصغيرين أمام صدره ، وهو يتطلّع إليهم بدوره ، قبل أن يقول :

- لم يتوقّع أحدكم هيئتى هذه .. أليس كذلك ؟!

كان الصوت يخرج من فمه الرفيع ، إلى جهاز صغير متصل برأسه ، فتتم ترجمة كلماته إلى اللغة



ولدقيقة أو يزيد ، ظلَّ الجميع يُحدِّقون فى وجه ذلك الكائن ، الذى عقد ذراعيه الصغيرين أمام صدره ..

العربية ، التى تنقلها مكبرات صوت خفية ، فتتردَّد فى الحجرة كلها ، بصوت آلى مخيف ..

وفى هدوء مستفز ، أجابه (نور) :

ـ بلى .. ولكن هذا يوافق استنتاجاتنا .

أدار ذلك الكائن عينيه إليه ، قائلًا :

ـ من الواضح أنك أكثرهم ذكاءً .

أجابه (نور) ، فى شىء من السخرية .

ـ ومن الواضح أيضًا أنكم تراقبون كوكبنا منذ زمن طويل ، فلديكم فكرة جيِّدة عن طبيعتنا ، ولغاتنا ، وأساليب تفكيرنا ، وإلا ما أجدتم حربكم النفسية إلى هذا الحد .

هزَّ الكائن رأسه ، وقال :

ـ هذه الأمور تتشابه ، فى الكون كله أيها الأرضى .. كل المخلوقات المفكِّرة تتأثَّر بالاختلالات المعنوية ، وبالخوف من المجهول .. كلها يمكنك أن تهزم أعماقها ، قبل أن تواجهها وجهًا لوجه .. المهم أن تجيد قواعد اللعبة .

قال (أكرم) فى عصبية غاضبة :

ـ هل تعتبر كل تلك المذابح الدموية مجرَّد لعبة ؟!

أدار المخلوق عينيه الواسعتين إليه فى بطء ، وتطلع إليه بضع لحظات فى صمت ، قبل أن يقول ، عبر جهاز الترجمة الآلى :

- الحياة كلها مجرد لعبة .. أنتم أنفسكم لا تعتبرونها أكثر من هذا ، وإلا ما أسأتم إليها إلى هذا الحد .

انعقد حاجبا (رمزى) وهو يتطلع إليه فى اهتمام ، فى حين هتف (أكرم) فى حدة :

- نحن نسىء إلى الحياة ؟! نحن ؟!

أجابه الكائن ، وهو ينظر إليه بعينيه الواسعتين فى صرامة :

- بالتأكيد .. ألا تدركون حقًا ما تفعلونه بكوكبكم؟! آلاف .. بل ملايين الأطنان من الغازات السامة ، تطلقونها من آلاتكم ومركباتكم ، ومنازلكم كل يوم .. مئات الجالونات من النفايات الكيماوية تلقى فى المحيطات والبحار والأنهار كل دقيقة .. آلاف الكيلوجرامات من المواد المشعة يتم دفنها فى رمال الصحراء كل يوم .. غابات بأكملها تتم إبادتها ، من أجل أخشابها .. مبيدات حشرية تنطلق فى كل ركن ..

أسمدة كيماوية تغذى طعامكم وطعام حيواناتكم وماشيتكم، التى تتغذون عليها .. نباتات غير طبيعية، تنشأ من تجارب الجينات وهندسة الوراثة والاستنساخ كل دقيقة .. هل تصورتم أن هذا سيبقى عالمكم على حاله ، مهما طال الزمن ؟! خطأ .. خطأ .. خطأ .. إنكم تدمرون الطبيعة حولكم فى بطء ، وكل ما أفعله هو أن أعجل بالنتائج .

قال (نور) فى حدة :

- بأى حق ؟! أتتصور نفسك إلهًا ، يحق له تقرير مصائر الآخرين ، لمجرد أن أحوالهم لا تروق له .. حتى الإله (سبحانه وتعالى) لا يفعل هذا ..

قال الكائن ، وقد أطلَّ غضب عجيب من عينيه الكبيرتين :

- من لا يحافظ على كوكبه ، لا يستحق العيش على سطحه .

ثم تقدم داخل الحجرة ، وتبعه الآليان ، وهو يواصل :

- أنتم تمتلكون نعمة لا تدركونها .. عالم بأكمله ، توفرت فيه كل سبل العيش .. كل شىء فيه متقن ، متناغم ، متوازن ، متكامل .

غمغمت (سلوى) فى حزم :

ـ لأنه من صنع الخالق (عزّ وجلّ) .

لوّح بيده ، قائلاً :

ـ وعلى الرغم من هذا ، فأنتم تدمرونه بلا هوادة .. كم من الحيوانات والطيور شارفت على الانقراض ؛ لأنكم زحفتم بمدينتكم إلى مواطنها الطبيعية ؟! كم من البشر سحقتموهم فى حروب طاحنة ، من أجل مطامع استعمارية واقتصادية ؟! بل كم منهم يموت جوعًا وعطشًا فى كل ساعة ، وغيره يعانى من التخمة والإسراف ؟! كم .. وكم .. وكم .. لو بدأنا فى تعداد ما ترتكبون من أخطاء وموبقات ، لن يكفى العمر كله لهذا .

ازداد انعقاد حاجبى (رمزى) ، وهو يتطلع إليه ، فى اهتمام قلق ، فى حين قالت (نشوى) فى حدة :

ـ ربما نكون قد ارتكبنا عشرات الأخطاء بشأن كوكبنا ، ولكن حتى هذا لا يمنحك الحق فى الإساءة إليه بأية صورة من الصور .

التفت إليها فى حركة حادة ، قائلاً :

ـ ومن يمكنه إقرار هذا ؟ أنت ؟!

تقدم (أكرم) نحوه ، هاتفًا فى شراسة :

ـ وليس أنت بالتأكيد .

تراجع الكائن فى سرعة ، وهو يشير بيده الصغيرة ، قائلاً :

ـ إياك حتى أن تحاول .. الآليان سيسحقان كل من يحاول الاقتراب منى أو إيذائى .

هتف (أكرم) فى حدة :

ـ من الواضح أنك تعتمد كثيرًا على الآلات .

ارتفع المدفعان الآليان فى وجهه بسرعة ، وهتف الكائن :

ـ لقد حذّرتك .

صاح (أكرم) فى غضب :

ـ ومن قال : إننى أهتمّ ؟!

أمسك (نور) ذراعه فى قوة ، وهو يقول فى صرامة :

ـ تمالك نفسك يا رجل .. لا تمنحه المبرّر لقتلك .

قال (أكرم) فى عصبية :

ـ وهل تعتقد أنه سيبقى علينا ؟!

أدار (نور) عينيه إلى الكائن ، قائلاً :

- إنه يبقى علينا لسبب ما .

اعتدل الكائن ، وعاد يعقد ساعديه أمام صدره ، وهو يقول :

- بالتأكيد .

قال (نور) فى هدوء :

- وهذا السبب يندرج تحت قائمة السادية نفسها بالطبع .

صمت الكائن بضع لحظات ، قبل أن يجيب ، عبر جهاز الترجمة الآلى :

- عالمنا لم يعرف أبدًا هذه المصطلحات المعقّدة ، لشرح طبيعة التفكير والمشاعر ، ولكن قدومكم إلى هنا ، فى مهمة انتحارية كهذه ، يعنى أنكم فريق خاص للغاية ، ثم إن مركبتكم الفضائية كانت مزوّدة بأجهزة خاصة ، يمكنها إغلاق ما تطلقون عليه اسم (طريق النجوم) إلى الأبد ، مع كل ما يحمله هذا من احتمالات عدم عودتكم ، إذن فأنتم انتحاريون ، لا قيمة لحياتكم نفسها عندكم .

قال (نور) فى حزم :

- فى سبيل الواجب .

تابع الكائن ، وكأنه لم يسمعه :

- وبالتالى ، لن يضيركم أن أقتلكم هنا فورًا .. ولن يفيدنى هذا أيضًا .

تساءلت (نشوى) فى توتر :

- أتعنى أنك لن تقتلنا ؟!

أجاب (رمزى) فى سرعة :

- بل سيفعل .

استدار إليه الجميع فى دهشة ، وبدا توتر ملحوظ فى عينى الكائن الواسعتين ، فتابع (رمزى) فى حزم :

- ولكن بعد أن ينتصر فى معركته ، ويضمن فناء الأرض .

ازداد التوتر المطلّ من عينى الكائن ، وهو يقول :

- آه .. من الواضح أنك أيضًا عبقرى ، من طراز آخر .

أجابه (رمزى) فى حزم :

- بل خبير نفسى ، انتبه على التو فقط إلى ظاهرة عجيبة ، من ظواهر الكون ، تثبت وحدة خالقه (عزّ وجلّ) ، ألا وهى اشتراك كل مخلوقاته (سبحانه)

فى منوال واحد .. لقد كنت أتطلع إليك طوال الوقت ، محاولاً إلغاء صورتك من ذهنى ، وتحليل تصرفاتك بصورة مجردة ، ولقد أوصلنى هذا إلى أننى أمام شخص وحيد ، معزول .. عانى طويلاً وكثيرًا ، حتى امتلأت نفسه بالمقت والغضب ، والكراهية لكل الأسباب ، التى أدت به إلى وحدته هذه ، فاختل عقله ، وقرر الانتقام من كل من يقترب من هذه الأسباب ، فى أية نقطة يمكنه بلوغها من الكون .

استمع إليه الكائن فى صمت مشوب بالحذر ، وإن نمّ ذلك التوتر فى عينيه الواسعتين على أن (رمزى) ينطق صدقًا ، حتى أن (أكرم) تساءل فى عصبية متوترة :

ـ ماذا تعنى بكلمة الوحدة هذه ؟! ألا يتفق مع بنى قومه .

هزّ (رمزى) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ ألم تدرك الأمر جيدًا يا صاح ؟!

غمغم (نور) :

ـ أنا أدركته منذ البداية .

حدّق فيه (أكرم) لحظة ، قبل أن يقول :

ـ ما الذى أدركتماه بالضبط ؟!

أجابه (نور) ، وهو يشير إلى الكائن :

ـ لا توجد مخلوقات حية أخرى فى هذه السفينة .. إننا نقف أمام العقل الحى الوحيد بها .

تألقت عينا الكائن ، عندما نطق (نور) عبارته هذه ، فى حين استدار إليه الجميع ، يحدقون فيه بدهشة بالغة ، فالتفت إليه (نور) ، قائلاً :

ـ أليس كذلك ؟!

صمت الكائن بضع لحظات ، قبل أن ترتسم على ذلك الشق فى وجهه شبح ابتسامة ، وهو يجيب :

ـ بل خطأ .. استنتاجهم خاطئ تمامًا هذه المرة .

قالها ، وفرقع سبابته وإبهامه ..

ومع الفرقعة ، صدرت تلك الزمجرة مرة أخرى .. ثم ارتفعت جدران الحجرة فى بطء ..

واتسعت عيون الجميع بدهشة عارمة ..

فما رأوه خلف تلك الجدران كان مدهشًا .. بحق .

* * *

٨ ـ أعماق الزمن ..

فى حياة كل إنسان مشاهد بعينها ، لا يمكنه نسيانها قط ، وإن طال به الزمن ..

مشاهد حفرت فى أعماقه آثارًا لا تنمحى .

وانغرست فى كيانه ..

حتى النخاع ..

ومن المؤكد أن ذلك المشهد ، الذى وقعت عليه عيون (نور) ورفاقه ، داخل سفينة الغزاة ، كان أحد تلك المشاهد ، التى سجلتها عيونهم ، واختزنتها عقولهم ، وستبقى فيها إلى الأبد ..

فأمام عينهم ، كان هناك جدار كامل من الزجاج ، يحمى مجموعة من اثنتى عشرة أسطوانة شفافة ، رقد داخل كل منها مخلوق مشابه تمامًا لذلك الذى يقف أمامهم ..

بل يتطابق معه تمام التطابق ، وكأنهم جميعًا نسخ من رجل واحد ..

وكان من الواضح أنهم إما موتى ، أو غارقون فى غيبوبة عميقة ..

عميقة للغاية ..

وعبر المترجم الآلى ، راح المخلوق يقول ، وهو يسير إلى جوار الجدار الزجاجى ، يتبعه حارساه الآليان :

ـ ما ترونه أمامكم آخر السلالة الحاكمة فى كوكبنا ، بعد أن أفسدنا بيئته ، بنفس ما أفسدتم به بيئتكم ، حتى فنت كل صور الحياة على سطحه .. كنا نعلم منذ فترة طويلة أن النهاية آتية لا ريب ، بعد أن انكمش غلافنا الجوى ، ولم تنجح تكنولوجيتنا كلها فى إنقاذه وإنقاذنا، لذا فقد صنعنا سفينة الفضاء العملاقة هذه ، بكل ما تبقى من مواردنا ، وزودناها بتلك المقاتلات الآلية ، والهياكل الزائفة ، وكل وسائل التمويه والخداع اللازمة ؛ لأن مشاهداتنا أنبأتنا بأن الحجم يمثل أهمية بالغة ، فى كل أنحاء الكون ..

غمغم (رمزى) :

ـ وهذه هى العقدة النفسية ، التى تحكم تصرفاتك .

تجاهله المخلوق تمامًا ، وهو يتابع :

- وعندما حانت لحظة النهاية ، مع انهيار الغلاف الجوى ، وانهمار الأشعة الكونية على كوكبنا ، انطلقت بنا سفينة الفضاء ، المصممة بحيث تحيا لقرون من زمنكم فى الفضاء السحيق ، حاملة آخر من تبقى من سلالتنا الملكية .

قال (نور) :

- أراهن أنكم تركتم الباقين خلفكم ، لتحصدهم الأشعة الكونية بلا رحمة .

أجابه المخلوق :

- لم يكن هناك مكان يتسع للجميع ، وكان من الضرورى إنقاذ السلالة الملكية وحدها .

قالت (سلوى) فى حدة :

- موقف بالغ الأنانية والطغيان .

أشار (رمزى) إلى الأسطوانات الشفافة ، وهو يقول :

- ما أمامك هو صورة أكثر وضوحًا للأنانية والطغيان .. لقد استخدموا تكنولوجيا الاستنساخ ، لصنع نسلهم الملكى كله ، وكأنما يرفضون حتى أن تمنحهم الطبيعة هباتها .

قال المخلوق ، وهو يلتفت إليه :

- أية هبات ؟! كلنا من نسل والدنا العظيم ، الذى تحقق له الكمال كله .. القوة والذكاء ، و ...

قاطعه (أكرم) :

- الكمال لله (سبحانه وتعالى) وحده يا هذا .

رمقه المخلوق بنظرة عجيبة ، تحمل شيئًا من المقت ، قبل أن يقول :

- المهم أننا انطلقنا فى الفضاء ، بحثًا عن عالم جديد ، يصلح لحياتنا ، ولاستمرار نسلنا ، وكان من الممكن أن يتحقق لنا هذا ، لولا (بينا - تو) .

سأله (أكرم) فى عصبية :

- ومن (بينا - تو) هذا ؟! أحد حمقاكم الملكيين ؟!

تابع المخلوق، وهو يواصل سيره إلى جوار الجدار الزجاجى ، محاولاً تجاهل تعليقات (أكرم) اللاذعة :

- (بينا - تو) هو نوع من الفيروسات(*)، التى

(*) الفيروسات : مجموعة جرثومات دقيقة جدًا ، لا يُرى معظمها بالمجهر الضوئى العادى ، ويمكنها فى العادة النفاذ من الرواشح البكتيرية ، وللفيروسات خصائص الكائنات الحية ، ولكنها لا تحيا أو تتكاثر إلا متطفلة على نوع من الخلايا الحية .

نمت فى عالمنا ، مع انهيار غلافه الجوى ، وراحت تنتشر فى شعبنا انتشار النار فى الهشيم .. ولقد تصورنا أننا ، كسلالة ملكية ، بمنأى عن الإصابة بها ، حتى كشفنا فجأة أنها قد توغلت فى أجسادنا ، وصار مصيرنا الموت حتمًا .

ثم استدار يتطلع إلى الأسطوانات الشفافة ، مستطردًا :

ـ لهذا اتخذوا قرارًا بأن يتم تجميد أجسادهم ، حتى نبلغ كوكبًا ، يمكننا فيه أن نبحث عن علاج للمرض .

قال (رمزى) فى بطء :

ـ وكان عليك أن تبقى، لتقوم بعملية التجميد هذه .

صمت الكائن لحظة ، قبل أن يجيب :

ـ قمنا بعمل اقتراع ، ووقع الاختيار علىَّ للبقاء ، والقيام بعملية التجميد .

قال (رمزى) بلهجة ساخرة ، أدهشت الجميع :

ـ وهذا يثير غضبك ومقتك إلى أقصى حد .

بدا التوتر أكثر وضوحًا ، فى عينى الكائن ، وهو يتطلع إلى الأجساد المجمدة أمامه ، قائلاً :

ـ لقد أجبرونى على القيام بالمهمة؛ لأننى أصغرهم

سنًا .. تصوروا أنهم قادرون على قهرى ، وتركى خلفهم ، أعانى الألم والعذاب ، مع (بينا ـ تو) ، حتى أجد كوكبًا صالحًا لحياتهم .

قال (رمزى) بنفس اللهجة :

ـ ولكنك ستنتقم منهم جميعًا .. ستسحق كل صور واحتمالات الحياة ، على أى كوكب يصلح لهم ، حتى ينتهى أمرهم تمامًا .. إنك لم تغفر لهم قط ما فعلوه بك .

استدار إليه الكائن فى بطء ، وتطلع إليه بضع لحظات ، قبل أن يقول :

ـ كيف تفعل هذا بالضبط ؟! كيف يمكنك قراءة أعماقى على هذا النحو ؟!

قال (نور) فى حزم :

ـ أخبرناك أنه خبيرنا النفسى .

قال بسرعة :

ـ وأنا أخبرتكم أننا لا نجيد فهم هذه الأمور .

هتف (أكرم) فى حدة :

ـ من الواضح أنك لا تجيد سوى القتل والتدمير فحسب ..

أشار المخلوق بيده إلى ما حوله ، قائلاً :

ـ إنها أفضل لعبة أجيدها ، منذ زمن طويل .. كل ما ترونه حولكم عبارة عن عقل آلى عملاق ، متخصص فى استراتيجيات الحرب والقتال .. وهو الذى يعد الخطة كلها ، من الألف إلى الياء ، بعد أن أزوده بكل المعلومات اللازمة ، عن العالم الذى أسعى لإفنائه .

قالت (سلوى) بصوت مبحوح :

ـ أتعنى أننا لسنا أول عالم تسعى خلفه ؟!

رسم ذلك الشق فى وجهه ابتسامة مزهوة ، وهو يجيب :

ـ لقد أفنيت عالمين كاملين من قبل .

احتقن وجه (أكرم) ، وهو يقول فى حدة :

ـ أيها الحقير .. أتزهو بوحشيتك هذه ؟!

صاح به (نور) :

ـ اهدأ يا (أكرم) .. لا تمنحه الـ ..

صرخ (أكرم) :

ـ أمنحه ماذا يا (نور) ؟! أتظن هذا الضئيل الحقير يفكر ، ولو لحظة واحدة ، فى إبقائنا على قيد الحياة ، بعد أن يسحق كوكبنا ؟!

قال الكائن فى بطء :

ـ استنتاج آخر خاطئ .

التفت إليه (أكرم) ، هاتفًا فى حدة :

ـ هل تراهن ؟!

أجابه الكائن :

ـ إننى أنوى ترككم بالفعل على قيد الحياة ، بعد فناء كوكبكم .

ثم تألقت عيناه الواسعتان ببريق وحشى مخيف ، وهو يكمل :

ـ ففكرة إطلاقكم فى الفضاء اللانهائى ، بعد أن فقدتم كل مكان يمكن أن تلجئوا إليه ، تثير فى نفسى سعادة أكبر .

اتسعت عيونهم فى دهشة ، وتبادل (نور) و(أكرم) نظرة متوترة ، قبل أن يقول هذا الأخير فى غضب هادر ، وهو يتجه نحو الكائن :

ـ أيها الحقير الـ ...

قاطعه (نور) ، وهو يجذبه فى حدة :

ـ قلت لك : اهدأ .

استدار إليه (أكرم) ، صارخًا :

- لا شأن لك بى .

أطلق صرخته ، ثم انقضَّ على (نور) فى شراسة عجيبة ..

واشتبك الاثنان فى قتال عنيف مباغت ..

عنيف للغاية ..

ومباغت تمامًا ..

* * *

كان الموقف عجيبًا بحق ..

(نور) و (أكرم) .. الزميلان .. الصديقان يتصارعان ، بمنتهى العنف والشراسة ، وسط رفاقهما ، وأمام عينى مخلوق فضائى سادى عجيب ، تألقت عيناه الواسعتان فى نشوة ، وهو يراقب ذلك الصراع ، وكأنما يستمتع بكل لحظة ..

أما (سلوى) و (نشوى) ، فقد أصابهما الفزع والذعر لما يحدث ، وصرخت الأولى ، وهى تتراجع فى حدة :

- (نور) .. (أكرم) ! ماذا أصابكما ؟!

وصاحت (نشوى) :

- يا إلهى ! ماذا يحدث ؟! ماذا يحدث ؟!

(رمزى) وحده ظلَّ صامتًا ، معقود الحاجبين ، يراقب المشهد باهتمام شديد ، وكأنها دراسة خاصة ، يحرص على استيعابها جيدًا ..

وفى شراسة مدهشة ، اشتبك (نور) و(أكرم) ، وراحا يتدافعان فى عنف ، و ...

وفجأة ، وعندما صارا على مسافة مترين فحسب من ذلك الكائن الفضائى، انفصلا عن بعضهما البعض، ووثبا نحوه فى آن واحد ..

وكانت مفاجأة للجميع ..

حتى الآليين ..

ففى جزء من الثانية ، كان (أكرم) يحمل ذلك الكائن بذراعه اليسرى، ويحيط عنقه بساعده الأيمن ، هاتفًا فى سخرية :

- يبدو أن العقول الآلية ما زالت تتفوق أيها الوغد.

تحرك الآليان فى سرعة ، وارتفعت فوهتا مدفعيهما الليزريين فى تحفز ، فجذب (نور) الكائن أمامهما ، وهو يقول فى صرامة :

- هيا .. أخبرهما أنه من المستحيل أن يقتلا سيدهما .

هتفت (سلوى) مبهورة :

- يا إلهى ! إذن فهى خدعة .

أجابها (رمزى) مبتسمًا :

- بالتأكيد يا (سلوى) .. ماذا تصوّرت ؟!

ألقت (نشوى) رأسها على صدره ، هاتفة بصوت أشبه باللهاث :

- حمدًا لله .. حمدًا لله .

أما الكائن ، فقال فى غضب :

- هل تتصوّرون أن هذا يمكن أن يكفل لكم النصر؟!

أجابه (نور) :

- كنا واثقين من أن حارسيك الآليين لن يجرؤا على إطلاق أشعة مدفعيهما ، ما دمنا نحتمى بجسدك .

قال فى حدة ، عبّر عنها ارتفاع صوت المترجم الآلى :

- إنكما تسيئان تقدير الأمور .

ضغط (أكرم) بساعده على عنقه أكثر ، وهو يقول :

- بل من الواضح أنك أنت تسىء تقدير قدراتنا .

قال الكائن :

- ما تفعلانه لن ينقذكما .

أجابه (نور) فى حزم :

- دعنا نجازف .

هزّ رأسه فى حدة ، هاتفًا :

- لن يمكنكم هذا .

ثم عادت عيناه تتألقان ، وهو يضيف :

- هل تعلمون ما أفضل شىء فى التعامل مع الآلات ؟! أنها لا تحمل فى أعماقها أية مشاعر .. على عكسكم تمامًا أيها البشر ، الذين تسيطر عليهم عواطفهم دائمًا .

انعقد حاجبا (رمزى) فى شدة ، فى حين تابع الكائن :

- ربما كنتما تحتميان بجسدى ، ولكن رفاقكما ليسوا كذلك .

وأدار عينيه إلى الحارسين الآليين ، مستطردًا :

- اقتلوا الباقين .

ولم يكد قوله يكتمل ، حتى استدارت فوهتا المدفعين الليزريين ، نحو (رمزى) و(سلوى) و (نشوى) ..

وصرخت (سلوى) ..

وشهقت (نشوى) ..

وتراجع (رمزى) فى عنف ، و ..

ووثب (نور) ..

وثب كنمر ثائر ، يدافع عن حياته ، وكيانه .. وأسرته ..

وبكل قوته واندفاعه ، اصطدم بأحد الآليين ، ودفعه أمامه فى عنف ، ليرتطم بالآلى الآخر ، ويسقط الجميع أرضًا ..

وفى نفس لحظة سقوطهما ، دفع (أكرم) ذلك المخلوق جانبًا ، بمنتهى العنف والقسوة ، ووثب نحو الآليين بدوره ، صائحًا :

ـ قاتل يا (نور) .. يمكننا أن ننتصر يا فتى .

استدار إليه أحد الآليين ، وأطلق حزمة ليزر من مدفعه ، تفاداها (أكرم) بانحناءة سريعة ، فواصلت طريقها ، لتنسف الجدار الزجاجى السميك ، الذى يحمى الأسطوانات الشفافة ، وتفجّر شظاياه فى كل مكان .

أما الآلى الثانى ، فقد لطم (نور) بيده لطمة قوية ،



وفى نفس لحظة سقوطهما ، دفع (أكرم) ذلك المخلوق جانبًا ، بمنتهى العنف والقسوة ، ووثب نحو الآليين بدوره ..

ألقت هذا الأخير مترين كاملين إلى الخلف ، ليسقط على قيد متر واحد من الأسطوانات الشفافة ، فصوّب إليه الآلى مدفعه الليزرى ..

وأطلقه ..

ووثب (نور) مرة أخرى ..

وثب محاولا تفادى الطلقة ..

ولكنه شعر بخيط من النار يخترق ذراعه اليسرى ، ورأى الدماء تتدفق منها فى عنف ، فى نفس اللحظة التى وثب فيها (أكرم) نحو الآلى الآخر ودفعه أمامه فى قوة ، صائحًا :

ـ أيها الأوغاد .. أيها الأوغاد .

وبمنتهى العنف ، ارتطم الآلى بزميله ، وسقط الاثنان أرضًا ..

ثم نهضا بسرعة مدهشة ..

وانطلقت أشعة مدفعيهما مرة أخرى .

وفى هذه المرة ، شعر (أكرم) بفخذه يتمزق ، ورأى جسد (نور) يندفع إلى الخلف فى عنف ، ليرتطم بالجدار، ثم يسقط أرضًا ، و (رمزى) ينقض على أحد الآليين ، فى حين تعدو (سلوى) و(نشوى) مبتعدتين فى رعب ..

وأمام عينيه ، وقبل أن ينهض (نور) ، رأى (أكرم) الآلى يحمل (رمزى) فى خفة ، ثم يلقى به نحوهما فى عنف ..

وفى نفس اللحظة ، التى ارتطم فيها جسد (رمزى) بالأرض ، بمنتهى القوة والعنف ، اعتدل الآليان ، واتجهت فوهتا مدفعيهما الليزريين نحو الرجال الثلاثة ، و ..

وأصبح من الواضح أن الفريق يستعد لتلقى هزيمة فادحة ..

أعنف هزيمة فى تاريخه ..

وأفدحها ..

* * *

شبك القائد الأعلى أصابع كفيه أمام وجهه ، فى توتر بالغ ، وهو يراقب شاشة الرصد الكبيرة ، التى تنقل المشهد كاملاً ، وانعقد حاجباه فى شدة ، على نحو جعل الدكتور (جلال) يقول :

ـ اطمئن أيها القائد.. كل شىء يسير على ما يرام.

هزّ القائد الأعلى رأسه ، قائلا :

ـ لا يمكنك الوثوق ، قبل أن ينحسم الأمر تمامًا .

تنهَّد الدكتور (جلال) ، وغمغم :

ـ لقد تمَّ التنسيق بين كل الجبهات ، وسنقاتل كلنا كيدٍ واحدة .

وافقه القائد الأعلى بإيماءة من رأسه ، قائلاً :

ـ وربما لأوَّل مرة فى التاريخ .

قال الدكتور (جلال) فى خفوت :

ـ هذا صحيح .

غلفهما الصمت بضع لحظات ، وهما يراقبان ما يدور على الشاشة ، قبل أن يزدرد الدكتور (جلال) لعابه فى صعوبة ، متسائلاً :

ـ هل تعتقد أننا سنراهم مرة أخرى ؟!

سأله القائد الأعلى فى اهتمام :

ـ مَنْ ؟!

أشار بيده ، قائلاً :

ـ (نور) ورفاقه .

تراجع القائد الأعلى ، حتى ألصق ظهره بمقعده ، وهو يقول :

ـ من يدرى ؟!

هزَّ رأسه ، قائلاً فى أسى :

ـ سجلاتهم تؤكِّد أنهم قد تجاوزوا مواقف شديدة الصعوبة من قبل .

صمت القائد الأعلى قليلاً ، ثم قال فى مرارة :

ـ ليس فى كل مرة تسلم الجرَّة .

عاد الدكتور (جلال) يهزّ رأسه ، متمتمًا :

ـ يا للخسارة !

انعقد حاجبا القائد الأعلى ، وهو يميل مرة أخرى إلى الأمام ، ويتطلَّع إليه فى دهشة متسائلاً ، قبل أن يقول فى حذر :

ـ ظننتك لا تميل إليهم .

أجابه فى مرارة :

ـ لم أكن أفهمهم جيدًا .

ثم نهض من مقعده ، وتحرك مبتعدًا ، وكأنما يحاول إخفاء مشاعره وانفعالاته ، وهو يتابع :

ـ الدكتور (ناظم) ، الذى تسبَّبوا فى إقالته(*)، كان صديقًا عزيزًا ، حتى أننى شعرت بالكراهية تجاههم ، من جراء ما فعلوه به .

(*) راجع قصة (الغزاة) .. المغامرة رقم ١٢٤

قال القائد الأعلى :

ـ الدكتور (ناظم) ارتكب ما استحق عليه ما حدث .

هزّ الدكتور (جلال) رأسه ، قائلاً :

ـ لم يمكننى استيعاب هذا وقتها .

سأله القائد الأعلى :

ـ وما الذى جعلك تستوعبه الآن ؟

أجاب فى سرعة :

ـ الغزاة .

ثم صمت لحظة ، شرد خلالها بصره ، قبل أن يتابع فى مرارة :

ـ أنا مثل الجميع ، امتلأ قلبى بالرعب والفزع ، مع مقدم الغزاة ، واستعاد عقلى كل العذاب والجحيم ، اللذين عانيناهما من الغزو السابق(*) ، وعلى الرغم من هذا ، وعلى الرغم من أن مذكرات وروايات شبيه (نور) المعكوس كانت تضاعف من الرعب والذعر ، إلا أن الفريق كله لم يتردّد لحظة واحدة ، فى القيام بمهمة انتحارية ، قد لا يعود منها أبدًا ، فى سبيل إنقاذ الأرض.. فى سبيل درء الخطر عنى وعنك وعن الجميع.

(*) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم ٧٦

والتقط نفسًا عميقًا ، ملأ به صدره عن آخره ، ثم أضاف فى حسم :

ـ كانوا أبطالاً ، لم ألتق بمثلهم من قبل قط .

ارتسمت ابتسامة متألقة على شفتى القائد الأعلى ، وهو يقول :

ـ إنهم كذلك دائمًا .

تمتم الدكتور (جلال) :

ـ بالتأكيد .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى نقلت الشاشة دويًا مكتومًا ، مع صوت أحد العلماء ، وهو يقول فى انفعال :

ـ اختراق طريق النجوم سيتمّ خلال عشرين ثانية..

انحبست أنفاس القائد الأعلى ، والدكتور (جلال) ، وهما يتطلّعان إلى الشاشة الكبيرة ، فى حين تردّد العد التنازلى بسرعة بدت لهما مخيفة ..

تسع عشرة ثانية ..

ثمان عشرة ..

سبع عشرة ..

وراح قلباهما يخفقان فى عنف ، مع اقتراب لحظة الصفر ..

سبع ..

ست ..

خمس ..

أربع ..

ثلاث ..

اثنتان ..

ثانية واحدة ..

ثم دوت فرقعة أكثر عنفًا ، أعقبها صوت كهزيم الرعد ، ارتجّت له حجرة القائد العام كلها فى عنف ..

عنف يعلن أن ساعة الحسم قد حانت ..

وأن القدر سيصدر حكمه أخيرًا ..

فإما الأرض ..

أو الغزاة ..

* * *

من المؤكَّد أن نتائج المواجهة المباشرة ، بين البشر والآلات المقاتلة ، لا يمكن أن تحسم أبدًا لصالح البشر ..

فى الظروف العادية ..

فالآلات المقاتلة ، كما يؤكِّد ذلك المخلوق الفضائى ، تتحرك بسرعة أكبر ، دون أية مشاعر أو انفعالات ، لتحقيق هدف واحد ..

القتل ..

قتل الخصم ..

أيًا كان ..

وأيًا كانت الظروف والملابسات ..

ربما كان هناك أمل للبشر ، فى القتال طويل المدى ..

حيث توجد مساحة للتروّى والتفكير ..

والمراوغة ..

والمناورة ..

والخداع ..

وحتى فى هذه الحالة ، ستكون احتمالات النصر ضئيلة ..

أما فى المواجهات المباشرة ، فالاحتمالات تقترب من الصفر ..

وربما أقلّ ..

هذا بالضبط ما دار فى رأس (نور) ، فى جزء من الثانية ، عندما شاهد الفوهتين القاتلتين تتطلعان نحوه ونحو رفيقيه مباشرة ..

وتوقَّع أن تنطلق حزم الليزر منهما على الفور ..

دون إبطاء ..

أو رحمة ..

ورآها بعين الخيال تسحق ثلاثتهم ، و ..

ولكن الآليين انتفضا فجأة ..

وتألقت عيونهم الآلية بشدة ..

ثم تجمدا فى مكانيهما ، كما لو أنهما قد تحولا إلى تمثالين من الصلب .

وبكل دهشته ، هتف (أكرم) ، وهو يمسك جرح فخذه فى ألم :

ـ رباه ! ماذا أصابهما ؟!

أتاه صوت (سلوى) من خلفه ، يقول فى عصبية :

ـ لقد أفسدت عملهما .

التفت الجميع إليها فى دهشة ، وهتف (نور) :

ـ أفسدت عملهما ؟! ولكن كيف ؟

أجابته بصوت يحمل مرارة عجيبة :

ـ أطلقت ذبذبة خاصة، شلت أجهزتهما ، وعطلتهما عن العمل .

سألها (رمزى) فى حيرة متوترة :

ـ ومن أين حصلت على تلك الذبذبة الخاصة ؟!

أشارت إلى الكمبيوتر المسئول عن إعاشة تلك المخلوقات المتجمدة ، دون أن تنبس ببنت شفة ، وشفتاها ترتجفان فى شدة ، فاتسعت عينا (نور) ، وهو يقول :

ـ رباه ! لقد فصلت عنهم الجهاز لإنقاذنا !

قالت (نشوى) فى عصبية :

ـ لم يكن أمامنا حل آخر .

ثم انفجرت باكية بغتة ، مضيفة فى انهيار :

ـ كنا أمام خيار واحد لا غير .

وألقت نفسها بين ذراعى زوجها ، وراحت تبكى فى مرارة ، فى حين ارتجفت الكلمات على شفتى (سلوى) ، وهى تقول :

ـ إما نحن أو هم .. لم يكن لدى خيار .

واغرورقت عيناها بالدموع ، وهى ترفعهما إلى (نور) ، مكررة بصوت أكثر ارتجافًا :

- لم يكن لدى خيار يا (نور) .

ثم دفنت وجهها بين كفيها ، وانخرطت فى بكاء حار ، فاحتواها (نور) بين ذراعيه ، وهو يغمغم فى حنان مشفق :

- نعم يا عزيزتى .. لم يكن لدينا خيار .. ومن يدرى ؟! ربما كان هذا هو الجزاء العادل الذى يستحقونه ، من الله (سبحانه وتعالى) ، جزاء ما اقترفته أيديهم فى حق شعوبهم ، و ...

قبل أن يتمّ عبارته ، ارتفع صوت (رمزى) ، وهو يهتف فجأة :

- ربّاه ! أين ذلك المخلوق ؟!

تلفّت الجميع حولهم فى دهشة مذعورة ، وهتف (أكرم) فى غضب :

- ذلك الوغد !

لم يكد يتمّ قوله ، حتى نقل جهاز الترجمة الآلى ضحكة مجلجلة ، أعقبها صوت يقول :

- أنا هنا ، فى مكان ما داخل سفينتى ، لن يمكنكم التوصُّل إليه قط .. لا تتصوَّروا أن سخافاتكم هذه تعنى أنكم قد انتصرتم علىَّ .. محال .. محال .. محال ..

ما من بشرى يمكن أن يهزمنى قط .. أشقائى لقوا جزاءهم بالفعل .. وهم يستحقونه .. أما أنا ، فسأحيا حتى آخر قطرة دم ، يلتهمها ذلك الفيروس الحقير ..

صاح (أكرم) :

- أتمنى أن تتعذَّب فى كل لحظة أيها الوغد .

أجابه المخلوق ، عبر جهاز الترجمة الآلى :

- على الأقل سأبقى بعد أن تذهب أنت .. إننى داخل سفينتى ووطنى ، أما أنتم ، فعلى بعد سنوات ضوئية من عالمكم ، دون وسيلة واحدة للعودة إليه .

هتف (نور) :

- مَنْ يدرى ؟!

أجابه فى سرعة :

- أنا .. أنا أدرى .

ثم اكتسب الصوت الآلى رنة عجيبة ، وهو يضيف :

- وأعلم أنها نهايتكم .

مع آخر حروف كلماته ، بلغ مسامعهم وقع أقدام معدنية ثقيلة تقترب ، من القاعة التى يقفون فيها ..

ودوت انفجارات مختلفة ، انفجر بعدها باب القاعة تمامًا ..

وبرز عنده عشرة من المقاتلين الآليين ، بمدافعهم الليزرية القوية ..

وارتفعت ضحكات ذلك المخلوق ، وهو يهتف فى ظفر ، عبر جهاز الترجمة الآلى :

ـ لقد خسرتم أيها الأرضيون .. خسرتم .

وارتفعت ضحكاته الظافرة أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

* * *



٩ ـ الختام ..

فجأة ، ارتجت سفينة الغزاة فى عنف ..

وعبر ممر الهبوط الطويل فيها ، تردد صوت أشبه بفرقعة مكتومة ..

واتسعت عيون الجميع فى دهشة ، و (سلوى) تهتف في انفعال ، انتفض معه جسدها كله :

ـ رباه ! هناك قوة هائلة ، اخترقت طريق النجوم على التبو .. مع هتافها ، وكأنما تلقوا جميعًا أمرًا عاجلاً ، تراجع المقاتلون الآليون ، واتجهوا نحو ممر الهبوط فى سرعة ، على نحو يوحى بأن برنامجهم يضع الدفاع عن السفينة ، على رأس قائمة الأولويات ..

مهما كانت الظروف ..

وهتف (نور) ، وهو يعدو خلفهم :

ـ رباه ! يبدو أن ما كنت أتوقعه قد حدث يا رفاق .

تبعه الجميع إلى قاعة أخرى ، تتصل بممر الهبوط ،

ولها جدار زجاجى ضخم ، يطلّ على الفضاء السحيق ، و (أكرم) يتساءل فى انفعال :

ـ وما الذى كنت تتوقّع حدوثه يا (نور) ؟!

بدا الارتياح فى وجه (نور) وصوته ، وهو يتطلّع عبر الجدار الزجاجى ، مجيبًا :

ـ أن تصل إلينا وسيلة العودة إلى الأرض .

ومع جوابه ، اتسعت عيون الجميع ، فى دهشة وانبهار ، وانطلقت من حلوقهم ، على الرغم منهم ، شهقة قوية عنيفة ..

فأمام عيونهم ، وعبر الجدار الزجاجى السميك ، كانت هناك أسراب هائلة من المقاتلات الأرضية ، تنقض على سفينة الغزاة ..

أكثر من مائتى ألف مقاتلة أرضية فضائية ، تحمل خليطًا من أعلام معظم دول كوكبنا ، تشتبك مع مقاتلات الغزاة ..

الحقيقية ..

كل أسطول الأرض الفضائى يضرب ضربته ..

ويواجه المقاتلات الآلية ..

بمنتهى القوة ..

ومنتهى الحزم ..

وعبر جهاز الاتصال الداخلى فى سفينة الغزاة ، ارتفع صوت أرضى حازم صارم ، يقول :

ـ هذه الرسالة يتمّ بثّها على كل الموجات الطويلة والمتوسّطة والقصيرة ، وعبر شبكات (الميكروويف) ، والليزر ، وموجات ألفا وبيتا .. هنا الأسطول الفضائى لكوكب الأرض .. نطالبكم بالاستسلام فورًا ، دون قيد أو شرط ، وإلا سحقناكم سحقًا .. أكرّر .. استسلام دون قيد أو شرط .

كانت مقاتلات الغزاة تتساقط بسرعة ، و (سلوى) تهتف فى سعادة :

ـ رباه ! كيف فعلوها ؟! كيف جاءوا إلى هنا ؟!

أجابها (نور) فى حزم :

ـ لقد فهموا الرسالة أخيرًا .

سأله (أكرم) مبهورًا :

ـ الرسالة التى حملتها الكرة إليهم ؟!

هزّ (نور) رأسه نفيًا ، وأجاب :

ـ بل الرسالة الأكثر أهمية يا صديقى .

وانعقد حاجباه ، وصوته يكتسب رنة صارمة حازمة ، مستطردًا :

- إن الاتحاد قوة .

نطقها وهو يراقب ذلك الاشتباك العنيف ، بين المقاتلات الفضائية الأرضية ومقاتلات الغزاة ..

الاشتباك الذى أوحى بأن الغمَّة قد انزاحت بالفعل .. وإلى الأبد ..

* * *

« العجيب أننا لم نعثر على أدنى أثر لذلك المخلوق ، الذى التقيتم به يا (نور) !! » ..

نطق الدكتور (جلال) العبارة فى حيرة ، وهو يتحدث إلى (نور) ، الذى أحاط ذراعه المصابة بالضمادات ، متسائلا :

- هل قمتم بتفتيش السفينة جيدًا يا سيِّدى ؟!

أجابه القائد الأعلى :

- كل شبر منها يا (نور) ، بعد أن استولت عليها قواتنا المشتركة ، وسيطرت على الموقف تمامًا .. لقد اختفى ، دون أن يترك خلفه أدنى أثر .

وأشار الدكتور (جلال) بيده ، قائلاً :

- ربما آثر الانتحار ، أو أفنى نفسه بوسيلة ما .

غمغم (نور) :

- أو انتقل إلى بُعد آخر .

هزَّ الدكتور (جلال) كتفيه ، قائلاً :

- كل شىء جائز أيها المقدَّم .

ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة كبيرة ، وهو يربِّت على كتف (نور) ، قائلاً فى ارتياح واضح :

- وصدقنى .. إننى أسعد أهل الأرض بعودتكم إلينا .. حمدًا لله على سلامتكم أجمعين .

تنهَّد (نور) ، مغمغمًا :

- أشكرك يا سيِّدى .

ثم سأله فى اهتمام :

- ولكن ماذا عن طريق النجوم ؟!

أجابه القائد الأعلى فى حزم :

- الدول كلها وافقت على إغلاقه إلى الأبد .. قد يعنى هذا أننا لن نفيد منه ، ولكنه أيضًا لن يحمل إلينا خطرًا جديدًا ، من أطراف الكون مرة أخرى .

والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يضيف :

- لقد كُتِبَتْ لنا النجاة هذه المرة ، ولكن الله (سبحانه وتعالى) وحده يعلم ، ماذا يمكن أن يحدث فى المرة القادمة !

وظلت تلك العبارة تتردد فى رأس (نور) طويلاً ..
منْ يدرى ، ماذا يمكن أن يحدث فى المرة القادمة ؟!
من يدرى ؟!
« أين ذهبت ؟! » ..
تسلل صوت (سلوى) إلى أذنيه فى حنـــان ، وهو يجلس شـــاردًا فى شـرفة منــزله ، المطــلة على الحديقة ، فالتفت إليها ، متسائلاً :
- كيف حال (أكرم) الآن ؟!
جلست على المقعد المجاور له ، مجيبة :
- سيتعافى قريبًا بإذن الله .
وملأت عينيها بمشهد الحديقة والشمس الساطعة ، قبل أن تضيف :
- هل تعلم ؟! ذات لحظة تصورْت أننا لن نرى هذا المشهد ثانية قط !
غمغم شاردًا :
- الله (سبحانه وتعالى) لم يكتب لنا الموت بعد .
هزّت كتفيها ، قائلة بابتسامة هادئة :
- فى المرة القادمة ، أعتقد أننى ..
قاطعها فى حزم :

- لن تكون هناك مرات قادمة بالنسبة لك ، قبل فترة طويلة .. الطبيب يقول : إن حملك يحتاج إلى الراحة وتفادى الانفعالات ، فى الفترة المتبقية .
غمغمت معترضة :
- ما زال أمامى الكثير .
بدا شاردًا مرة أخرى ، وهو يقول :
- إنها أوامر الطبيب .
تطلعت إليه بضع لحظات فى إشفاق ، ثم لم تلبث أن مالت نحوه ، متسائلة :
- فيم تفكر يا (نور) ؟!
انطلقت من أعمق أعماق صدره زفرة ، حملت ما يعانيه ، قبل أن يرفع عينيه إلى السماء ، مجيبًا :
- أفكر فى أننا قد نجحنا فى إنقاذ عالمنا ، بفضل شبيهى المعكوس ، الذى فشل فى هذا تمامًا .
ربّتت على كتفه ، قائلة فى تعاطف :
- إنه قدره وقدرنا .
وافقها بإيماءة من رأسه ، قائلاً :
- من يدرى ؟ ربما وجد خبراؤنا يومًا وسيلة للانتقال إلى الزمن الماضى فى عالمه .. وربما كانت لدينا عندئذ الفرصة لإنقاذهم ، بعد كل ما علمناه ..

وهزَّ رأسه في قوة ، قبل أن يعاود التطلُّع إلى السماء ، مكررًا :

- ربما .

شعرت بقلبها يخفق من أجله ، فتسلَّلت يدها تحتضن يده في حنان ، ورفعت عيناها مثله إلى السماء ، وهي تهتف في أعماقها ..

نعم .. من يدري ؟!

ربما .

* * *

(تمت بحمد الله)

رقم الإيداع : ٣٢١٥

المطبعة العربية الحديثة

٨ ، ١٠ شارع ٤٧ المنطقة الصناعية بالعباسية

القاهرة - ☎ ٢٨٢٣٧٩٢ - ٢٨٣٥٥٥٤

الزمن الآخر

- كيف يمكن أن تواجه الأرض احتمالات غزو فضائي جديد ؟!
- ما ذلك السر الغامض الرهيب ، الذي يخفيه غزاة الفضاء الأليون ؟!
- ترى من ينتصر في هذه المعركة الفاصلة .. (نور) وفريقه ، أم غزاة (الزمن الآخر) ؟!
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل مع (نور) وفريقه .. من أجل الأرض ..



العدد القادم : وراء العقل



د. نبيل فاروق

ملف المستقبل

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمي

128

الثمن في مصر ٢٠٠

وما يعادله بالدولار الأمريكي في سائر الدول العربية والعالم

